
MOSTAFAALADWY.COM

تذكير بني إسرائيل ببعض نعم الله عليهم وامتناعهم من دخول الأرض المقدسة وعصيانهم نبي الله موسى ﷺ وبيان التيه الذي عوقبوا به


MOSTAFAALADWI.COM

امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة ومخالفة نبيهم موسى عليه السلام

أولاً: ذكر الآيات في هذا الصدد:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦].

ثانيًا: معاني مفردات هذه الآيات:

الكلمة	معناها
﴿مُّلُوكًا﴾	تملكون دورًا وخدمًا وأزواجًا.
﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾	المطهرة المباركة.
﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (١)	وعدكم الله بدخولها إذا أطعتموه - فرض عليكم دخولها.
﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾	لا ترجعوا إلى الوراء ـ لا تتخلفوا عن لقاء عدوكم ولا تفروا منه.

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل، أنه وراثة من آمن منكم.

الكلمة	معناها
﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾	ترجعون خائبين.
﴿جَبَّارِينَ ﴾	ضخام الأجسام ذوي بأسٍ شديد ـ قاهرين لغيرهم ـ ظلمةً وعتاةً.
﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾	لا أقدر إلا على نفسي وأخي.
﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا ﴾	افصل بيننا–اقض بيننا– ميِّز بيننا وبينهم ولا تعذبنا إذا عذبتهم.
﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾	الخارجين عن الطاعة.
﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾	ممنوعون من دخولها.
﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	يضلون في الأرض، يمشون كثيرًا فيصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا .
﴿فَلَا تَأۡسَ ﴾	فلا تندم ـ فلا تأسف ـ فلا تحزن.

وبين يدي تفسير الآيات

أُذكِّر بفائدة التذكير بهذه الآيات المباركات، فأقول، وبالله التوفيق:

فائدة ذلك، والله أعلم: تصبير النبي ﷺ وتثبيته أمام ما يفعله اليهود المعاصرون له، فكأنّ المعنى: إن كذبوك يا محمد وآذوك فقد آذوا نبي الله موسى عليه السلام مع ما أنعم الله به عليهم بسببه، وما أجراه على يديه لهم من الخير ومن الإنجاء من القوم الظالمين، بل وإغراق الظالمين كذلك، فيا رسول الله إن كان صدر من اليهود الذين يعاصرونك غدرٌ وخيانات وتكذيبٌ وعنادٌ، فهذا شأنهم باضطراد، وعلى دينهم ونهجهم على الدوام.

قال الطبري رحمه الله:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ٢٠]: وهذا أيضًا من الله تعريفٌ لنبيه محمد ﷺ، قديمَ تمادي

هؤلاء اليهود في الغي، وبعدهم عن الحق، وسوء اختيارهم لأنفسهم، وشدة خلافهم لأنبيائهم، وبطء إنابتهم إلى الرشاد مع كثرة نعم الله عندهم، وتتابع أياديه وآلائه عليهم، مسلّيًا بذلك نبيه محمدًا ﷺ عمَّا يحلّ به من علاجهم، وينزل به من مقاساتهم في ذات الله، يقول الله له ﷺ: لا تأسَ على ما أصابك منهم، فإن الذهاب عن الله والبعد من الحق، وما فيه لهم الحظ في الدنيا والآخر، من عاداتهم وعادات أسلافهم وأوائلهم، وتعزَّ بما لاقى منهم أخوك موسى ﷺ، واذكر إذ قال موسى لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ يقول: اذكروا أيادي الله عندكم وآلاءه قبلكم.

وعن معاني الآيات المباركات فأقول وبالله التوفيق:

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ فحاصل معناه واذكر يا رسول الله قول نبي الله موسى عليه السلام لقومه من بني إسرائيل، يا قوم تذكروا نعمة الله عليكم ولا تنسوها واعملوا بمقتضاها، اعملوا بطاعة الله عز وجل لكونه أنعم الله عليكم بالعديد من النعم وكذا تحدثوا بنعم الله عليكم ولا تكتموها مثنين بها على الله عز وجل شاكرين لها.

ثم ذكرهم الله عز وجل ببعض هذه النعم، والتي منها أنه سبحانه جعل فيهم أنبياء، فقد كانت بنو إسرائيل أكثر الأمم الذين أُرسل منهم وإليهم أنبياء، ولا شك أن الأنبياء هُداة إلى الخير دعاةً إلى الهدى.

كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيّ، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ (١)، وكان غير هؤلاء الساسة من الأنبياء أنبياء آخرون أيضًا كثيرون يأتونهم بوحي الله، ويخبرونهم بالغيب بما ينفعهم ويقربهم من الله عز وجل.

(١) أخرج ذلك البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وكذا من النعم التي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها عليهم أن جعلهم مُلوكًا، ومعنى ذلك عند العلماء أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل لهم بيوتًا وأزواجًا وخدمًا، فلمَّا ملكوا البيوت والأزواج والخدم قيل لهم: ملوك. هكذا قال كثيرٌ من أهل العلم.

ومن العلماء من قصر الملوك على ذوي الخدم.

هذا، وقد أخرج مسلم (١) في «صحيحه» عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجلٌ فقال: ألسنا من فُقراء المُهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مَسكنٌ تسكنُهُ؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادِمًا. قال: فأنت من الملوك.

وقد ورد في هذا الباب خبرٌ عن رسول اللهِ ﷺ أنه قال: «**كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كُتب ملكًا**» لكنه ضعيف الإسناد.

وكذا من النعم التي أنعم الله بها عليهم أنه سبحانه آتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، فمن ذلك كما تقدم كثرة الأنبياء الذين بعثوا فيهم.

ومن ذلك المن والسلوى الذي أنزله الله عليهم ومن ذلك الحجر الذي تفجَّرت منه اثنتا عشرة عينًا.

ومن ذلك الغمام الذي ظُلل عليهم.

ومن ذلك المعجزات التي أيد الله بها نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عمومًا.

فإن قال قائل:

كيف آتاهم الله ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين، وقد أوتيت أمَّةُ محمد ﷺ القرآن، وجعلها الله خير الأمم، وأرسل إليها خير رسول؟

إما أن يُقال: إن الله آتى بني إسرائيل ما لم يؤت أحدًا من العالمين ممن هم

(١) مسلم (٢٩٧٩) ص(٢٢٨٥)، والطبري (١١٦٢٨).

في زمانهم، أو ممن قد سبقوهم.

وإما أن يُقال : إن الله آتاهم من كثرة الأنبياء ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

وكذا آتاهم من أشياء مخصوصة بعينها ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين، كما قال تعالى لنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]

وكما قال تعالى لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] أي: على عالمي زمانها أو من تقدَّمها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن ظنّ ظانٌّ أن قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] لا يجوز أن يكون لهم خطابًا إذ كانت أمة محمد قد أوتيت من كرامة الله جلَّ وعزَّ بنبيها عَلَيْهِ السَّلَامُ محمد، ما لم يُؤتَ أحدٌ غيرهم - وهم من العالمين - فقد ظنَّ غير الصواب، وذلك أن قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ خطاب من موسى ﷺ لقومه يومئذٍ، وعنى بذلك عالمي زمانه، لا عالمي كل زمان، ولم يكن أوتي في ذلك الزمان من نعم الله وكرامته، ما أوتي قومُه ﷺ أحد من العالمين، فخرج الكلام منه صلى الله عليه على ذلك، لا على جميع عالم كلِّ زمان.

قلت (مصطفى): وبعد هذا التذكير بنعم الله عَزَّ وَجَلَّ، كلفهم نبيهم ﷺ بتكليف أمره الله عَزَّ وَجَلَّ به، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢١﴾ [المائدة: ٢١].

أما الأرض المقدسة، وأي أرض هي فليس في تعيينها قول صحيح عن رسول الله ﷺ ولا آية من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وإن كان بعض العلماء قد عينوها بلا مستندٍ صحيح، فمنهم من قال إنها الطور وما حوله، ومنهم من قال إنها الشام ومنهم من قال إنها أريحاء، ومنهم من قال دمشق، ومنهم من قال فلسطين أو

الأردن ولا برهان على أي شيء من ذلك.

ولذا فإن الطبري رحمه الله **قد قال**: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى ﷺ، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به. غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك.

قلت (مصطفى): أما قوله: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ أي: كتب لكم دخولها إن أنتم أطعتموه، ووعد آباءكم من قبل أنكم إذا أطعتموه فإنه سيفتحها لكم.

وقيل المعنى: فرض عليكم أن تدخلوها وأوجب ذلك عليكم ثم إن نبي الله موسى عليه السلام حذرهم من التخلف عن دخولها فقال: ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ أي: لا تخالفوا أمر الله عز وجل إذ أمركم بدخول هذه الأرض على لسان نبيكم، فإنكم إن تخلفتم رجعتم خاسرين، وذلك الخسران لأمور:

أحدها: خلاف أمر نبيهم ﷺ الذي أمرهم به.

الثاني: تضييع فرض الجهاد الذي فرضه الله عليهم.

الثالث: حرمانهم من دخول الأرض المقدَّسة.

وأقول وبعد هذا الأمر بدخول الأرض المقدسة والتحذير من التخلف عن دخولها، ماذا كان من بني اسرائيل؟!!

لقد نكلوا عن دخول الأرض المقدسة وتعلَّلوا بعللٍ متناسين أن الله عز وجل سلمهم وحفظهم وأنجاهم من قبل من فرعون وجنوده!

تعللوا قائلين: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ إن الأرض المقدسة فيها قوم جبارون سيقهروننا ويهزموننا، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ويسلموها لنا بدون قتال!!

وهذا حقًّا أمرٌ عجيب، وتصرف غير سديد ولا رشيد فكيف يتصور أن القوم

الجبارين يتركو بلادهم عن طيب نفس وطيب خاطر ويسلمونها لغيرهم ويغادرونها بدون قتال.

هذا، وقد ذكرت في شأن القوم الجبارين ووصفهم آثار وأخبار لا يصح منها شيءٌ عن رسول الله ﷺ إلا أن سياق الآية يُشعر بقوتهم وعظيم خلقهم وكبير إجرامهم.

هذا، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة(١) قال: ذُكر لنا أنهم كانت لهم أجسام وخِلَق ليست لغيرهم.

وأورد الطبري آثارًا لا تخلو من مقال، ومضمونها بعيدٌ عن حديث رسول الله ﷺ في شأن آدم عليه السلام إذ أن الله خلقه طوله في السماء ستون ذراعًا، وقال ﷺ: «**ولم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»(٢).

ناصحان مؤمنان من بني إسرائيل ينصحان القوم

وهنا، وبعد أن أظهر الإسرائيليون امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة قام فيهم من ينصح ويذَكِّر قام رجلان من بني إسرائيل أنعم الله عليهما بالإيمان وطاعة الله ورسوله، وأنعم عليهما بالخوف منه وليس هنالك مانع من أن يكون من الأغنياء أيضًا فقوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣] عامٌّ ومُخصصه يحتاج إلى دليل، الشاهد أن الرجلين قاما بما أوجبه الله عليهما من النصح، فقالا لقومهما: ادخلوا على هؤلاء الجبارين الباب –باب الأرض المقدسة– فإذا دخلتموه فإنكم غالبون منتصرون، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، أي: توكلوا على الله واعتمدوا عليه وادخلوا الباب –باب الأرض المقدسة– فإنكم ستفتحونها.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ما

---

(١) أخرجه الطبري (١١٦٦١).

(٢) أخرجه الطبري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١).

حاصله: وعنيا بقولهما: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم مصدِّقي نبيكم ﷺ فيما أنبأكم عن ربِّكم من النصرة والظفر عليهم، وفي غير ذلك من إخباره عن ربه، ومؤمنين بأن ربَّكم قادر على الوفاء لكم بما وعدكم من تمكينكم في بلاد عدوِّه وعدوِّكم.

هذا، وقد تكلَّف البعض تسمية هذين الرجلين اللذين أنعم الله عليهما فذكروا -وبلا مستند- أن أحدهما هو يوشع بن نون والآخر هو كلاب بن يافنا، وقالوا: إنهما من النقباء -نقباء بني إسرائيل- وليس في هذا الباب خبرٌ يقين عليه. فالله أعلم.

ولكن ما هو موقف بني إسرائيل بعد أن قدَّم إليهم الرجلان تلك النصيحة الغالية؟

لقد أصرَّ الإسرائيليون على العناد والشقاق وأعلنوا بصراحة، بل بوقاحةٍ عن نكولهم عن دخول الأرض المقدسة، فقالوا: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾.

هكذا رفضوا الإذعان وأعلنوا عن التمرد والعصيان وفرقٌ كبير بينهم وبين أصحاب رسولنا محمد ﷺ.

مع نبيهم لمَّا دعاهم نبيهم للقاء عدوهم يوم بدر، وعدوهم أكثر منهم عددًا، وعُددًا، وبين موقف بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وضح ذلك.

إيضاحه: أن أصحاب موسى قالوا له لمَّا دعاهم، وقد نكلوا عن الجهاد وتخلوا عن طاعة رسول الله موسى عليه السلام، فقالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

أما أصحاب محمد ﷺ فلم يكونوا كذلك، بل كان عدوهم ثلاثة أضعاف عددهم، ومع ذلك لمَّا استشارهم رسول الله ﷺ يوم بدر، ترى ماذا كان موقفهم؟

أخرج الإمام أحمد رحمه الله بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد شهدتُ من المقداد مشهدًا؛ لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما على الأرض من شيء، قال: أتى النبي ﷺ وكان رجلاً فارسًا قال: فقال أبشر يا نبي الله، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك حتى يفتح الله عليك[(١)].

۞ وأخرج الإمام مسلم[(٢)] في «صحيحه» من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا... فذكر الحديث.

هذا، وأعود فأقول إن الإسرائيليين أصروا على البقاء في بلادهم وعدم دخول الأرض المقدسة، قائلين لنبيهم موسى عليه السلام ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

فما كان من موسى عليه السلام إلا الاعتذار إلى الله عز وجل قائلاً ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾، يعني هارون عليه السلام فهو نبي، ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

هكذا سأل ربه عز وجل ألا يؤاخذه بما فعله هؤلاء السفهاء، وسأل ربه عز وجل ألا يدخله مدخلهم، بل وأن يفرق بينه وبين هؤلاء الفساق.

فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ [المائدة: ٢٦] أي: أنهم ممنوعون من دخولها أربعين سنة، وضرب الله عليهم التيه في الأرض.

---

(١) أحمد في «المسند» (١/٤٥٧ - ٤٥٨)، وفي غير موضع، والبخاري مختصرًا (٤٦٠٩).

(٢) مسلم (١٧٧٩).

ثـم قـال تعـالى لنبيـه موسـى عليه السلام: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فـلا تتأسف عليهم ولا تحزن على هؤلاء الخارجين عن الطاعة.

ذكر بعض أقوال العلماء في التيه الذي ضُرب على بني اسرائيل

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: في حديث الفتون الطويل (١)، ما نصه:

ثم سار بهم موسى متوجهًا نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألـواح بعـدما سكت عنه الغضب، فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف، فثقل ذلك عليهم وأبـوا أن يُقروا بها، فنتق الله عليهم الجبل كأنَّه ظُلَّة، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم، فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون إلى الجبل والأرض، والكتاب بأيديهم وهـم ينظرون إلى الجبـل مخافة أن يقع عليهم، ثـم مضـوا حتى أتـوا الأرض المقدسة، فوجدوا فيها مدينة فيها قوم جبارون، خلقهم خلق منكر، وذكروا من ثمارهم أمرًا عجيبًا من عظمها فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة:٢٢]، لا طاقة لنا بهـم، ولا ندخلها ما داموا فيها، ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة:٢٢].

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [المائدة:٢٣] مـن الجبـارين آمنا بموسـى، فخرجـا إليـه، فقـالا: نحـن أعلـم بقومنـا، إن كنـتم إنمـا تخـافون ممـا تـرون مـن أجسامهم وعدتهم فإنهم لا قلوب لهم، ولا منعة عندهم.. فادخلوا عليهم الباب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٢٣].

ويقـول نـاسٌ: إنهمـا مـن قـوم موسـى، وزعـم عـن سـعيد بـن جبيـر أنهمـا مـن الجبـابرة آمنـا بموسـى، يقـول: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ إنمـا عنـي بـذلك الـذين يخـافهم بنـو إسـرائيل ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] فأغضـبوا موسـى، فـدعا علـيهم

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٥/١٠)، وسنده صحيح، وانظره في كتابنا: «الصحيح المسند من أحاديث الفتن».

وسمَّاهم فاسقين، ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم، حتَّى كان يومئذٍ فاستجاب الله له فسمَّاهم كما سمَّاهم موسى: فاسقين، وحرَّمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلَّل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وجعل لهم ثيابًا لا تبلَى ولا تتسخ، وجعل بين ظهورهم حجرًا مربعًا، وأمر موسى فضربه بعصاه ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ﴾ [البقرة:٦٠]، في كل ناحية ثلاثة أعين، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها، لا يرتحلون من منقلة إلا وجد ذلك الحجر فيهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس (١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فكانوا يسيرون في فراسخ قليلة ـ قيل: في قدر ستة فراسخ ـ يومهم وليلتهم فيُصبحون حيث أمسوا، ويُمسون حيث أصبحوا؛ فكانوا سيَّارةً لا قرار لهم.

---

(١) هذا نهاية حديث الفتون وفي نهايته:

رَفَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَصَدَّقَ ذَلِكَ عِنْدِي، أَنَّ مُعَاوِيَةَ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ فَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الْفِرْعَوْنِيُّ هَذَا الَّذِي أَفْشَى عَلَى مُوسَى أَمْرَ الْقَتِيلِ الَّذِي قُتِلَ، قَالَ: فَكَيْفَ يُفْشِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ عَلِمَ بِهِ وَلَا ظَهَرَ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي حَضَرَ ذَلِكَ وَشَهِدَهُ، فَغَضِبَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَخَذَ بِيَدِ مُعَاوِيَةَ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ الزُّهْرِيِّ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، هَلْ تَذْكُرُ يَوْمَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتِيلِ مُوسَى الَّذِي قَتَلَهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ الْإِسْرَائِيلِيُّ أَفْشَى عَلَيْهِ أَمِ الْفِرْعَوْنِيُّ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أَفْشَى عَلَيْهِ الْفِرْعَوْنِيُّ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي شَهِدَ ذَلِكَ وَحَضَرَهُ.

والحديث أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٥) وغيره، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا».

والجزم بأنه من الإسرائيليات يُعكر عليه قوله في آخر الحديث (رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ) فالله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه تعـالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] لما دعا عليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين نكلوا عن الجهاد، حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدر مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه، يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغمام، وإنزال المنّ والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صمَّاء، تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه؛ انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينًا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات، التي أيد الله بها موسى بن عمران، وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد، ويُقال لها: قبة الزمان.

هذا، وقد أخرج البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**أرسِلَ مَلَكُ الموت إلى موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فلما جاءه صكَّهُ، فرجع إلى ربِّه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فردَّ الله عليه عينه وقال: ارجِع فقل له يضع يده على متنِ ثور، فله بكل ما غطَّتْ به يده بكل شعرةٍ سنةٌ. قال: أي ربِّ، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يُدنيَه من الأرض المقدسة رمية بحجرٍ**». قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلو كنتُ ثمَّ لأريتُكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (قصص الأنبياء) في ذِكر امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة:

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا انْفَصَلَ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ وَوَاجَهَ بِلَادَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَدَ فِيهَا قَوْمًا مِنَ الْجَبَّارِينَ، مِن الْحَيْثَانِيِّينَ وَالْفَزَارِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

فَأَمَرَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِمْ وَمُقَاتَلَتِهِمْ، وَإِجْلَائِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْ بَيْتِ

(١) البخاري (١٣٣٩).

الْمَقْدِسِ، فَإِنَّ اللهَ كَتَبَهُ لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَمُوسَى الْكَلِيمِ الْجَلِيلِ، فَأَبَوْا وَنَكَلُوا عَنِ الْجِهَادِ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ، وَأَلْقَاهُمْ فِي التِّيهِ، يَسِيرُونَ وَيَحِلُّونَ وَيَرْتَحِلُونَ وَيَذْهَبُونَ وَيَجِيئُونَ، فِي مُدَّةٍ مِنَ السِّنِينَ طَوِيلَةٍ هِيَ مِنَ الْعَدَدِ أَرْبَعُونَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ...﴾ الآيات.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يذكرهم نَبِي الله نعْمَة الله عَلَيْهِم وإحسانه إِلَيْهِم بِالنِّعَمِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمُقَاتَلَةِ أَعْدَائِهِ فَقَالَ: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ أَي تنكصوا على أعقابكم، وتنكلوا عَن قتال أعدائكم ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ أَيْ فَتَخْسَرُوا بَعْدَ الرِّبْحِ، وَتَنْقُصُوا بَعْدَ الْكَمَالِ.

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ أَيْ عُتَاةً كَفَرَةً مُتَمَرِّدِينَ ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ خَافُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَبَّارِينَ وَقَدْ عَايَنُوا هَلَاكَ فِرْعَوْنَ، وَهُوَ أَجْبَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَشَدُّ بَأْسًا، وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَأَعْظَمُ جُنْدًا.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ مَلُومُونَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَمَذْمُومُونَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، مِنَ الذِّلَّةِ عَنْ مُصَاوَلَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمُقَاوَمَةِ الْمَرَدَةِ[١] الْأَشْقِيَاءِ.

وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِين هَاهُنَا آثارا فِيهَا مجازفات كَثِيرَة بَاطِلَةٌ، يَدُلُّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ عَلَى خِلَافِهَا مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَشْكَالًا هَائِلَةً ضِخَامًا جِدًّا حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ رُسُلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ تَلَقَّاهُمْ رَجُلٌ مِنْ رُسُلِ الْجَبَّارِينَ، فَجَعَلَ يَأْخُذُهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَيَلُفُّهُمْ فِي أَكْمَامِهِ وحجرة سَرَاوِيلِهِ، وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا،

(١) المردة: العتاة الطغاة. وتمرَّد: عصى في إصرار وعناد.

فَجاءَ بِهِمْ فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الْجَبَّارِينَ، فَقَالَ: مَا هَؤُلَاءِ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ حَتَّى عَرَّفُوهُ.

وَكُلُّ هَذِهِ هَذَيَانَاتٌ وَخُرَافَاتٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا.

وَأَنَّ الْمَلِكَ بَعَثَ مَعَهُمْ عِنَبًا كُلُّ عِنَبَةٍ تَكْفِي الرَّجُلَ، وَشَيْئًا مِنْ ثِمَارِهِمْ لِيَعْلَمُوا ضَخَامَةَ أَشْكَالِهِمْ. وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

وَذَكَرُوا هَاهُنَا أَنَّ عُوجَ بْنَ عُنُقَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْجَبَّارِينَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيُهْلِكَهُمْ، وَكَانَ طُولُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَثُلُثَ ذِرَاعٍ.

هَكَذَا ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، كَمَا قَدَّمْنَا بَيَانَهُ عِنْدَ قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ**».

قَالُوا: فَعَمَدَ عُوجُ إِلَى قِمَّةِ جَبَلٍ فَاقْتَلَعَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا بِيَدَيْهِ لِيُلْقِيَهَا عَلَى جَيْشِ مُوسَى، فَجَاءَ طَائِرٌ فَنَقَرَ تِلْكَ الصَّخْرَةَ فَخَرَقَهَا فَصَارَتْ طَوْقًا فِي عُنُقِ عُوجَ بْنِ عُنُقَ.

ثُمَّ عَمَدَ مُوسَى إِلَيْهِ فَوَثَبَ فِي الْهَوَاءِ عشرةَ أَذْرُعٍ وَطُولُهُ عَشَرَةُ أَذْرُعٍ، وَبِيَدِهِ عَصَاهُ وَطُولُهَا عَشَرَةُ أَذْرُعٍ، فَوَصَلَ إِلَى كَعْبِ قَدَمِهِ فَقَتَلَهُ.

يُرْوَى هَذَا عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ، وَنَقَلَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَفِي إِسْنَادِهِ إِلَيْهِ نَظَرٌ.

ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَكُلُّ هَذِهِ مِنْ وَضْعِ جُهَّالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ الأَخبار الكاذبة قَدْ كَثُرَتْ عِنْدَهُمْ، وَلَا تَمْيِيزَ لَهُمْ بَيْنَ صِحَّتِهَا وَبَاطِلِهَا.

ثُمَّ لَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا لَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَعْذُورِينَ فِي النُّكُولِ عَنْ قِتَالِهِمْ، وَقَدْ ذَمَّهُمُ اللهُ عَلَى نُكُولِهِمْ، وَعَاقَبَهُمْ بِالتِّيهِ عَلَى تَرْكِ جِهَادِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَهُمْ.

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ مِنْهُمْ بِالْإِقْدَامِ، وَنَهَيَاهُمْ عَنِ الْإِحْجَامِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمَا يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَكَالِبُ بْنُ يُوفَنَّا.

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَعَطِيَّةُ وَالسُّدِّيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أَيْ: يَخَافُونَ اللهَ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ «يُخَافُونَ» أَيْ: يهابون ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أَيْ: بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَالشَّجَاعَةِ ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أَيْ: إِذَا تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ، وَاسْتَعَنْتُمْ بِهِ وَلَجَأْتُمْ إِلَيْهِ، نَصَرَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ وَأَيَّدَكُمْ عَلَيْهِمْ وأظفركم بهم.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ فصمم ملؤهم على النُّكُول عَنِ الْجِهَادِ، وَوَقَعَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَوَهَنٌ كَبِيرٌ، فَيُقَالُ: إِنَّ يُوشَعَ وَكَالِبَ لَمَّا سَمِعَا هَذَا الْكَلَامَ شقا ثيابهما، وَإِن مُوسَى وهارون سجدا إعظاما لِهَذَا الْكَلَامِ وغضبا لله عَزَّوَجَلَّ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ مِنْ وَبِيلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ عوقبوا على نكولهم بالتيهان فِي الأرض، يَسِيرُونَ إِلَى غَيْرِ مَقْصِدٍ، لَيْلًا وَنَهَارًا وَصَبَاحًا وَمَسَاءً.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنَ التِّيهِ مِمَّنْ دَخَلَهُ، بَلْ مَاتُوا كُلُّهُمْ فِي مُدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذَرَارِيهِم، سِوَى يُوشَعَ وَكَالِبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث:

قوله (باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها) قال الزين بن

المنير: المراد بقوله «أو نحوها» بقية ما تُشد إليه الرحال من الحرمين، وكذلك ما يمكن من مدافن الأنبياء وقبور الشهداء والأولياء تيمنًا بالجوار وتعرضًا للرحمة النازلة عليهم اقتداء بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. انتهى.

وهذا بناء على أن المطلوب القرب من الأنبياء الذين دُفنوا ببيت المقدس، وهو الذي رجحه عياض، وقال المهلب: إنما طلب ذلك ليقرب عليه المشي إلى المحشر وتسقط عنه المشقة الحاصلة لمن بعد عنه.

ثم أورد المصنف حديث أبي هريرة: «**أرسل ملك الموت إلى موسى**» الحديث بطوله من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه عنه، ولم يذكر فيه الرفع، وقد ساقه في أحاديث الأنبياء من هذا الوجه، ثم قال: وعن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه، وقد ساقه مسلم من طريق معمر بالسندين كذلك، وقوله فيه: «**رمية بحجر**» أي: قدر رمية حجر، أي: أدنني من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر، أو أدنني إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر، وهذا الثاني أظهر، وعليه شرح ابن بطال وغيره، وأما الأول فهو وإن رجحه بعضهم فليس بجيد، إذ لو كان كذلك لطلب الدنو أكثر من ذلك، ويحتمل أن يكون القدر الذي كان بينه وبين أول الأرض المقدسة كان قدر رمية، فلذلك طلبها، ولكن حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليعمى موضع قبره لئلا تعبده الجهَّال من ملته. انتهى.

ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله لمَّا منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم، ولم يدخلها معه أحد ممن امتنع أولاً أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء، ومات هارون ثم موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا، فكأنَّ موسى لما لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها

طلب القرب منها لأن ما قارب الشيء يعطى حكمه، وقيل: إنما طلب موسى الدنو لأن النبي يُدفن حيث يموت، ولا ينقل، وفيه نظر؛ لأن موسى قد نقل يوسف عليهما السلام معه لمَّا خرج من مصر كما سيأتي ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى، وهذا كله بناء على الاحتمال الثاني، والله أعلم.

واختلف في جواز نقل الميت من بلد إلى بلد، فقيل: يكره لما فيه من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته، وقيل: يستحب، والأولى تنزيل ذلك على حالتين: فالمنع حيث لم يكن هناك غرض راجح كالدفن في البقاع الفاضلة، وتختلف الكراهة في ذلك، فقد تبلغ التحريم والاستحباب حيث يكون ذلك بقرب مكان فاضل كما نصّ الشافعي على استحباب نقل الميت إلى الأرض الفاضلة كمكَّة وغيرها، والله أعلم.

وهنا يطرح سؤال حاصله:

هل كان موسى عليه السلام معهم في هذا التيه؟

أولاً: قد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٢٦] وموسى ليس بداخل فيهم.

ثانيًا: أن موسى عليه السلام قد سأل ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

أخرج مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: «**جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فقال له: أجب ربَّك. ـ قال: ـ فلطم موسى عليه السلام عينَ ملك الموت ففقأها. ـ قال: ـ فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني. ـ قال: ـ فردَّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما**

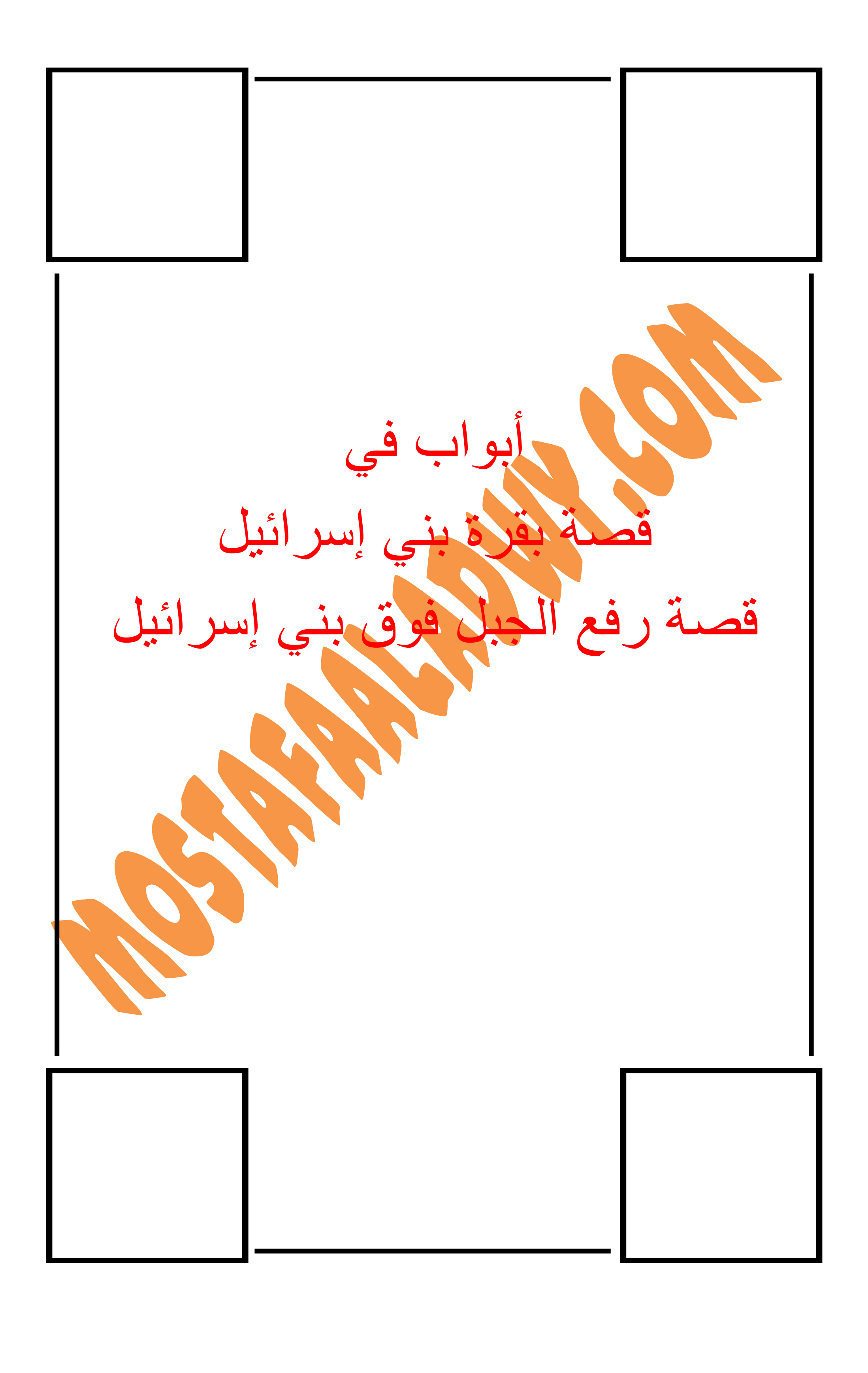
(١) مسلم ص (١٨٤٣)، وقد روي موقوفًا، انظر البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم ص (١٨٤٢)، وقد تقدَّم بلفظ آخر قريبًا.

توارت يدك من شعره، فإنك تعيشُ بها سنة. قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب. ربِّ أمتني من الأرض المقدَّسة رمية بحجر» قال رسول الله ﷺ: **«والله، لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر».**

هذا وقد قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختلف، هل كان معهم موسى وهارون؟ فقيل: لا؛ لأن التيه عقوبة، وكانت سِنو التيه بعدد أيام العجل، فقوبلوا على كل يوم سنة؛ وقد قال: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥] وقيل: كانا معهم لكن سهّل الله الأمر عليهما، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، ومعنى ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ أي: أنهم ممنوعون من دخولها، كما يقال: حرَّم الله وجهك على النار، وحرمت عليك دخول الدار، فهو تحريم منع لا تحريم شرع، عند أكثر أهل التفسير.





أبواب في

قصة بقرة بني إسرائيل

قصة رفع الجبل فوق بني إسرائيل


MOSTAFAALADWY.COM

قصة بقرة بني إسرائيل ومعجزة إحياء الميت

أولاً: الآيات الواردة في ذلك.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٦٧-٧٤].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾	أتهزأ بنا وتسخر منا؟
﴿فَارِضٌ﴾	هرمة مُسنة.
﴿بِكْرٌ﴾	البكر هي: الصغيرة التي لم يفتحلها الفحل.
﴿عَوَانٌ﴾	وسط (أي: وسط بين الفارض والبكر) وقال بعض العلماء: هي التي ولدت مرة أو مرتين.
﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾	شديد الصفرة.
﴿تَشَٰبَهَ﴾	اختلط.



الكلمة	معناها
﴿لَا ذَلُولٌ﴾	لم يذللها العمل.
﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾	تقلبها للحرث (والمعنى: أنها لا تثير الأرض أي: ليست ذلولًا؛ لأنها لا تثير الأرض).
﴿مُسَلَّمَةٌ﴾	صحيحة سليمة من العيوب.
﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾	ليس فيها بياض ولا سواد[1] ولا حمرة (أي: صفراء لا يخالطها لون آخر) وأصله: من وشْيِ الثوب وهو: تحسينه بالألوان.
﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾	كادوا أن لا يفعلوا.
﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾	اختلفتم ـ تنازعتم ـ تخاصمتم.
﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾	ما كنتم تسرونه من أمر القاتل وقاتله.
﴿بِغَافِلٍ﴾	الغفلة هي: ترك الشيء على وجه السهو.

وعن المعنى الإجمالي للآيات:

فهذه قصة بقرة بني إسرائيل التي أمر موسى عليه السلام قومه بذبحها، والتي تسمت سورة البقرة بالبقرة لذكر البقرة فيها، هذه القصة مطلعها قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، وذلك لما قتل في بني إسرائيل قتيلٌ ولم يتعرفوا على قاتله فاختلفوا وكادت أن تنشب بينهم حروب فذهبوا لموسى عليه السلام يطلبون منه الحكم في المسألة ويطلبون رأيه في المسأله، فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾.

وهذا الذي ذكرته مستفادٌ معناه من آخر القصة إذ فيها ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ وهذا من المؤخر في السياق لكن

---

(١) ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: لا شية فيها، أي: لا سواد فيها كما في (مرويات الإمام أحمد في التفسير).

متقدم في المعنى فقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ ورد في السياق القرآني الكريم قبل قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾.

لكن معناه بلا شك بعده، أي: أن موسى ما قال لهم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة إلا بعد أن قتلوا نفسًا فادارءوا فيها. وهذا واضح والحمد لله.

وأعود فأقول: إن بني إسرائيل لما ذهبوا إلى موسى عليه السلام يستفتونه في شأن القتيل قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾[1].

فظنوا أنه يستهزأ بهم ويسخر منهم وما كان لنبي أن يستهزأ بقومه وأن يسخر منهم وهم يستفتونه ويسألونه عن أمرٍ من أمور دينهم الشاهد أنهم قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ أتهزأ بنا وتسخر منا.

وماذا عساه أن ينفع ذبح البقرة في قصة الخصومة في رجل قتيل قد قُتل؟!

فعندها أجاب موسى عليه السلام وعلمنا درسًا!! فقال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

ألجأ إلى الله عز وجل وأسأله مستجيرًا به كي يحفظني كي لا يدخلني مع الجاهلين المستهزئين بأحكام الله وبدين الله!!

---

(١) ذكر البعض أن القائل كان أخًا للمقتول، وقال آخرون كان ابن عمه أقوال أُخر وكلها لا تضر إن شاء الله. فالعبرة حاصلة على أي حال. هذا، وقد أخرج الطبري (١١٧٢) وابن أبي حاتم (٦٩٥) بإسنادٍ صحيح عن عبيدة السلماني قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم ـ أو عاقر ـ قال: فقتله وليه، ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهى: أتقتلون وفيكم رسول الله؟! قال: فأتوا نبي الله. فقال: اذبحوا بقرة. فقالوا: أتتخذنا هزوًا، قال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ﴾، إلى قوله: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧-٧١] قال: فضُرب، فأخبرهم بقاتله.

قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبًا، قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك.

وذلك لأن السخرية أثناء تبليغ دين الله ودعوة الله عَزَّوَجَلَّ، تعدُّ جهلًا وسفهًا!!
وفي تعوّذ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالله والتجائه إليه درسٌ لنا، فلا نتكل على أنفسنا، فالذي يحفظنا ويسلمنا من الجهل هو الله سبحانه وتعالى!!

فلما رأى الإسرائيليون الجدَّ من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذوا كلامه مأخذ الجد أيضًا فسألوه ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾!!

فأجابهم نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ﴾ ليست هرمة كبيرة السن ﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾ بل قد افتحلها الفحل أي: أنها قد جامعها الفحل ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: وسط بين الفارض والبكر ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ۝٦٨﴾ أي: افعلوا ما أمرتكم به ولا تتأخروا ولا تتنطعوا ولا تمتنعوا!!

ولكنهم تنطعوا وتأخروا فقالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: ربي ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾.

إن سألتم عن لونها فإنها بقرة صفراء شديدة الصفار تسر الناظرين.

فرجعوا عليه أيضًا بالسؤال قائلين: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ۝٧٠﴾.

فأجابهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ -والوقف هنا أصح كما قال جمهور العلماء- والمعنى أنه سبحانه وتعالى نفى عنها إثارة الأرض، كسياق الآية الكريمة: ﴿لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: لم يُذلها العمل بإثارة الأرض فهي لم تذل بإثارة الأرض ولا بسقي الحرث، والله أعلم.

فقوله: ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ معناه أيضًا أنها لم تذلل ولم تعمل في سقاية الأرض.

فلما وصف لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البقرة بهذه الأوصاف ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾، فاهتدوا إلى البقرة المطلوبة وعرفوها، ولكنهم ترددوا في ذبحها، قال تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

ولماذا كان هذا التردد منهم؟

لماذا كادوا ألا يذبحوا البقرة؟

أجاب العلماء على ذلك بأجوبةٍ:

❁ منها: أنه لغلاء ثمن البقرة التي انطبقت عليها تلك المواصفات التي ذكرها لهم نبي الله موسى ﷺ، وقد ذكر البعض أن أصل ثمنها كان قليلاً[1] إلا أن صاحبها رفع ذلك الثمن.

❁ ومنها: أنهم كادوا ألا يذبحوها خوفًا من الفضيحة التي ستحل بالقاتل وقومه.

ولا مانع من أن يكون المانع لهم من المبادرة إلى الذبح الأمرين معًا (أي: غلاء الثمن وخوف الفضيحة) وهذا هو الذي جنح إليه الطبري ﷺ، فقال ﷺ في تفسيره: والصواب من التأويل عندنا أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلَّتين كلتيهما إحداهما غلاء ثمنها، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها، والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار نبي الله موسى ـ صلوات الله عليه وأتباعه ـ على قاتله.

أما الحافظ ابن كثير ﷺ فصوَّب ما أورده من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١] يقول: كادوا لا يفعلون ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا ألا يذبحوها وهذا الذي أورده ابن كثير عن ابن عباس ضعيف الإسناد عن ابن عباس[2] قال ابن كثير رحمه الله في شرح «أثر ابن عباس» رضي الله عنهما: يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا

---

(١) أما كون ثمنها كان قليلاً فروى الطبري (١٢٨٨)، وابن أبي حاتم (٧٤٩) بإسناد صحيح إلى عكرمة قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير.

(٢) فقد أخرجه الطبري (١٢٧٧) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف فضلاً عن انقطاعه.

بعد الجهد، وفي هذا ذمٌّ لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها.

قلت: وهذا استنادًا إلى «أثر ابن عباس» الضعيف، وأيضًا يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن في قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:٧٠]، ما يرد هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم.

ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر سبب ذهابهم إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأمر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم بذبح البقرة فقال: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ أي: اختلفتم وتنازعتم في يقين القاتل وتخاصمتم بسبب ذلك ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾.

أي والله عَزَّ وَجَلَّ مظهر ما كنتم تسرونه في نفوسكم من أمر القاتل وقاتله.

ثم أعود قائلًا: إنهم ذبحوا البقرة كما أمرهم نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك بعد ترددهم في ذبحها كما أوضحت، فأمرهم نبيهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ –وبأمر الله له بذلك– أن يضربوا القتيل ببعض هذه البقرة، وعن المراد بالبعض الذي ضرب به الإسرائيليون القتيل فأقول وبالله التوفيق.

ليس في الآية الكريمة شيء واضح يبين ما هو هذا البعض الذي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُضرب به الميت، ولا نعلم شيئًا من سنة رسول الله ﷺ يوضح هذا البعض كذلك، ولم يُطبق المفسرون على شيء واحدٍ في هذا الباب أيضًا.

❁ **وكما قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يضرُّ الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله.

❁ **وقال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا البعض أي شيءٍ كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معينًا في نفس الأمر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكن أبهمه ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه

الله تعالى.

قُلْتُ (مصطفى): والأمر كما قال العالمان الجليلان الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى، وعلى هذا المنوال نسير في مثل هذه المواطن التي سكت عنها ربنا سبحانه ولم يبينها نبينا ﷺ، فثمَّ خلافات لا طائل لها في مسائل ليس من وراء معرفتها كبير فائدة ولا صغيرها يضيع فيها كثيرٌ من المفسرين أوقاتًا ويسودون بها صفحات، ولا طائل من وراء هذا التضييع وذاك التسويد، ومن أمثلة هذا مثلاً أوقاتًا يضيعها بعض المفسرين في تسمية كلب أهل الكهف وتسمية حمار العزير، وتسمية امرأة العزيز، وتسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وعدد أصحاب الكهف وصفتهم، و.... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يُرجى من ورائها فائدة، إذ لو كان من وراء معرفتها فائدة لبينها لنا ربنا ﷻ في كتابه الكريم الذي ما فرط فيه من شيء، ولأوضحها لنا نبينا ﷺ.

هذا، ويقف الشخص متأملاً هذا المشهد، مشهد اجتماع الناس لرؤية ما سيحدث!! لرؤية النتيجة –نتيجة ما أمر به موسى عليه السلام من ذبح البقرة.

فقد شاع الخبر في الناس وانتشر، انتشر أن أهل القتيل ذهبوا إلى موسى عليه السلام في شأن قتيلهم فأمرهم بذبح بقرة، فها هي الجموع قد اجتمعت لرؤية المشهد والحدث!!

اتبعت الجموع وأتي بالشخص المقتول، أُتي به بعد أن خرجت روحه من جسده!!

أُتي به أمام الناس وهو مقتول مطروحٌ بين أيديهم!! فقال موسى عليه السلام: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾ فضربوه ببعض أجزاء البقرة على مرأى ومشهد من الناس كلهم!!، فقام المقتول!! أحياه الله!! بدأ يتكلم وأخبر بقاتله، قتلني فلان!!

فياله من منظرٍ مُؤثرٍ!! ويالها من قدرة الله عز وجل فهو الذي يحيى الموتى، يا لها من آيةٍ معجزةٍ تؤثر في قلب من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!!

الميت يقوم ويُخبر بقاتله

فالحاصل أنهم لما ضربوا الميت ببعض أجزاء البقرة أحياه الله عَزَّوَجَلَّ، والله على كل شيء قدير، فقام الميت وأخبر بقاتله إنه حدث عظيم دالٌّ على صدق نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في نبوته ورسالته!!

فيالها من معجزة عظيمة أن يقوم القتيل بعد أن قُتل ويخبر بقاتله!!

إنه أمرٌ لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى!!

ولكن هل انتفع الإسرائيليون بهذه المعجزة؟!!

هل انتفعوا بهذه الآية الدالة على قدرة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته وعلى صدق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في رسالته؟!!

كلا بل قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

فعياذًا بالله من قسوة القلوب.

فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ أحيا الميت وكلمهم الميت ثم تقسو القلوب من بعد ذلك، بل وتكون كالحجارة، بل أشد قسوة من الحجارة؟ فأي قلوب هذه!! وأي قوم هؤلاء؟؟!!

قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

و (أو) هنا قال بعض العلماء معناها: بل.

وقال آخرون: إن منهم من قلبه كالحجارة ومنهم من قلبُهُ أشد قسوة من الحجارة.

ومن العلماء من قال: (أو) بمعنى (الواو) وكون القلوب أشد قسوةً من الحجارة لأن الله عَزَّوَجَلَّ أعطى الحجارة المعرفة والفهم فهي تعقل طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وتطيعه، ومستند ذلك من الكتاب العزيز والسنة المباركة ما يلي:

❁ قـــول الله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾.

[الإسراء:٤٤]

❁ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ...﴾ [الحج:١٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿... ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١].

❁ وقوله جل ذكره: ﴿...وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣].

❁ وقـال تعـالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

❁ وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦].

❁ وقال تعالى: ﴿...وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:٧٤][1].

❁ وقال النبي ﷺ: «إني أعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ».

---

(١) صح عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم في التفسير (٧٦٧) أنه قال في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:٧٤] قال: إن الحجر ليقع إلى الأرض فلو اجتمع عليه فئام من الناس ما استطاعوا به، وإنه ليهبط من خشية الله.

وقد أعله المعلق على ابن أبي حاتم بأحد رجاله وهو (عبيد الله بن موسى) ولا يوافق المعلق على الإعلال في مثل هذا الموطن، فعبيد الله بن موسى من رجال الجماعة. والأمر فيه يحتاج إلى تفصيل أوسع مما ذكره المعلق حفظه الله، وهو يروي الحديث عن إسرائيل وقد قال الحافظ ابن حجر فيه: (هو أثبت في إسرائيل من أبي نعيم) وهذا التعليق يحتاج إلى إطالة ليس محلها هذا التفسير، وبالله التوفيق.

❁ **وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أحدٌ جبل يحبنا ونحبه».**

❁ وقد حن الجذع لرسول الله ﷺ.

❁ وقد سبح الحصى في يد رسول الله ﷺ.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾ فالمراد منه -والله أعلم- التهديد والتحذير من مخالفة أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

ويؤخذ من قصة البقرة:

أن التعمق في سؤال الأنبياء والعلماء عن المسكوت عنه مذموم ومن شدد شدد الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

وإيضاح ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بني إسرائيل بذبح بقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة:٦٧]، ولم يبين لهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ شروطًا لها فلو ذبحوا أي بقرة أجزأتهم وكانوا قد امتثلوا أمر الله تعالى، فلما طلبوا بيانًا عن سنِّها بقولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة:٦٨] كان هذا منهم تشديدًا على أنفسهم فشُدِّد عليهم ثم تعنتوا تعنتًا آخر فقالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البقرة:٦٩]... ثم تعنتًا ثالثًا بقولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة:٧٠] فكل هذا منهم تشديدٌ على أنفسهم.

وقد قال عبيدة السلماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلو لم يعترضوا البقرة لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فُشدِّد عليهم. وتقدم الأثر عنه في ذلك.

وقال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: لو أخذ بنو إسرائيل بقرة لأجزأت عنهم ولولا قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ لما وجدوها.

وصح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا **أنه قال:** لو أخذوا أدنى بقرةٍ اكتفوا بها لكنهم

---

(١) أخرجه الطبري (١٢٣٩).

شددوا فشدِّد عليهم[(١)].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرة من البقر - أي بقرة شاءوا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع أو صنف دون صنف - فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم، وسوء أفهامهم، وتكلف ما قد وضع الله عنهم مؤونته، تعنتا منهم لرسول الله ﷺ فذكر بأسانيده إلى السلف ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ وقال ص (١٩٨):

ومعنى ذلك: قال قوم موسى لموسى: ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها؟ أي لون البقرة التي أمرتنا بذبحها. وهذا أيضا تعنت آخر منهم بعد الأول، وتكلف طلب ما قد كانوا كفوه في المرة الثانية والمسألة الآخرة. وذلك أنهم لم يكونوا حصروا في المرة الثانية - إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها، فأبوا إلا تكلف ما قد كفوه من المسألة عن صفتها، فحصروا على نوع دون سائر الأنواع، عقوبة من الله لهم على مسألتهم التي سألوها نبيهم ﷺ، تعنتا منهم له. ثم لم يحصرهم على لون منها دون لون، فأبوا إلا تكلف ما كانوا عن تكلفه أغنياء، فقالوا - تعنتا منهم لنبيهم ﷺ كما ذكر ابن عباس-: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ فقيل لهم عقوبة لهم: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾. فحصروا على لون منها دون لون. ومعنى ذلك: أن البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراء فاقع لونها.

قال أبو جعفر: يعني بقوله: ﴿قَالُواْ﴾ قال قوم موسى - الذين أمروا بذبح البقرة - لموسى. فترك ذكر موسى، وذكر عائد ذكره، اكتفاء بما دل عليه ظاهر الكلام. وذلك أن معنى الكلام: قالوا له: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾. فلم يذكر «له» لما وصفنا.

---

(١) الطبري (١٢٣٥).

وقوله: ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾، خبر من الله عن القوم بجهلة منهم ثالثة. وذلك أنهم لو كانوا، إذ أمروا بذبح البقرة، ذبحوا أيتها تيسرت مما يقع عليه اسم بقرة، كانت عنهم مجزئة، ولم يكن عليهم غيرها، لأنهم لم يكونوا كلفوها بصفة دون صفة. فلما سألوا بيانها بأي صفة هي، بين لهم أنها بسن من الأسنان دون سن سائر الأسنان، فقيل لهم: هي عوان بين الفارض والبكر والضرع. فكانوا - إذْ بينت لهم سنها- لو ذبحوا أدنى بقرة بالسن التي بينت لهم، كانت عنهم مجزئة، لأنهم لم يكونوا كلفوها بغير السن التي حدت لهم، ولا كانوا حصروا على لون منها دون لون. فلما أبوا إلا أن تكون معرفة لهم بنعوتها، مبينة بحدودها التي تفرق بينها وبين سائر بهائم الأرض، فشددوا على أنفسهم - شدد الله عليهم بكثرة سؤالهم نبيهم واختلافهم عليه. ولذلك قال نبينا ﷺ لأمته: «**ذروني ما تركتكم، فإنما أُهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوه، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم**»[1].

قول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في قصص الأنبياء في شأن قصة بقرة بني إسرائيل:

قال رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَثِيرَ الْمَالِ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، وَلَهُ بَنُو أَخٍ، وَكَانُوا يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَهُ لِيَرِثُوهُ، فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ فِي اللَّيْلِ وَطَرَحَهُ فِي مَجْمَعِ الطُّرُقِ، وَيُقَالُ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْهُمْ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ اخْتَصَمُوا فِيهِ، وَجَاءَ ابْنُ أَخِيهِ فَجَعَلَ يَصْرُخُ وَيَتَظَلَّمُ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ تَخْتَصِمُونَ وَلَا تَأْتُونَ نَبِيَّ اللهِ؟ فجاء ابْن أَخِيه فَشَكا أَمر عَمه إِلَى رَسُول الله مُوسَى ﷺ.

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْقَتِيلِ إِلَّا أَعْلَمَنَا

(١) الطبري (٢/ ١٨٩).

بِهِ» فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ علم مِنْهُ.

وَسَأَلُوهُ أَنَّ يَسْأَلَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

فَسَأَلَ ربه عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ، فَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ.

فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ يَعْنُونَ نَحْنُ نَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِ هَذَا الْقَتِيلِ، وَأَنت تقول لنا هَذَا؟ ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ أَيْ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَقُولَ عَنْهُ غَيْرَ مَا أَوْحَى إِلَيَّ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَجَابَنِي حِينَ سَأَلته عَمَّا سألتموني أَنْ أَسْأَلَهُ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبِيدَةُ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيُّ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: فَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَيِّ بَقَرَةٍ فَذَبَحُوهَا لحصل الْمَقْصُود مِنْهَا، وَلَكِنهُمْ شَدَّدُوا فَشدد عَلَيْهِمْ. وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ.

فَسَأَلُوا عَنْ صِفَتِهَا، ثُمَّ عَنْ لَوْنِهَا، ثُمَّ عَنْ سِنِّهَا، فَأُجِيبُوا بِمَا عَزَّ وجوده عَلَيْهِم.

وَقد ذكرنَا تَفْسِير ذَلِكَ كُلِّهِ فِي التَّفْسِيرِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ أمروا بِذبح بقرة عوان، وَهِيَ الْوسط النّصْف بَين الْفَارِضِ وَهِيَ الْكَبِيرَةُ، وَالْبِكْرُ وَهِيَ الصَّغِيرَةُ.

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَعِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَجَمَاعَةٌ.

ثُمَّ شَدَّدُوا وَضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَسَأَلُوا عَنْ لَوْنِهَا، فَأُمِرُوا بِصَفْرَاءَ فَاقِعٍ لَوْنُهَا، أَي مشرب بحمرة، تسر الناظرين، وَهَذَا اللَّوْن عزيز.

ثم شَدَّدُوا أَيْضا ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾. فَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ

مَرْدَوَيْهِ: «**لَوْلَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَثْنَوْا لَمَا أُعْطُوا**»[١] وَفِي صِحَّتِهِ نَظَرٌ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وَهَـٰذِهِ الصِّفَاتُ أَضْيَقُ مِمَّا تَقَدَّمَ، حَيْثُ أُمِرُوا بِذَبْحِ بَقَرَةٍ لَيْسَتْ بِالذَّلُولِ، وَهِيَ الْمُذَلَّلَةُ بِالْحِرَاثَةِ وَسَقى الأَرْضِ بالسَّاقِيةِ، مُسَلَّمَةٌ، وَهِيَ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا عَيْبَ فِيهَا، قَالَه أَبُو الْعَالِيَة وَقَتَادَة.

وَقَوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أَيْ لَيْسَ فِيهَا لَوْنٌ يُخَالِفُ لَوْنَهَا، بَلْ هِيَ مُسَلَّمَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ، وَمِنْ مُخَالَطَةِ سَائِرِ الْأَلْوَانِ غَيْرِ لَوْنِهَا.

فَلَمَّا حَدَّدَهَا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، وَحَصَرَهَا بِهَذِهِ النُّعُوتِ وَالْأَوْصَافِ ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾.

وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا هَذِهِ الْبَقَرَةَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَانَ بَارًّا بِأَبِيهِ، فَطَلَبُوهَا مِنْهُ فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَأَرْغَبُوهُ فِي ثَمَنِهَا حَتَّى أَعْطَوهُ، فِيمَا ذكره السُّدِّيُّ، بِوَزْنِهَا ذَهَبًا فَأَبَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى أَعْطَوْهُ بِوَزْنِهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَبَاعَهَا مِنْهُمْ.

فَأَمَرَهُمْ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى بِذَبْحِهَا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أَيْ وَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي أَمْرِهَا.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ عَنِ اللهِ أَنْ يَضْرِبُوا ذَلِكَ الْقَتِيلَ بِبَعْضِهَا قِيلَ: بِلَحْمِ فَخِذِهَا، وَقِيلَ: بِالْعَظْمِ الَّذِي يَلِي الغضروف، وَقيل: بالبضعة الَّتِي بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ، فَلَمَّا ضَرَبُوهُ بِبَعْضِهَا أَحْيَاهُ الله تَعَالَى، فَقَامَ وَهُوَ يشخب أوداجه، فَسَأَلَهُ نَبِي الله مُوسَى مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: قَتَلَنِي ابْنُ أَخِي. ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أَيْ

---

(١) ضعيف جدًّا: في سنده عباد من منصور، وسرور بن المغيرة وهما ضعيفان وثمَّ أوجه أخر للتضعيف.

كَمَا شَاهَدْتُمْ إِحْيَاءَ هَذَا الْقَتِيلِ عَنْ أَمْرِ اللهِ لَهُ، كَذَلِكَ أَمْرُهُ فِي سَائِرِ الْمَوْتَى، إِذَا شَاءَ إِحْيَاءَهُمْ أَحْيَاهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَة كَمَا قَالَ: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨].

قصة رفع الجبل فوق بني إسرائيل

الآيات الواردة في ذلك ومعناها:

آية البقرة: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٣، ٦٤].

تفسير الآية المباركة:

يقول الله تعالى ذكره لبني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ أي: واذكروا الوقت الذي أخذنا فيه ميثاقكم.

أما الميثاق فلأهل العلم فيه أقوال:

❁ منها: أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

❁ ومنها: أن هذا الميثاق هو العمل بالتوراة والإيمان بما جاء فيها.

❁ ومنها: أن هذا الميثاق هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]، والعلم عند الله تعالى.

أما الطور: فلأهل العلم فيه ثلاثة أقوال:

❁ **منها:** أن الطور هو الجبل (أيُّ جبل كان).

❁ **ومنها:** أنه نوع مخصوص من الجبال وهي الجبال التي تنبت دون ما لا ينبت من الجبال.

❁ **ومنها:** أنه الجبل الذي ناجى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسى ﷺ عليه، ويشهد لهذا الأخير قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿... ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ...﴾ [القصص: ٢٩].

أما عن المعنى الإجمالي: فحاصله واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم عند رفع جبل الطور عليكم، وهذا على ظاهره فقد ارتفع الجبل فوقهم وهددوا بإسقاطه عليهم وذلك لكونهم رفضوا أن يعملوا بالتوراة فالجبل اقتلع من أصله ورفع عليهم كأنه ظلَّة وقال الله لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ أي: امتثلوا تعاليم التوراة وأقبلوا عليها بجدٍّ واجتهادٍ وإلا قذفناه عليكم، واذكروا ما فيها، أي: ما في التوراة من الوعد والوعيد وتدبروه واعملوا بمقتضاه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون بذلك العذاب ويصرف عنكم العقاب.

ولكنكم يا بني إسرائيل ما امتثلتم ولا أذعنتم، بل أعرضتم وانصرفتم من بعد أن أخذنا عليكم العهد والميثاق ومن بعد البرهان الذي أقمناه عليكم بالترهيب الذي رهبناكم به وهو رفع الجبل فوقكم ولولا أن الله عَزَّوَجَلَّ تفضل عليكم ورحمكم وأمهلكم وعفا عنكم ووفقكم للتوبة والإنابة لكنتم من الخاسرين، الذين خسروا آخرتهم وضيعوا أنفسهم.

هذا، وقد صح عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عند الطبري أنه قال: أسلم وهو متكلم فيه قال: لما رجع موسى من عند ربه بالألواح. قال لقومه بني إسرائيل: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي

نهاكم عنه فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة، حتى يطلع الله إلينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى، فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ فجاءت غضبة من الله، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم، فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله بعد موتهم، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله. فقالوا: لا. قال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: متنا ثم حيينا. قال: خذوا كتاب الله. قالوا: لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم، فقيل لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الطور! قال: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم. قال: فأخذوه بالميثاق، وقرأ قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٣ - ٨٥]، قال: ولو كانوا أخذوه أول مرة، لأخذوه بغير ميثاق. روى ابن جرير الطبري ﷺ: (١١١٨) بإسناد حسن عن قتادة أنه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] قال: الطور: الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] فأقروا بذلك.

آية سورة الأعراف:

قال الله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١].

معاني مفردات الآية الكريمة:

الكلمة	معناها

﴿نَتَقۡنَا﴾	رفعنا – اقتلعنا.
﴿ظُلَّةٞ﴾	مظلة كالسحاب الذي يستظل به.
﴿وَظَنُّوٓاْ﴾	أيقنوا.
﴿وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾	ساقط عليهم.
﴿بِقُوَّةٖ﴾	بجدٍّ واجتهاد.
﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾	تذكروا ما فيه.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

المعنى، والله أعلم، واذكر إذا اقتلعنا الجبل من أصله ورفعناه فوق بني إسرائيل لما رفضوا أن يعملوا بالتوراة فأصبح الجبل فوقهم كالمظلة التي يستظل بها، ثم ألزمهم الله عَزَّوَجَلَّ العمل بالتوراة فقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي: أقبلوا على التوراة بجد واجتهاد ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الشرائع والأحكام والعهود والمواثيق التي أُلزمتم بها ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ كي تتقوا ربكم عَزَّوَجَلَّ فتجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر، يا محمد، إذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل، كأنه ظلة غمام من الظلال وقلنا لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾، من فرائضنا، وألزمناكم من أحكام كتابنا، فاقبلوه، اعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توانٍ ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ يقول ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، يقول: كي تتقوا ربكم، فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المَواثيق.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسنادٍ حسن عن قتادة:

﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي:

بجد ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ جبل نزعه الله من أصله، ثم جعله فوق رؤوسهم، فقال: لتأخذُنَّ أمري، أو لأرمينَّكم به!

قول الحافظ ابن كثير في «قصص الأنبياء» في شأن رفع الجبل فوق بني إسرائيل:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْأَلْوَاحِ فِيهَا التَّوْرَاةُ أَمَرَهُمْ بِقَبُولِهَا وَالْأَخْذِ بِهَا بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ.

فَقَالُوا: انْشُرْهَا عَلَيْنَا فَإِنْ كَانَتْ أَوَامِرُهَا وَنَوَاهِيهَا سَهْلَةً قَبِلْنَاهَا.

فَقَالَ: بَلِ اقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا، فَرَاجَعُوهُ مِرَارًا، فأمر الله الْمَلَائِكة فرفعُوا الْجَبَلَ على رؤوسهم حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ، أَيْ غَمَامَةٌ، عَلَى رؤوسهم.

وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا وَإِلَّا سَقَطَ هَذَا الْجَبَلُ عَلَيْكُمْ فَقَبِلُوا ذَلِكَ وَأُمِرُوا بِالسُّجُودِ فَسَجَدُوا، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ بِشِقِّ وُجُوهِهِمْ، فَصَارَتْ سُنَّةً لِلْيَهُودِ إِلَى الْيَوْمِ، يَقُولُونَ لَا سَجْدَةَ أَعْظَمُ مِنْ سَجْدَةٍ رَفَعَتْ عَنَّا الْعَذَابَ.

وَقَالَ سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ[1] عَنْ حَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: فَلَمَّا نَشَرَهَا لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا اهْتَزَّ، فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ تَقْرَأُ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ إِلَّا اهْتَزَّ وَنَفَضَ لَهَا رَأْسَهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ﴾ أَيْ ثُمَّ بَعْدَ مُشَاهَدَةِ هَذَا الْمِيثَاقِ الْعَظِيمِ وَالْأَمْرِ الْجَسِيمِ نَكَثْتُمْ عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ ﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بِأَنْ تداركَكم بالإرسال إِلَيْكُم وإنزال الْكتب عَلَيْكُم. ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

خروج موسى عليه السلام مع سبعين رجلٍ من قومه لميقات ربِّه عز وجل وتوبة فريق من الإسرائيليين من الذنب

(١) سنيد ضعيف.

الآيات الواردة في ذلك:

قال الله تعالى:

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥-١٥٨].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾	واختار موسى من قومه.
﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾	للوقت والأجل الذي وعده الله أن يأتيه فيه.
﴿ٱلرَّجۡفَةُ ﴾	الزلزلة التي أهلكتهم- رجفةٌ حلَّت بهم فماتوا بسببها.
﴿فِتۡنَتُكَ ﴾	اختبارك-ابتلاؤك- عذابك.

الكلمة	معناها
﴿وَلِيُّنَا﴾	ناصرنا.
﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾	فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا.
﴿وَٱرْحَمْنَا﴾	تعطف علينا برحمتك.
﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾	خيرُ من صفح عن جُرْمٍ وستر على ذنبٍ.
﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾	أثبت لنا (في صحائفنا) - أوجب لنا.
﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾	تبنا إليك- رجعنا إليك.
﴿يُؤْمِنُونَ﴾	يصدقون.
﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾	الذي لا يقرأ ولا يكتب.

الكلمة	معناها
﴿إِصْرَهُمْ﴾	العهود والمواثيق الثقيلة التي أُخذت عليهم على لسان أنبيائهم.
﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾	الأثقال والأحكام الثقيلة الشاقة.
﴿وَعَزَّرُوهُ﴾	وَقَّروه- دافعوا عنه- أعانوه.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

ذكر بعض أهل العلم، والعلم عند الله ﷻ، أن بني إسرائيل لما صدر منهم ما صدر قالوا: افتح لنا بابًا للتوبة والرجوع إلى الله كي يغفر لنا ربنا ما صدر منا من عبادة العجل فاختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلًا كي يخرج بهم في الموعد الذي وعده ربُّه أن يأتي فيه كي يستغفروا الله ﷻ من الذنب العظيم الذي وقع فيه بعضهم بعبادتهم العجل واتخاذه إلهًا.

۞ **وقال آخرون:** بل خرج بهم لدعاء ربهم ﷻ وسؤاله وتلقي الأوامر والنواهي.

۞ وذكر البعض أثرًا ضعيفًا مؤداه: أن موسى عليه السلام خرج مع أخيه هارون

عَلَيْهِ السَّلَامُ وشبرٌ وشبير (رجلان) فانطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ فمات فرجع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قومه فسألوه عن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: توفاه الله، قالوا: أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه، قال: فاختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلًا......الأثر.

وهذا الأخير يبدو عليه الضعف، ففي سنده عمارة بن عبد السلولي لا يرتقي حديثه للحسن، ثم إن الأثر فيه أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لهم: اختاروا من شئتم، والآية فيها واختار موسى قومه سبعين رجلًا.

فالذي يظهر: أن القول الأول والثاني أقوى من الأخير، والله أعلم.

هذا، وعن الميقات المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾؟

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي هذا الميقات أربعة أقوال:

أحدها: أنه الميقات الذي وَقَّتَهُ الله لموسى ليأخذ التوراة، أُمر أن يأتيَ معه بسبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البِكَاليُّ.

والثاني: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ليدعوا ربّهم، فدعوا فقالوا: اللهمّ أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتقِ بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك قاله وهب بن منبه.

والرابع: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر

إليه من فِعْل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربّه إلا بإذن منه.

أما لماذا أخذتهم الرجفة:

فقد قال بعض أهل العلم: إنما أخذتهم الرجفة؛ لأنهم سألوا الله عَزَّوَجَلَّ ما ليس لهم، وكان مما ذُكر في هذا الصدد- ولا يثبت له سند عن رسول الله ﷺ أنهم قالوا: اللهم أعطنا ما لم تُعطه أحدًا قبلنا ولا أحدًا بعدنا.

❁ **وقال آخرون:** إن الرجفة أخذتهم لكونهم طلبوا أن يروا الله عَزَّوَجَلَّ جهرةً.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

وهذا القول الأخير أقرب الأقوال -فيما أرى- من الصحة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بالصواب. وثمَّ قول آخر وهو أن الرجفة أخذتهم؛ لأنهم ادعوا على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قتل أخيه هارون، وقد بينت من قبل ضعف هذا الوجه والله أعلم.

أما عن معنى قوله نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ وما المستفاد من ذلك فأقول وبالله التوفيق:

المعنى، والله تعالى يا رب لو شئت أهلكتني وهؤلاء السبعين من قبل أن نأتي لتكليمك في هذا المكان.

أما المستفاد من ذلك- كما أشار إليه بعض أهل العلم- هو أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يدفع عن نفسه الشبهة، فقد يتهم بأنه قتل السبعين، فقال من ثَمَّ: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي.

أما عن قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾.

فقد قال بعض أهل العلم: هذا معناه: لا تهلكنا بفعل السفهاء منا، فالمعنى الدعاء والطلب.

وقيل: المعنى إنك يا رب لا تفعل ذلك، وكأن الأول أولى، والله أعلم.

هذا، وعن السفهاء والمراد بهم، فلأهل العلم في ذلك أقوال:

قيل: إن السفاء هم عبدة العجل.

وقيل: إنهم الذين اتهموا موسى بقتل هارون.

وقيل: إنهم الذين سألوا موسى أن يريهم الله جهرة.

وقيل: إنهم من السبعين.

وقيل: هم الساكتون عن تغيير المنكر لما رأوه سكتوا عن النهي عن المنكر لما وجدوا القوم يعبدون العجل، والله أعلم.

وقيل: إن السبعين عوقبوا لكونهم لم يزايلوا المنكر حين رأوه (أي لم يتركوا مكان المنكر.....).

أما قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾.

فقد قال كثير من أهل العلم: إن المعنى إن هذه الفَعْلَةَ التي فعلها قومي، وهي عبادتهم العجل إلا ابتلاء منك واختبار تضل بها من تشاء وتصرفه عن طريق الحق وتزيغه، وتهدي من تشاء على عبادتك وحدك لا شريك لك.

هذا، وقد قال آخرون من أهل العلم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ إن هذا إلا عذابك تعذِّب به من تشاء وتهدي من تشاء، إلا أن القول الأول أشهر وعليه الأكثر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أَيِ: ابْتِلَاؤُكَ وَاخْتِبَارُكَ وَامْتِحَانُكَ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَرَبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَلَا مَعْنَى لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ؛ يَقُولُ: إِنِ الأمرُ إِلَّا أمرُك، وَإِنِ الحكمُ إِلَّا لَكَ، فَمَا شِئْتَ كَانَ، تَضِلُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِل لِمَنْ هَدَيت، وَلَا مُعطِي لِمَا مَنَعت، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، فَالْمُلْكُ كُلُّهُ لَكَ، وَالْحُكْمُ كُلُّهُ لَكَ، لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾، فإنه يقول جل ثناؤه: ما هذه الفعلة التي فعلَها قومي، من عبادتهم ما عبَدُوا دونك، إلا فتنة منك أصَابتهم، ويعني بـ«الفتنة»، الابتلاء والاختبار يقول: ابتليتهم بها، ليتبين الذي يضل عن الحق بعبادته إياه، والذي يهتدي بترك عبادته. وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سببٍ منه جل ثناؤه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ أَيْ مَا هَذَا إِلَّا اخْتِبَارُكَ وَامْتِحَانُكَ.

وَأَضَافَ الْفِتْنَةَ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَمْ يُضِفْهَا إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فَأَضَافَ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ وَالشِّفَاءَ إِلَى اللهِ تَعَالَى: وَقَالَ يُوشَعُ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

وَإِنَّمَا اسْتَفَادَ ذَلِكَ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ قوله تعالى له: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: ٨٥].

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَرَأَى الْعِجْلَ مَنْصُوبًا لِلْعِبَادَةِ وَلَهُ خُوَارٌ قَالَ: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا﴾ أَيْ بِالْفِتْنَةِ. ﴿مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾ وهذا رد على القدرية.

وعن قول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾، يقول: أنت ناصرنا. ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، يقول: فاستر علينا ذنوبَنا بتركك عقابَنا عليها ﴿وَٱرۡحَمۡنَاۖ﴾، تعطف علينا برحمتك ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾، يقول: خير من صَفح عن جُرم، وسَتر على ذنب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ الغَفْر هُوَ: السَّتْرُ، وَتَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ، وَالرَّحْمَةُ إِذَا قُرِنَتْ مَعَ الْغَفْرِ، يُرَادُ بِهَا أَلَّا يُوقِعَهُ فِي مِثْلِهِ فِي

الْمُسْتَقْبَلِ، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ أَيْ: لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ هُنَاكَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ مِنَ الدُّعَاءِ دَفْعُ الْمَحْذُورِ، وَهَذَا لِتَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ.

أما المراد بالحسنة في قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فقد قال كثير من العلماء: إن المراد بها الأعمال الصالحة مع قول: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

معناه: والله تعالى أعلم، وفقنا للأعمال الصالحة التي تكتب لنا بها حسنات وأثبت لنا جزاءها حتى نلقاه في الآخرة.

وعن قوله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾.

فمعناه: والله تعالى أعلم، أن الله عَزَّوَجَلَّ يخبر أنه يعذب بعذابه من يشاء من خلقه لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه فهو يفعل ما يريد ويقضي بما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله أعلم.

وعن قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

فقد قال بعض أهل العلم: إن هذه الرحمة في الدنيا على العموم، أما في الآخرة فمخصوصة بالمؤمنين.

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه مسلم من حديث سلمان الفارسيِّ، قال: قالَ رسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية أُخرى عند مسلم: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ

الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[١].

قال ابن كثير:

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ آية عظيمة الشمول والعموم؛ كقوله تعالى إخبارًا عن حَمَلة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

۞ ومن العلماء من قال: إن مخرج الآية عام، لكن المراد منه أمة محمد ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقد أورد الطبري ها هنا آثارًا منه ما صح عن قتادة في قوله: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فقال إبليس: أنا من ذلك «الشيء»! فأنزل الله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معاصي الله، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فتمنتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطًا وثيقًا بيِّنًا، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، فهو نبيُّكم، كان أميًّا لا يكتُب ﷺ.

وثمَّ قولٌ ثالث: ألا وهو أن المراد بالرحمة هنا التوبة، وأورد الطبري بإسناد حسن عن ابن زيد في قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝١٥٥ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، فقال: سأل موسى هذا، فقال الله: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ العذاب الذي ذكر ﴿وَرَحْمَتِي﴾، التوبة ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قال: فرحمته التوبةُ التي سأل موسى عليه السلام، كتبها الله لنا.

وأما قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فإنه يقول: فسأكتب رحمتي التي وسعت كل شيء، ومعنى «أكتب» في هذا الموضع: أكتب في اللوح الذي كُتِب

---

(١) مسلم (٢٧٥٣).

فيه التوراة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يقول: للقوم الذين يخافون الله ويخشون عقابه على الكفر به والمعصية له في أمره ونهيه، فيؤدُّون فرائضه، ويجتنبون معاصيه.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمّة محمّد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابن عباس. والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البرَّ والفاجر، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة. فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويُدفع عنه، كقوله في حقّ قارون: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد.

والرابع: أن الرحمة تَسَع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدِّر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري. قال الزجاج: وسعت كل شيء في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

قيل: يتقون الشرك.

وقيل: يتقون المعاصي ويتقون الشرك.

وقد قال بعض العلماء: إن المراد بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أمة محمد ﷺ.

بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ والنبي الأمي هو رسول الله محمد ﷺ.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: لما قيل: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ تمنتها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطًا بيِّنًا وثيقًا

---

(١) الطبري بإسنادٍ حسن إلى قتادة (١٥٢٣٤).

فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ وهو نبيُّكم ﷺ كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب.

أما عن المراد بالزكاة في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

فلأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد زكاة الأموال، وهذا قول الجمهور.

الثاني: وأن المراد طاعة الله ورسوله، وتزكية النفس وطهارتها من الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ **معناه والمراد به:** أن النبي ﷺ مكتوبٌ في التوراة والإنجيل أنه سيخرج رسولًا نبيًّا إلى الناس، موصوفًا في التوراة وموصوفًا في الإنجيل، وكذا موصوفة أمته في التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾.

❁ وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري والطبري وغيرهما من طريق عطاء ابن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾، قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[١].

(١) البخاري (٤٨٣٨/٢١٢٥)، والطبري (١٥٢٣٦).

هذا، وتفسير سائر الآيات ليس له كبير تعلقٍ بالقصة.

وهذا قول الحافظ ابن كثير ﷺ في الآيات المذكورات من كتابه «قصص الأنبياء».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَكَرَ السُّدِّيُّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ كَانُوا عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَعَهُمْ مُوسَى وهارون ويوشع وناذاب وَأَبِيهُو، ذَهَبُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَعْتَذِرُوا عَن بني إِسْرَائِيل عَن عِبَادَةِ مَنْ عَبَدَ مِنْهُمُ الْعِجْلَ.

وَكَانُوا قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَتَطَيَّبُوا وَيَتَطَهَّرُوا وَيَغْتَسِلُوا، فَلَمَّا ذَهَبُوا مَعَهُ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْجَبَلِ وَعَلَيْهِ الْغَمَامُ وَعَمُودُ النُّورِ سَاطِع صعد مُوسَى الْجَبَلَ.

فَذَكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ اللهِ.

وَهَذَا قَدْ وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وَلَيْسَ هَذَا بِلَازِمٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] أَيْ مُبَلَّغًا، وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ سَمِعُوهُ مُبَلَّغًا مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَزَعَمُوا أَيْضًا أَنَّ السَّبْعِينَ رَأَوُا اللهَ، وَهَذَا غَلَطٌ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الرُّؤْيَةَ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

وَقَالَ هَاهُنَا:

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ [الأعراف:١٥٥].

قَالَ مُحَمَّد بن إِسْحَاق: اخْتَارَ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَبْعِينَ رَجُلًا: الْخَيِّرَ فَالْخَيِّرَ، وَقَالَ انْطَلِقُوا إِلَى اللهِ فَتُوبُوا إِلَيْهِ بِمَا صَنَعْتُمْ وَسَلُوهُ التَّوْبَةَ عَلَى مَنْ تَرَكْتُمْ وَرَاءَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ، صُومُوا وَتَطَهَّرُوا وَطَهِّرُوا ثِيَابَكُمْ.

فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ، لِمِيقَاتٍ وَقَّتَهُ لَهُ رَبُّهُ، وَكَانَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْهُ وَعِلْمٍ.

فَطَلَبَ مِنْهُ السَّبْعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللهِ، فَقَالَ: أَفْعَلُ.

فَلَمَّا دَنَا مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ، وَقَعَ عَلَيْهِ عَمُودُ الْغَمَامِ حَتَّى تَغَشَّى الْجَبَلَ كُلَّهُ، وَدَنَا مُوسَى فَدَخَلَ فِي الْغَمَامِ، وَقَالَ لِلْقَوْمِ: ادْنُوا.

وَكَانَ مُوسَى إِذَا كَلَّمَهُ اللهُ، وَقَعَ عَلَى جَبْهَتِهِ نُورٌ سَاطِعٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فضرب دونه الْحجاب، وَدَنَا الْقَوْمُ حَتَّى إِذَا دَخَلُوا فِي الْغَمَامِ وَقَعُوا سجودا، فسمعوه وَهُوَ يكلم مُوسَى، يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ: افْعَلْ وَلَا تَفْعَلْ.

فَلَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ أَمْرِهِ وَانْكَشَفَ عَنْ مُوسَى الْغَمَامَ أَقْبَلَ إِلَيْهِم فَقَالُوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فَأَخذتهم الرجفة، وَهِي الصاعقة فأتلفت أَرْوَاحُهُمْ فَمَاتُوا جَمِيعًا.

فَقَامَ مُوسَى يُنَاشِدُ رَبَّهُ وَيَدْعُوهُ، وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أَيْ لَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ مِنَّا فَإِنَّا بُرَآءُ مِمَّا عَمِلُوا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّمَا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْهَوْا قَوْمَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أَيِ اخْتِبَارُكَ وَابْتِلَاؤُكَ وَامْتِحَانُكَ.

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، يَعْنِي أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ هَذَا، وَخَلَقْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعِجْلِ اخْتِبَارًا تَخْتَبِرُهُمْ بِهِ كَمَا: ﴿قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ أَيِ اختبرتم.

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ أَيْ مَنْ شِئْتَ أَضْلَلْتَهُ

بِاخْتِبَارِكَ إِيَّاهُ، وَمَنْ شِئْت هديته، لَك الحكم والمشيئة لَا مَانِعَ وَلَا رَادَّ لِمَا حَكَمْتَ وَقَضَيْتَ.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ﴾ أَيْ تُبْنَا إِلَيْكَ وَرَجَعْنَا وَأَنَبْنَا.

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَإِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَهُوَ كَذَلِكَ فِي اللُّغَةِ.

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ أَيْ أَنَا أُعَذِّبُ مَنْ شِئْتُ بِمَا أَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَخْلُقُهَا وَأُقَدِّرُهَا.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ كَما ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الله لما فرغ من خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْش: إِن رَحْمَتي تغلب غَضَبي» ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ فَسَأُوجِبُهَا حَتْمًا لِمَنْ يَتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ الْآيَةَ. وَهَذَا فِيهِ تَنْوِيهٌ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأمته من الله لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي جُمْلَةِ مَا نَاجَاهُ بِهِ وَأَعْلَمَهُ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا فِي التَّفْسِيرِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَقْنَعٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

قول ابن عباس رضي الله عنهما في الآيات المذكورة في حديث الفتون

وقَالُوا جماعتهم لموسى: يَا مُوسَى سل لنا رَبك أَن يفتح لنا بَاب تَوْبَة نصنعها فتكفر عَنَّا مَا عَملنَا.

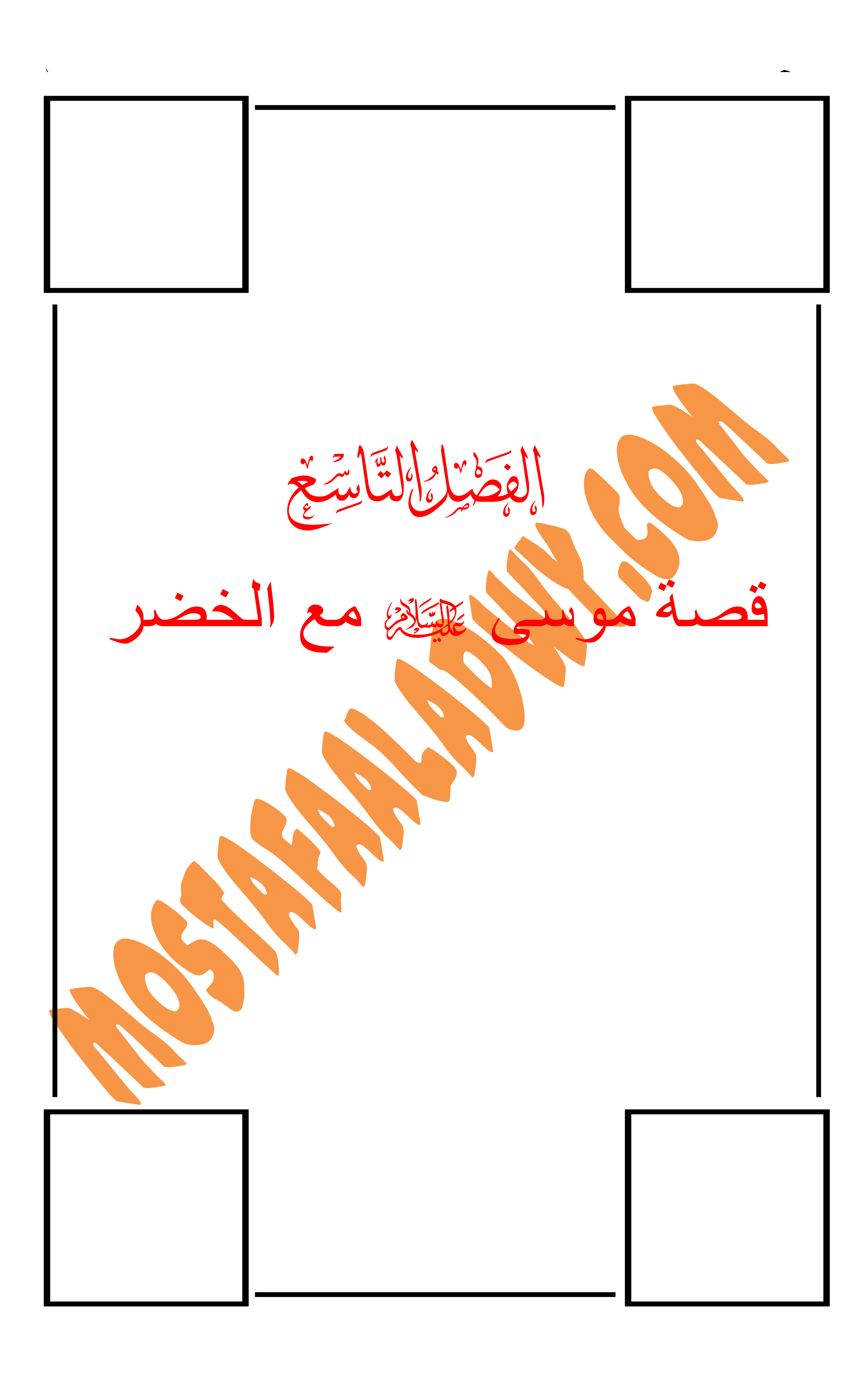
فَاخْتَارَ مُوسَى من قَوْمه سَبْعِينَ رَجُلًا لِذَلِكَ، لَا يَأْلُو الْخَيْرَ من خِيَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ لَمْ يُشْرِكْ فِي الْحق، فَانْطَلَقَ بِهِمْ يَسْأَلُ لَهُمُ التَّوْبَةَ فَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ.

فَاسْتَحْيَا نَبِيُّ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنْ وَفْدِهِ حِينَ فُعِلَ بِهِمْ مَا فعل فَقَالَ: ﴿رَبِّ

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وَفِيهِمْ مَنْ كَانَ اللهُ اطَّلَعَ مِنْهُ عَلَى مَا أشْرب قلبه من حب الْعجل وإيمانه بِهِ، فَلِذَلِكَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْض فَقَالَ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فَقَالَ: يَا رَبِّ سَأَلْتُكَ التَّوْبَةَ لِقَوْمِي، فَقُلْتَ: إِن رَحْمَتِي كَتَبْتَهَا لِقَوْمٍ غَيْرِ قَوْمِي، فَلَيْتَكَ أَخَّرْتَنِي حَتَّى تخرجني فِي أمة ذَلِك الرجل المرحوم.

فَقَالَ لَهُ: إِنَّ تَوْبَتَهُمْ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رجل مِنْهُم مَنْ لَقِيَ مِنْ وَالِدٍ وَوَلَدٍ، فَيَقْتُلُهُ بِالسَّيْفِ وَلَا يُبَالِي مَنْ قَتَلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ. وَتَابَ أُولَئِكَ الَّذين كَانَ خَفِي على مُوسَى وهارون أمرهم، وَاطَّلَعَ اللهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ فَاعْتَرَفُوا بِهَا، وَفَعَلُوا مَا أُمِرُوا وَغَفَرَ اللهُ لِلْقَاتِلِ وَالْمَقْتُول.



الفَصْلُ التَّاسِعْ

قصة موسى عليه السلام مع الخضر


MOSTAFAALADWY.COM

بين يدي القصة المباركة

أقول وبالله التوفيق:

ها هي قصة نبي الله الكليم الكريم المُرسل موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام نتناولها بالشرح والتفصيل، ونستلُّ منها العبر والفوائد!!

ونتأدب بما فيها من الأدب الجميل!!

نأخذ منها زادًا يحملنا على الإيمان بالقدر والرضا به!!

نقف أمام أحداثها وقفة المقرِّ لله بالعلم، المقرِّ لله بالقدرة الشاهد لله بأنه حكيم!

فأمورٌ تجري وأحداثٌ تحدث، ونظرنا نحن البشر قاصرٌ، فالله يعلم ونحن لا نعلم!!

قد نَكْرَهُ الشيء وفيه كل الخير لنا، وقد نحب شيئًا وهو شرٌّ لنا، قد نضحك ونبتسم لشيءٍ، وفيه مضرةٌ لنا!

وقد نبكي ونَدْمَع من أمرٍ وفيه كل الخير!

فسبحان الله العليم، سبحان الله الحكيم، وسبحان الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا.

أما عن نبي الله الكليم الكريم موسى عليه السلام، فقد أشبهت سيرتُه - في كثير من مراحلها سيرة نبينا محمد ﷺ- وللحديث عن ذلك وقتٌ آخر ومقام آخر هو أوسع إن شاء الله.

وقد حدثت لهذا النبي الكريم أحداثٌ وجرت له أمورٌ، منها هذا الحدث، وذلك الأمر، أمرُ ذهابِهِ إلى الخضر عليه السلام ولقائه به وما استُفيد من وراءِ ذلك من الفوائد، فنتناول تلك القصة المباركة - قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر- مستعينين بالله سائلين الله أن يحشرنا وإخواننا القُراء مع المنعم عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فهذا ذِكر القصة المباركة مع شيءٍ من البيان والإيضاح والفوائد، وبالله التوفيق.

وأنبه على أن ما أورده إنما هو بتصرفٍ شيئًا ما في العبارات والأسلوب وأصله مستلٌّ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن سنة رسول الله ﷺ مع ضم الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك بعضها إلى بعض.

ثم ذِكرُ بعض أقوال السلف الصالح يرحمهم الله، وكذا بعض أقوال المفسرين رحمهم الله.

وإن شاء الله نصدر القصة بالآيات الواردة فيها ثم بعد سرد ما سنسرده إن شاء الله، نختم بذكر الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ في ذلك.

فإلى القصة وما فيها، وبالله التوفيق، ومنه نستمد العون والسداد.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى



ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠-٨٢].

معاني مفردات السورة الكريمة:

الكلمة	معناها
﴿لِفَتَىٰهُ﴾	لخادمه.
﴿لَآ أَبْرَحُ﴾	لا أزال أسير وأمشي ـ سأستمر في المشي ـ لا أنتهي .
﴿أَبْلُغَ﴾	أصل.
﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾	مكان التقاء البحرين (قيل: هما بحر فارس والروم، وقيل غير ذلك).
﴿حُقُبًا﴾	الحقب مدةٌ زمنية طويلة (قيل: إنها ثمانون سنة وقيل: غير ذلك)ومنه قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا..﴾ [النبأ: ٢٣]

الكلمة	معناها
﴿حُوتَهُمَا﴾	الحوت هنا السمكة الكبيرة.
﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾	شق طريقه.
﴿سَرَبًا﴾	يعني: متسربًا إلى البحر –مسلكًا ومذهبًا يسرب إليه ويمضي فيه، ومنه قولهم: انسرب فلان–السرب: المسلك والمذهب.
﴿جَاوَزَا﴾	تجاوزا المكان.
﴿ءَاتِنَا﴾	أحضر إلينا ـ قرِّب إلينا.
﴿غَدَآءَنَا﴾	طعام الغداء.
﴿نَصَبًا﴾	تعبًا ومشقة ـ عناءً.
﴿أَرَءَيْتَ﴾	أتذكر الوقت الذي كنا قد استرحنا فيه عند الصخرة.
﴿عَجَبًا﴾	كان أمره عجيبًا ـ بطريقة أحدثت عجبًا.
﴿نَبْغِ﴾	نطلب ونلتمس (لأن الله أخبره أنه سيجد الخضر في المكان الذي يُفقد عنده الحوت).
﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾	رجعا يتتبعان آثار الأقدام ـ يقصان الآثار.
﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾	رزقناه وأعطيناه.
﴿رَحْمَةً﴾	قيل: هي النبوة، وقيل: النعمة، وقيل: إنها رقةٌ على من يستحقها.
﴿لَّدُنَّا﴾	عندنا.
﴿أَتَّبِعُكَ﴾	أصحبك وأُرافقك.
﴿رُشْدًا﴾	علمًا ذا رشد ـ أسترشد به في دنياي وأُخراي.
﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾	لن تستطيع الصبر على ما تراه مني.

الكلمة	معناها
﴿مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾	ما لم تطلع على بواطنه ـ ما لم تعلم أسراره وحقائقه.
﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾	سأصبر إن شاء الله، وستراني صابرًا.
﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾	حتى أكلمك أنا فيه وأُبينه لك ـ حتى أُخبرك بأخباره .
﴿لَقَدۡ جِئۡتَ﴾	لقد فعلت.
﴿شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾	شيئًا عظيمًا (من المنكر).
﴿وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾	لا تُعسِّر عليَّ أمر صحبتك ومتابعتك وتجعلها شاقةً عليَّ.
﴿زَكِيَّةَۢ﴾	طاهرة لا ذنب لها، لم تفعل ذنبًا تستوجب قتلها.
﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾	بغير قصاص بنفس قُتلت.
﴿نُّكۡرٗا﴾	عظيمًا ـ منكرًا.
﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾	قد أعذرت إليَّ ـ فلك عذر في مفارقتي يعني: قد أخبرتني أنني لن أستطيع معك صبرًا، وتأكد لديَّ ولديك هذا.
﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾	طلبا الطعام من أهلها .
﴿فَأَبَوۡاْ﴾	فرفضوا ـ فامتنعوا.
﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾	يقدموا لهما حق الضيف ـ يستضيفوهما إلى بيوتهم.
﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾	يوشك أن يسقط وينهدم.
﴿فَأَقَامَهُۥ﴾	فردّه إلى حال الاستقامة ـ فأصلحه.
﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾	هذا الوقت فيه فراق بيني وبينك.
﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾	سأُخبرك.
﴿بِتَأۡوِيلِ﴾	بتفسير ـ بيان مآل ما صنعته وعاقبته.

الكلمة	معناها
﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾	ينقلون الركاب من شاطئ إلى شاطئ وكذا البضائع وأيضًا يصطادون ، وكل ما من شأنه أن يكون في البحر من الأعمال.
﴿أَعِيبَهَا﴾	أجعل فيها عيبًا ـ أخرقها.
﴿غَصۡبٗا﴾	اغتصابًا بغير حق وبغير ثمن.
﴿يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾	يُنزل بهما طغيانه وكفره ـ يحملهما حبُّه على فعل ما يريده من الكفر والظلم والدخول في دينه ـ يُدافعان عنه بالباطل.
﴿زَكَوٰةٗ﴾	طُهرًا من الكفر والمعاصي ـ صلاحًا ودينًا.
﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾	أكثر رحمةً وبرًّا بوالديه ـ أقرب خيرًا.
﴿يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾	يُدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما.
﴿عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾	عن اجتهادي واختياري (بل أنا عبد مأمور).
﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ﴾	ذلك مآل وعاقبة (تلك الأمور التي ظهرت مني).
﴿تَسۡطِع﴾	تستطيع ، قال بعض العلماء: (تستطيع أشد من تسطع فكانت الأمور أولاً غامضة أشد الغموض ثم أظهرت بعد).

وهذا تفصيل للقصة وبيان لها، والله المستعان:

قام نبي الله موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] ذات يوم خطيبًا يخطب في قومه بني إسرائيل ويُذكرهم بنعم الله عليهم، وبما كانوا فيه من بلاء.

فقد كانوا في بلاء شديد، كان فرعون يُذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ثم منَّ الله عليهم بنعم عظيمة ومنن جسمية، وكانت الخطبة بليغة مؤثرة فأبكى قومه وذرفت منهم الدموع ووجلت منهم القلوب ثم انصرف فتبعه رجل فأدركه

(١) وهناك قولٌ ضعيفٌ جدًّا مفاده أن موسى صاحب الخضر ليس بموسى بني إسرائيل، وهذا القول خطأ من قائله، وقد كذبه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسيأتي في آخر الرسالة إن شاء الله.

فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا، وفي بعض الروايات أنه سئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، وفي رواية أنه قال: ما أعلم في الأرض رجلًا خيرًا أو أعلم مني، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه.

نعم ينبغي أن نرد العلم إلى الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى لملائكته: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فينبغي دومًا أن نرد العلم إلى الله سبحانه وتعالى وأن نَكِلَ العلم إليه.

فلما قال نبيُّ الله موسى ما قال أوحى الله إليه إني أعلم بالخير منك أو عند من هو الخير، إن في الأرض رجلًا هو أعلم منك!!

لقد أوحى الله إلى موسى أن عبدا من عبادي بمكان يقال له مجمع البحرين، عنده يلتقي البحران هو أعلم منك يا موسى.

فماذا قال موسى عليه السلام؟! وهو نبي كريم حريصٌ على الخير يطلب دومًا الاستزادة من العلم والاستفادة من أهل الصلاح والفضل واللقاء بهم!!.

ماذا قال هذا النبي الكريم لما علم أن هناك من هو أعلم منه؟! لقد سأل ربه قائلًا يا رب فدُلَّني عليه لقد سأل ربه فقال أي رب كيف لي به، أي ربِ اجعل لي علمًا أعلم ذلك منه. الشاهد أنه سأل ربه عن كيفية الوصول إلى هذا العبد الصالح الذي أخبر عنه ربه سبحانه وتعالى، وقال لموسى: هو أعلم منك وسأل موسى ربه عن علامة لهذا المكان يعرفه بها، فلم يكن موسى عليه السلام يُتقن مكان الخضر، فجعل الله سبحانه وتعالى له علامة يعرف بها هذا المكان، فقيل له: احمل حُوتًا - أي سمكةً كبيرةً- في مكتل، وهو القفةُ أو الزنبيل، وهذا الحوت الذي تحمله حوتٌ مُمَلَّح ففي المكان الذي تفقد فيه الحوت ستجد هذا العبد العالم هنالك.

فكان حملُ الحوتِ إذن لغرضين:

الغرض الأول: بيان مكان العبد الصالح (الذي هو الخضر).

والغرض الثاني: أن يأكل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحوت هو وخادمه.

فيؤخذ من ذلك مشروعية التزود للأسفار: بما تحتاجه تلك الأسفار من الطعام والشراب والزاد عمومًا، وقد قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقد ورد في سبب نزولها عند البخاري(١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] فيه مسألة واحدة، وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو ردٌّ على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامة والقِفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار؛ هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد.

وفي «صحيح البخاري»: إن ناسًا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾.

فلهذا الذي قد ذُكر: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، قال ذلك موسى لفتاه -كما قد بينا- حرصًا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على لقاء الخضر وعلى الاستزادة من العلم، وأعد لذلك عدته،

(١) البخاري (حديث ١٥٢٣) وقد روي هذا الحديث مرسلاً ورجح البعض إرساله، والله أعلم.



وأخبر خادمه بوجهته التي يريد أن يذهب إليها، فمثل هذه الأسفار البعيدة ينبغي أن يُخبر بها الرفقاء في السفر حتى يعدوا لذلك عدته كما أخبر نبينا ﷺ أصحابه يوم ذهابه إلى تبوك(١).

أما عن فتى موسى: فمن فتى موسى عليه السلام؟؟ وماذا عن فتى موسى عليه السلام؟

إنه يوشع بن نون: النبي الكريم عليه السلام، إنه النبي الوحيد الذي حُبست له الشمس حتى فتحت له البلدة، فقد غزا بلدة، وقد أمر بفتحها، وأوشكت الشمس على الغروب قبل أن تفتح البلدة فسأل ربه أن يحبس الشمس فحبست الشمس عن الغروب حتى فتح الله له البلدة وهذا شيء من الوارد في ذلك سيأتي إن شاء الله ذِكر يوشع بن نون عليه السلام في آخر هذا المبحث في حديث أخرجه البخاري(٢) مطولًا، وفيه:... فانطلق يعني موسى عليه السلام وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حُوتًا في مكتل.... فذكر الحديث. ومما ورد في شأن يوشع عليه السلام أن الشمس قد حبست له فقد أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح إلى النبي ﷺ أنه قال(٣): «**إن الشمس لم تُحبس على بشرٍ إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**».

قلت (مصطفى): وقصة ذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤١٨) ومسلم (حديث ٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك... قال ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريد غزوة إلاورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسولُ الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا وعدُوًّا كثيرًا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرَهم بوجهه الذي يريد.

(٢) البخاري (حديث ٣٤٠٠)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٣) أحمد في «المسند» (٢/٣٢٥).

(٤) البخاري (حديث ٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧).

«غزَا نَبيٌّ من الأنبياء فقال لقومِهِ: لا يتبعني رجلٌ قد ملكَ بضعَ(١) امْرأةٍ، وهو يريدُ أن يبنيَ بهَا، ولمَّا يبنِ، ولاَ آخرُ قدْ بَنَى بُنْيانًا، ولمَّا يرفَعْ سقفَهَا، ولاَ آخرُ قَد اشترَى غنمًا أو خلفَاتٍ(٢) وهُو مُنْتَظِر ولادَهَا(٣) قال: فغزَا فأدْنَى للقَريةِ(٤)، حينَ صلاةِ العصرِ. أو قريبًا من ذلكَ. فقالَ للشمسِ: أنْتِ مَأْمُورَة وأَنَا مأمُورٌ. اللهُمَّ ! احبسْهَا عليَّ شيئًا(٥). فحبستْ عليهِ حتَّى فتَحَ اللهُ عليهِ. قالَ: فَجَمَعُوا ما غَنِمُوا فأقبَلَتِ النَّارُ(٦) لتأْكُلَهُ فَأَبَتْ أن تَطْعَمَهُ فقالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ(٧) فَلْيُبايعني مِنْ كلِّ قبيلَةٍ رجلٌ، فبَايَعُوهُ فلصَقتْ يَدُ رَجُلٍ بيَدِهِ. فقال: فِيكُمُ الغُلُولُ فلتبايعني قبيلتك فبايعته. فَقَال: فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة. فقال: فيكم الغلول أنْتُمُ غلَلْتُمْ. قالَ: فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رأسِ بقرةٍ(٨) من ذهب. قالَ: فوضعوهُ في المالِ وهُو الصعيدِ(٩) فأقبلتِ النارُ فأكلتهُ. فلم تحلَّ الغنائمُ لأحدٍ من قبلنَا ذلكَ بأنَّ اللهَ تباركَ وتعالى رأى ضعفنَا وَعجزنَا، فطيَّبهَا(١٠) لنَا».

---

(١) ملك بضع امرأة أي عقد عليها وملك فرجها بذلك العقد.

(٢) الخلفات هي الإبل الحوامل.

(٣) ولادها: أي نتاجها.

(٤) أدنى للقرية: أي اقترب من فتحها أو اقترب منها.

(٥) المراد، والله أعلم أخَّر غروبها.

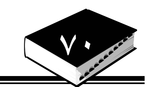
(٦) أي نزلت نار من جانب السماء لتأكل الغنيمة، فقد كان هذا في الأمم من قبلنا، قال تعالى:- (ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) [آل عمران: ١٨٣].

(٧) فيكم غُلول: أي فيكم من غلَّ، أي من سرق من الغنيمة قبل قسمتها.

(٨) أي مثل رأس بقرة من ذهب كان بعضهم قد سرقها من الغنيمة ولم يعطها الإمام لتقسم كما تقسم سائر الغنيمة.

(٩) الصعيد :وجه الأرض.

(١٠) أي أحلّها لنا.



هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» فعرض الحديث عمن حُبست عنهم الشمس. فالمعتمد أنها لم تحبس إلا ليوشع، ولا يعارضه ما ذكره ابن إسحاق في «المبتدا» من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه: « أن الله لما أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتى كاد الفجر أن يطلع، وكان وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر، فدعا ربه أن يؤخر الطلوع حتى فرغ من أمر يوسف ففعل؛ لأن الحصر إنما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس فلا ينفي أن يحبس طلوع الفجر لغيره، وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدة:

فوالله لا أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

هذا ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٦٠]،أي لخادمه، جواز اتخاذ الخدم عند الحاجة إليهم، وقد وردت بذلك جملة أدلة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ أي: لخادمه، وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى في شأن بني إسرائيل ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]، أي: جعل لكم من يخدمكم، وقد كان أنس (١) وابن مسعود (٢) يخدمان رسول الله ﷺ وأزواج النبي ﷺ كان لهن خدم وكذا عددٌ من الصحابة والصحابيات.

وها هي بعض الأدلة على ذلك: أخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: تزوجني الزُّبير ومَا لَهُ في الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ (٤) وغير فرسه فكنت أعلفُ فرَسَه وأستقي الماء وأخرز

---

(١) أما كون أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان خادمًا لرسول الله ﷺ فانظر البخاري (١٩٨٢).
(٢) وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان صاحب نعلي رسول الله ﷺ (انظر البخاري حديث ٣٧٦١).
(٣) البخاري (حديث ٥٢٢٤) ومسلم (حديث ٢١٨٢).
(٤) الناضح: الجمل الذي يستقى عليه.

غربَهُ(١) وأعجن، ولم أكن أُحسن أخبزُ وكان يخبزُ جاراتٌ لي من الأنصار، وكن نسوةَ صِدقٍ ، وكنتُ أنقل النَّوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثُلثي فرسخ فجئت يومًا والنوى على رأسي فلقيتُ رسولَ الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار ، فدعاني ثم قال: «إخْ إخ» ليحمِلَني خلفه ، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال وذكرتُ الزُّبير وغيْرتَه وكان أغْيَرَ الناس، فعرف رسولُ الله ﷺ أني قد استحييتُ فمضى فجئتُ الزُّبير فقلتُ: لقيني رسولُ الله ﷺ وعلى رَأسي النوى ومعه نفَر من أصحابه فأناخ لأركَب فاستحييتُ منه وَعَرفتُ غيرتَك، فقال: والله لحَمْلُكِ النوى كان أشَدَّ عليَّ من ركوبكِ معه، قالت: حتى أرْسَل إليَّ أبو بكرٍ بعد ذلك بخادم تكفيني سِياسة الفَرَسِ فكأنما أعتقني.

وأخرج البخاري(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائِهِ ، فأرسلت إحدى أُمهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يَدَ الخادمِ فسقطت الصحفةُ فانْفَلَقَتْ ، فجمعَ النبي ﷺ فِلَقِ الصحفةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفةِ ويقول: «**غَارَتْ أُمُّكُم**» ثم حَبَسَ الخادم حتى أتى بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفةَ الصحيحةَ إلى التي كُسِرَت صحفَتُها وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرَت فيه.

۞ ولكن إذا لم يكن بالوسع اتخاذ الخادم فهناك ما هو خيرٌ منه أخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبيَّ ﷺ تَشكو

(١) غربه: تعني دلوه الكبير.

(٢)البخاري (حديث ٥٢٢٥).

(٣)البخاري (حديث ٥٣٦١) ومسلم (ص ٢٠٩١).

* تنبيه: ويلزم أن تؤخذ الاحتياطات الشرعية بشأن الخادم رجلاً كان أو امرأة، فإذا كان الخادم امرأة، فلا تُستقدم من دولة بدون محرم كما يُفعل في كثير من البلدان، ولا تُسافر بدون محرم داخل الدولة الواحدة أيضًا، ولا يُمكّن رجل من الخلوة بها، إلى غير ذلك من المحظورات التي يجب أن تُجتنب.

إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تُصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أَخْبَرَتْه عائشة، قال: فجاءنا وقد أَخَذْنَا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال: «**على مَكَانكُما**» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدتُ بَرْدَ قدميه على بطني، فقال: «**ألا أَدُلُّكما على خيرٍ مما سألتما ؟ إذا أخذتُما مضاجعَكُما أو أويتما إلى فراشكما ـ فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم**».

هذا وينبغي أن يكون الخادم أمينًا قويًّا صالحًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وها هو موسى عليه السلام يستخدم رجلًا صالحًا وهو يوشع بن نون عليه السلام، ولكن لا ندري هل كان يوشع عليه السلام قد رُزق النبوة حينئذٍ أم أنه رزقها بعد ذلك.

ولكن على كلِّ حالٍ فقد كان فتًى صالحًا كريمًا أمينًا عليه السلام.

نرجع فنقول: لقد أفصح موسى عليه السلام لفتاه عن وجهته التي يريد، فقال: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، أي: لا أزال أسير، ولن أقطع المسير، ولن أقلع عنه وإن استمر المسير سنوات طوال حتى أبلغ ملتقى البحرين ملتقى بحر فارس والروم، وقيل بحرين آخرين فالله أعلم بالصواب.

وقد علمنا - بتعليم ربنا لنا - أن هذا المكان هو ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠]، مكان يلتقي عنده البحران، وليس بضائرٍ لنا عدم تسمية البحرين فالعبرة حاصلة وكائنة.

وهذا الذي عزم عليه هذا النبي الكريم وأخبر به فتاه: دليلٌ واضحٌ على فضل العلم ولقاء العلماء والصالحين، ودليلٌ على الحرص على طلب العلم، وقد فهم سلفنا الصالح رحمهم الله ذلك ويكفي أن أسوق من ذلك حرص

الحبر الكريم عبد الله بن عباس على ذلك فقد صحَّ عنه أنه قال[١]: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[٢] فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك؟ فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: كان هذا الفتى أعقل مني.

ولهذا أثنى عليه صحابة رسول الله ﷺ ووقَّروه وفي «الصحيح»[٣] أن ابن عباس قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين[٤] قال الله فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم:٤]، فقد كان عمر رضي الله عنه يُدخله مع أشياخ بدر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٥].

وقال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجلٌ[٦].

أرجع فأقول، وبالله التوفيق:

لقد انطلق نبي الله موسى عليه السلام مع فتاه يوشع بن نون، وقد حملا معهما

---

(١) الدارمي (١/١٤١ - ١٤٢).

(٢) يعني في القيلولة.

(٣) البخاري (حديث ٥١٩١).

(٤) البخاري حديث (٤٩٧٠).

(٥) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٩).

(٦) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٨).

الحوت المملح الميت ووضعاه في مكتل (أي: زنبيل) كما أُمر موسى عليه السلام بذلك وقال موسى لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت، قال: ما كلفت كثيرًا فانطلقا حتى أتيا صخرة فوضعا رؤوسهما فناما.

وعلى ما يبدو من مجموع الروايات أن الفتى استيقظ ورقد نبي الله موسى عليه السلام فرأى الفتى أمرًا عجيبًا حدث للحوت ونبي الله موسى نائم عليه الصلاة والسلام، أما الأمر العجيب الذي رآه الفتى، فهو إحياء الله عز وجل للحوت، لقد رأى الفتى أن الحوت المملح الميت قد أحياه الله فاضطرب في المكتل وتحرك ثم إنه قفز في البحر، وشق طريقه في البحر، فسبحان من أحياه وسبحان من أجراه[1].

---

(١) ذكر بعض أهل العلم هاهنا أمرًا ولم أقف له على إسناد ثابت، ألا وهو أن هذه الصخرة كان عندها عين يُقال لها: عين الحياة، لا يُصيب ماؤها شيئًا إلا أحياه الله فأصاب شيءٌ من مائها الحوت فأحياه الله.

وكما بينت فلم أقف لهذا على أي دليل صحيح، ولعلها من الإسرائيليات.

وأما عن معتقدنا في إحياء الموتى فالله على كل شيء قدير، وأمره إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، فهو سبحانه قادر على إحياء الحوت وغير الحوت بماء أو بغير ماءٍ.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/٤١٥):

وَفِي رِوَايَةِ قُتَيْبَةَ عَنْ سُفْيَانَ فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ قَالَ سُفْيَانُ: وَفِي غَيْرِ حَدِيثِ عَمْرٍو وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الْحَيَاةُ لَا يُصِيبُ من مَائِهَا شَيْء إِلَّا حَيّ فَأَصَابَ الْحُوتُ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ فَتَحَرَّكَ وانسل من المكتل فدخل الْبَحْر، وَحكى ابن الْجَوْزِيِّ أَنَّ فِي رِوَايَتِهِ فِي الْبُخَارِيِّ الْحَيَا بِغَيْرِ هَاءٍ قَالَ: وَهُوَ مَا يَحْيَى بِهِ النَّاسُ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي ذَكَرَ سُفْيَانُ أَنَّهَا فِي حَدِيث غير عَمْرو قد أخرجه ابن مَرْدَوَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ سُفْيَانَ مُدْرَجَةً فِي حَدِيثِ عَمْرٍو، وَلَفْظُهُ: حَتَّى انتهيا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ مُوسَى عِنْدَهَا: أَيْ نَامَ، قَالَ: وَكَانَ عِنْدَ الصَّخْرَةِ عَيْنُ مَاءٍ يُقَالُ لَهَا: عَيْنُ الْحَيَاةِ لَا يُصِيبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ مَيِّتٌ إِلَّا عَاشَ فَقُطِرَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ عَلَى الْحُوتِ قَطْرَةٌ فَعَاشَ وَخَرَجَ مِنَ المكتل فَسقط فِي الْبَحْر، وأظن أن ابن عُيَيْنَةَ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ قَتَادَةَ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابن أبي حَاتِم من طَرِيقه قَالَ: فَأَتَى عَلَى عَيْنٍ فِي الْبَحْرِ يُقَالُ لَهَا: عَيْنُ الْحَيَاةِ، فَلَمَّا أَصَابَ تِلْكَ الْعَيْنَ رَدَّ اللهُ رُوحَ الْحُوتِ إِلَيْهِ، وَقَدْ أَنْكَرَ الدَّاوُدِيُّ فِيمَا حَكَاهُ ابن التِّينِ

ثـم إن الفتـى رأى معجـزةً أُخـرى حـدثت، ألا وهـي أن المـاء لـم يلتـئم ولـم

= هَذِهِ الزِّيَادَةَ، فَقَالَ: لَا أَرَى هَذَا يَثْبُتُ فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا، فَهُوَ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، قَالَ: لَكِنْ فِي دُخُولِ الْحُوتِ الْعين دلَالَة على أنه كَانَ حَيّ قَبْلَ دُخُولِهِ فَلَوْ كَانَ كَمَا فِي هَذَا الْخَبَرِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الْعَيْنِ، قَالَ: وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَهُ بِغَيْرِ الْعَيْنِ. انْتَهَى. قَالَ: وَلَا يَخْفَى ضَعْفُ كَلَامِهِ دَعْوَى وَاسْتِدْلَالًا وَكَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ الْحُوتُ هُوَ مَاءُ الْعَيْنِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْأَخْبَارُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْعَيْنَ عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَهِيَ غَيْرُ الْبَحْرِ وَكَأَنَّ الَّذِي أَصَابَ الْحُوتَ مِنَ الْمَاءِ كَانَ شَيْئًا مِنْ رَشَاشٍ، وَلَعَلَّ هَذَا الْعَيْنَ إِنْ ثَبَتَ النَّقْلُ فِيهَا مُسْتَنَدُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَضِرَ شَرِبَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ فَخُلِّدَ، وَذَلِكَ مَذْكُورٌ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ يَنْقُلُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو جَعْفَرِ ابْنُ الْمُنَادِي فِي ذَلِكَ كِتَابًا وَقَرَّرَ أَنَّهُ لَا يُوثَقُ بِالنَّقْلِ فِيمَا يُوجَدُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ.

قلت (مصطفى): وكما ذكرت من قبل فنعتقد أن الله على كل شيء قدير، وقد ذُكرت صورٌ ونماذج لإحياء الموتى في الدنيا في كتاب الله ﷻ، وهذا من أصول الاستدلالات على البعث في كتاب الله ﷻ، فمن ذلك قتيل بني إسرائيل الذي ورد ذكره في قصة البقرة، فقد قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣].

وورد في نفس السورة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وورد أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكذلك ورد في سورة البقرة إحياء الطير لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما دعاها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وورد أيضًا إحياء المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لبعض الموتى بإذن الله قال تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ﴾ [المائدة: ١١٠]، وهاهنا قد أحيا الله الحوت فكان من أمره ما كان والله على كل شيء قدير، و﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

ينضم بعضه على بعض بعد مسير الحوت فيه، فالمعلوم أن شيئًا ما إذا سار في الماء فإنه يشق الماء، ثم إن الماء يلتئم وينضم بعضه إلى بعض خلف هذا الشيء الذي يسير، ولكن الله سبحانه على كل شيء قدير، أمسك جرية الماء خلف الحوت فلم ينضم الماء إلى بعضه، فمن العلماء من يقول: إن الماء قد تجمد ويبس المكان الذي سار فيه الحوت ليكون دليلًا وعَلَمًا على الطريق الذي سلكه الحوت.

كلُّ هذا قد رآه الفتى، ونبي الله موسى عليه السلام راقدٌ لم يره فلما استيقظ نبي الله موسى عليه السلام عُمِّي عليه[١]، أي: كأن الطريق اختلف عليه ولم يتضح له فانطلق وترك فتاه.

وقد يظهر أيضًا من مجموع الروايات أن الحوت اضطرب مرة في المكتل ونبي الله موسى راقدٌ، والفتى يُشاهد اضطرابه ثم لما انطلق موسى عليه السلام قفز الحوت في البحر واضطرب في ماء البحر وشق طريقه أيضًا، فالشاهد من ذلك أن موسى عليه السلام لم يشاهد ذلك، وشاهده الفتى.

فلما انطلق نبي الله موسى وقد عُمِّي عليه، قال الفتى: ألا ألحق نبي الله فأخبره بالذي حدث من أمر الحوت؟!

فانطلق الفتى وأدرك نبي الله موسى عليه السلام، وسبحان الله، لقد نسي الفتى أن يُخبر نبي الله موسى بهذا الحدث العظيم الذي حدث للحوت من إحياء الله له، واضطرابه في المكتل، واضطرابه في البحر وإمساك جرية الماء.

فكم من حدثٍ عظيم ينساه الشخص، وها هو السجين الذي أنجاه الله، وقد كان مع يوسف عليه السلام في السجن، يُعبِّر له يوسف عليه السلام الرؤيا خير تعبير، ويبشره ببشارة فيها نجاته من القتل، إذ قال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ ... ﴾ [يوسف: ٤١].

ويتحقق التأويل ويخرج السجين من السجن، وقد قال له يوسف:

(١) والرواية بذلك في مسلم وستأتي في آخر القصة إن شاء الله.

﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، ولكن فأنساه الشيطان ذِكر ربه فلبث في السجن بضع سنين.

فينسى – بعد إنجاء الله له- البشارة التي بشره بها يوسف عليه السلام ولا يذكر يوسف إلا عند رؤيا الملك إذ قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ...﴾ [يوسف: ٤٣].

فسبحان الله، فكل شيء يجري بقضائه وكل شيءٍ يجري بقدره! فأصحاب العقول لا يملكون عقولهم، وأصحاب الذاكرة لا يملكون ذاكرتهم، وأصحاب القلوب لا يملكون قلوبهم، ولا يكن شيءٌ أبدًا إلا بإذن الله.

لا يتذكر المتذكر إلا إذا ذكره الله، ولا يعي الواعي إلا بإذن الله، ولا يطمئن قلب إلا إذا طمأنه الله ولا يسكن إلا إذا سكَّنه الله.

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، فسبحان الله القدير، وسبحان الله العليم.

وقد يقول قائل إذن فلماذا قال الفتى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ [الكهف: ٦٣].

فجواب ذلك: أن هذا من باب التأدب مع الله عز وجل في الألفاظ؛ ولهذا شواهد كثيرة جدًّا من الكتاب ومن سنة النبي ﷺ.

فها هو الخضر عليه السلام يقول في شأن السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب عيب السفينة إلى نفسه، مع أنه صنع ما صنع بالسفينة بأمر الله عز وجل.

وعند ذكر الخير والرحمة يقول: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الكهف: ٨٢].

ونحو هذا المذكور في قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]. فنسبوا الشر إلى من لم يسم فاعله والرشد إلى الله عز وجل مع أن الكل من عند الله ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾ [آل عمران:٢٦] مع أن كل شيء من عند الله كما قال تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨]،

...ونحوه قول رسول الله ﷺ: «**والشر ليس إليك**»(١) وفي الباب أيضًا قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠] مع أن المرض قدره الله أيضًا.

قال الحافظ ابن حجر(٢) رحمه الله **في «الفوائد المستنبطة من هذا الحديث**: وفيه حسن الأدب مع الله، وأن لا يضاف إليه ما يُستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه، لقول الخضر عن السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وعن الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، ومثل هذا قوله ﷺ: «**والخير بيديك والشر ليس إليك**»(٣).

قال القرطبي رحمه الله:

إن قال قائل كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالى، وقال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، فأضاف العيب إلى نفسه؟ قيل له: إنما أسند الإرادة في الجدار إلى الله تعالى؛ لأنها في أمر مستأنف في زمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد ذلك فالذي أعلمه الله تعالى أن يريده، وقيل: لما كان ذلك خيرًا كله أضافه إلى الله تعالى أن يريده وأضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب؛ لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فأسند الفعل قبلُ وبعدُ إلى الله تعالى، وأسند إلى نفسه المرض، إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، واقتصر عليه فلم ينسب الشر

---

(١) مسلم حديث (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) فتح (٤٢٢/٨).
(٣) مسلم (حديث ٧٧١).

إليه ، وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع، إذ هو على كل شيء قدير، وهو بكل شيء خبير. ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل أنه يقول يوم القيامة : **«يا ابن آدم مرضت فلم تعُدْني واستطعمتُك فلم تُطعمني واستسقيتك فلم تَسقني»** فإن ذلك تَنزُّل في الخطاب، وتلطُّف في العتاب ، مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال ،وبمقادير ثواب هذه الأعمال. وقد تقدّم هذا المعنى. والله تعالى أعلم . ولله تعالى أن يطلق على نفسه ما يشاء، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة والأفعال الشريفة جل وتعالى عن النقائص والآفات علوًّا كبيرًا وقال في الغلام: «فأردنا» فكأنه أضاف القتل إلى نفسه، والتبديل إلى الله تعالى، والأشد كمال الخَلْق والعقل.

فعلى الدعاة إلى الله أن يدركوا ذلك وأن يفقهوه، وعلى المسلمين أن يفهموا ذلك ولا يجهلوه، فيُنسب الخير إلى الله عز وجل والشر وإن كان من عند الله إذ كلٌّ من عند الله – لكن تأدبًا في اللفظ مع الله ينسب الشر إلى ما كان سببًا فيه.

وإلى القصة نرجع فنقول: إن نبي الله موسى عليه السلام وفتاه انطلقا، وجاوزا الصخرة، وكما بينا فقد نسي الفتى أن يُخبر موسى عليه السلام بالذي كان من أمر الحوت، فسار موسى عليه السلام وفتاه بقية يومهما وليلتهما، فلما جاوزا الصخرة شعر موسى وفتاه بالتعب والنَّصب من طول السفر، ولم يجد موسى عليه السلام النصب ولم يشعر بالتعب إلا بعد أن تجاوزا الصخرة، أي: تجاوزا المكان الذي أُمرا بالذهاب إليه فعندما شعر نبي الله موسى عليه السلام بالنَّصب: ﴿قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، أي: أنه قال لخادمه أحضِرْ إلينا، طعام الغداء فقد تعبنا وأُرهقنا وحلَّ بنا النَّصب (التعب والإرهاق) في هذا السفر.

وهنا قد يقول قائل: لماذا اشتكى نبي الله موسى عليه السلام، وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾؟

فجواب ذلك: أن بثَّ الشكوى أو وصف الحال التي آل إليه الشخص إذا لم

يكن مصحوبًا بالتسخط على أقدار الله عَزَّوَجَلَّ فلا بأس به، خاصة عند من يُرجى عنده إزالتها بإذن الله سبحانه وتعالى، وقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذات يوم: وارأساه[١]! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل انا وا رأساه**».

هذا، ويؤخذ من قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [الكهف: ٦٢]، إثبات وجبة الغداء، وقد ورد في ذكر وجبة الغداء حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة»[٢].

ففيه إثبات وجبة الغداء، وإن كانت في عهدهم بعد الجمعة فلا مانع أيضًا أن تكون في أي وقت آخر؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ولقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ ﴾ [الأعراف: ٣١]، وورد أيضًا في إثبات وجبة الإفطار والعشاء أحاديث.

هذا، ويطيب لي عند قول نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] أن أُذكِّر نفسي وإخواني بمقولة التابعي الصابر المحتسب عروة بن الزبير ابن العوام رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي الله عن والديه، فقد تلا هذا القدر من الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ عند بلاءٍ حلَّ به، وكم كان صابرًا وكم كان محتسبًا رَحِمَهُ اللَّهُ قال الذهبي في ترجمة (عروة) من «سير أعلام النبلاء»:

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٦٦٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت ... وارأساه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك**»، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرسًا ببعض أزواجك، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل أنا وا رأساه....**» الحديث.

(٢) البخاري (٩٣٩).

هذا، وقد أورد الذهبي[(١)] رحمه الله في ترجمة عروة بن الزبير من طريق يعقوب الدَّوْرَقي حدّثنا عامر بن صالح، عن هشام بن عُرْوَة، أنَ أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادي القُرَى، وجد في رجله شيئًا فظهرت به قرْحة، ثم ترقَّى به الوجع. وقدِم على الوليد وهو في مَحْمِل. فقال: يا أبا عبد الله أقْطعها؟ قال: دونَك. فدَعا له الطبيب، وقال: اشرب المُرْقِد، فلَمْ يفعلْ، فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول: حسِّ، حسِّ، فقال الوليد: ما رأيت شيخًا قط أصبرَ من هذا.

وأصيبَ عُرْوة بابنه محمد في ذلك السَّفَر، ركضَتْهُ بغلة في إصطَبْل، فلم يُسمَعْ منه في ذلك كلمة. فلمَّا كان بوادي القُرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، اللّهُمَّ كان لي بنون سبعة، فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستَّة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت طَرَفًا، وأبقيتَ ثلاثة؛ ولئن ابتليتَ، لقد عافَيْت، ولئن أخذت لقد أبْقَيت.

وأورد أيضًا من طريق عامر بن صالح، عن هشام بن عُروة، قال: سقط أخي محمد - وأمُّه بنتُ الحكم بن أبي العاص - منْ أعلى سطح في إصطبل الوليد، فضربَتْهُ الدوابُّ بقوائمها فقتلَتْه. فأتى عُروة رجلٌ يُعزِّيه، فقال: إن كنتَ تُعزِّيني برجلي فقد احْتَسبتُها. قال: بل أُعَزِّيكَ بمحمد ابنك؛ قال: وما له؟ فأخبره، قال اللّهُمَّ أخذت عُضوًا وتركت أعضاء، وأخذت ابنًا، وتركت أبناء، فلما قدِمَ المدينةَ، أتاهُ ابنُ المنكدر، فقال: كيف كنتَ؟ قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

ولنرجع إلى قصة موسى عليه السلام مع الفتى لقد قال له موسى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[(٢)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٠).

(٢) في هذا ما يدل على وجود وجبة الغداء، ولا مانع من أن يفطر الشخص صباحًا ويتغدى ظهرًا ويتعشى مساءً، فهناك ما يدل على ذلك وليس هذا بطاعنٍ في زهد الشخص كما يتوهمه =

﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾. قال الفتى حينئذٍ: ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣]، أتذكر يا نبي الله المكان الذي استرحنا فيه، ونمنا فيه عند الصخرة؟ ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ هنالك[1]، وقد صدرت من الحوت أمورٌ، ونسيت أن أخبرك بأمر هذا الحوت وما صدر منه فقد صدرت هناك أمور عجيبة تعجب لها يا نبي الله، لقد أحياه الله عَزَّوَجَلَّ فاضطرب في المكتل وقذف بنفسه في البحر واتخذ طريقه في البحر متسربًا فيه فكان أمرًا عجيبًا تعجب منه نبي الله موسى

= البعض، أما الغداء فمن الدليل عليه قول موسى عليه السلام: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾. وقول سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة» أخرجه البخاري (٩٣٩).

أما العشاء ففي الحديث «**إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدؤوا بالعشاء**» أخرجه مسلم (٥٥٧).

وأيضًا قد أرسل أبو بكر أضيافه إلى بيته مع ابنه عبد الرحمن كي يُعشيهم. انظر البخاري (٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧) أما الإفطار صباحًا فإن النبي ﷺ قد قال: «**من تصبح سبع تمرات عجوه لم يضره ذلك اليوم سمٌ ولا سحرٌ**». أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٢٣٨)، ومسلم (١٤/ ٣).

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢].

* ذكرنا ذلك؛ لأن بعض المتزهدة يذمون من أكل وجبات ثلاث في اليوم، ويطعنون فيهم، وينسبون إلى السنة ما ليس منها.

(١) فيه أن النسيان وارد حتى على أهل الصلاح، وهناك أدلة كثيرة أُخر على هذا المعنى، منها:

* قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣].

* قول النبي ﷺ: «**من أكل ناسيًا وهو صائم فليُتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**». أخرجه البخاري (٦٦٦٩).

* قول الصحابة لرسول الله ﷺ: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ أخرجه البخاري (حديث ٦٦٧١).

عَلَيْهِ السَّلَامُ وتعجب منه الفتى.

لقد كان المسير للحوت سربًا ولموسى وفتاه عجبًا!!

قال الفتى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ لقد نسيت هنالك عند الصخرة الحوت يا نبي الله: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ لقد شغلني الشيطان وألهاني وأنساني الحوت أن أذكر لك ما حدث منه مع أن أمره كان عجيبًا.

لقد شقَّ طريقه في البحر بطريقة عجيبة وأحدثت عجبًا.

لقد أمسك الله جرية الماء، لقد تجمد الماء في الطريق الذي سار فيه الحوت وأصبح ثَم جامدًا!! فماذا قال موسى لفتاه؟ وقد أخبره أنه نسي الحوت والناسي ليس بملومٍ، فحتى أهل الصلاح يعتريهم النسيان فهذا رسولنا محمد ﷺ يقول: «**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون**».

❁ لم يُثرب نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الخادم، بل طمأنه فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾، أي هذا الذي كنا نُريد ونطلب، فتلك حاجتنا، حاجتنا الوصول إلى المكان الذي فُقد فيه الحوت، فلنرجع إليه ثانيةً، هيا فلنرجع إلى الصخرة التي نسينا عندها الحوت فعندها مطلبنا، وعندها مرادنا! ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: فرجع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفتاه يتتبعان آثار أقدامهما ويسيران راجعين من حيث أتيا حتى يصلا إلى الصخرة فبلغا الصخرة فعندها وجد المراد، عندها وجدا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. أي: لما وصلا إلى الصخرة وجدا عبدًا من عباد الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]، وجداه مسجًى بثوبٍ. أي: متغطيًا بثوب مستلقيًا على قفاه فسلَّم عليه

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٤٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إنما سُمي الخضر لأنه جلس على فروةٍ بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**».

والفروة قيل: إنها الأرض اليابسة، وقيل: إنها الحشيشة اليابسة وقيل: إنها قطعة من أرض بيضاء ليس فيها نبات.

موسى عليه السلام قائلًا: السلام عليكم. فكشف الخضر عن ثوبه فرد السلام قائلًا وعليكم السلام، وقال أيضًا مستغربًا متعجبًا: «أنى بأرضك السلام» أي: من أين السلام في هذه الأرض؟! فهذه الأرض وتلك البلاد لا يُعرف فيها السلام إنما لهم تحيات أُخر.

ثم إن الخضر سأل موسى عليه السلام قائلًا: «**من أنت؟**». قال: «**أنا موسى**». قال: ومن موسى؟ قال: موسى بني إسرائيل؟ فكأن الخضر كررها للتأكيد، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال موسى عليه السلام: نعم. قال له الخضر: «**مجيءُ ما جاء بك**»؟؟ يعني: من أجل أي شيءٍ جئت قال: جئت لتعلمني مما علمت رشدًا.

وهذا العبد (الذي هو الخضر عليه السلام) قد رزقه الله رحمة من عنده، قال بعض العلماء: إنها النبوة، وقال آخرون: إنها رقة في القلب قذفها الله في قلبه لمن يستحقها فالخضر كان رقيقًا رحيمًا بمن يستحق الرقة والرحمة[1]، وأيضًا قد رزقه الله علمًا واسعًا يتعلق ببعض أمور الغيب، وذاك علمٌ لم يعلمه موسى عليه السلام من ثمَّ التمسه موسى عليه السلام وسعى إليه، وحرص عليه، فلما التقى بالخضر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا﴾، هل تأذن لي في اتباعك وصحبتك على أن تُعلمني مما علمك الله من العلم النافع الذي أسترشد به في دُنياي وأُخراي[2] ففي هذا تذكيرٌ من موسى عليه السلام للخضر عليه السلام بنعمة الله عليه وذلك من قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾، أي: من الذي علمكه الله، فلولا فضل الله عليك ما تعلمت، فكأنه يقول: أنفق من العلم الذي أعطاكه الله عز وجل ولا تبخل عليَّ بتعليمي شيئًا مما رزقك الله وعلمك إياه.

فقال الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا﴾ أي: لن تستطيع أن تصبر

---

(١) وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وأهل الجنة ثلاثة ... ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم عفيف متعفف ذو عيال**» أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) فموسى عليه السلام يطلب علمًا نافعًا مرشدًا إلى الخير.

على ما تراه مني من أمور، ثم التمس له العذر بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾، أي: كيف تصبر على أمور تصدر مني لم تطلع أنت على حقيقتها؟

فمن المعلم أن من جهل شيئًا استنكره وعاداه.

دلَّ على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

ودلَّ على ذلك أيضًا أن موسى عليه السلام استنكر على الخضر أمورًا، يأتي ذكرها بعد ذلك، وذلك الإنكار من موسى عليه السلام لكونه لم يطلع على حقيقتها من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

فالتمس الخضر العذر لموسى عليه السلام كما قدمنا، وقال له أيضًا ملتمسًا له عذرًا: «يا موسى إنك على علمٍ من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه وأنا على علمٍ من علم الله علمنيه الله لا تعلمه»(١).

وحقٌّ ما قاله الخضر لموسى عليهما السلام، فالناس تخصصات فهذا يرزقه الله علمًا وفهمًا في باب من الأبواب، وذاك يُرزق العلم والفهم في باب آخر، وهذا يرزق المال، وذاك يرزق الجاه، وذاك يرزق الجمال وذاك يُرزق النسب والشرف.

وها هم أصحاب رسول الله ﷺ، فقد كان منهم العالم بالقراءات كأبي بن كعب رضي الله عنه(٢) والعالم بالقضاء كعلي رضي الله عنه، والعالم بالسياسة كعمر رضي الله عنه، والعالم بالأنساب كأبي بكر رضي الله عنه والعالم بالفرائض كزيد بن ثابت رضي الله عنه، والعالم بالحلال والحرام كمعاذ بن جبل رضي الله عنه، والعالم بفنون القتال كخالد رضي الله عنه إلىٰ غير ذلك.

وقد تنوعت مناقبهم وتعددت فضائلهم فمنهم الصديق الذي صحب النبي

---

(١) العلم الذي تعلمه الخضر هو اطلاعه على بعض أمور الغيب بإذن الله أما الحديث فهو في «الصحيحين» ويأتي من آخر البحث إن شاء الله.

(٢) راجع فضائل المذكورين إن شئت في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

ﷺ، ومنهم الفاروق الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، ومنهم الحيي الكريم الذي تستحيي منه ملائكة الرحمن كعثمان رضي الله عنه، ومنهم الشجاع المغوار كحمزة أسد الله، وعلي رضي الله عنهما ، ومنهم أمين الأمة أبو عبيدة رضي الله عنه، وحواريُّ الرسول ﷺ كالزبير رضي الله عنه.

والمنفق المحسن المتصدق كعثمان وابن عوف رضي الله عنهما.

وأول من رمىٰ بسهم في سبيل الله سعد رضي الله عنه.

ومنهم من أبوه أُمة ثم هو من أوائل من أسلموا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما.

إلىٰ غير هؤلاء من أصحاب الفضائل والمناقب والكل يثني علىٰ الآخر، ويُجلُّه وينزله منزلته ويعطيه قدره.

وكلٌّ يحيل علىٰ الآخر إذا كان أعلم منه في باب من الأبواب وكل يسأل الآخر ويستفيد منه ويتواضع له وكم كان عُمر رضي الله عنه وهو المُحدِّث الملهم أحد العشرة المبشرين بالجنة يتواضع لأُبي بن كعب رضي الله عنه، وكم كان يثني علىٰ ابن مسعود وكم كان يستشير عليًّا، وكم كان يُجل ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا دومًا أهل العلم وأولو النهىٰ يتواضعون ويخفضون الجناح لمن يلتمسون منه علمًا ويوقرونه وإن كانوا أفضل منه فموسىٰ عليه السلام أفضل من الخضر عليه السلام.

فموسىٰ من أولي العزم من الرسل آتاه الله التوراة واصطفاه وكلمه تكليمًا، والخضر دون ذلك ومع ذلك لم يمتنع موسىٰ من التعلم من الخضر وشدِّ الرحال إليه؛ التماسًا للعلم وبحثًا عنه.

فيؤخذ منه تعلم الفاضل من المفضول إن كان عند المفضول علم ليس عند الفاضل.

وكما قال علماؤنا الأولون -يرحمهم الله-: (لا ينبل العالم حتى يأخذ ممن

فوقه، وممن دونه).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب ، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه ، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله؛ فالخضر إن كان وليًّا فموسى أفضل منه؛ لأنه نبي والنبي أفضل من الولي ، وإن كان نبيًّا فموسى فضله بالرسالة. والله أعلم.

نرجع فنقول: إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أوتي علمًا في جانب، والخضر أوتي علمًا في جانب آخر.

وقد قال الخضر لموسى – كما في الحديث عن رسول الله ﷺ-: « **أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك؟ يا موسى إن لي علمًا لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علمًا لا ينبغي لي أن أعلمه** ».

ومن ثمَّ فلن يصبر موسى على الخضر، كذا قال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، ثم أكد ذلك له بقوله ملتمسًا له العذر: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾.

إلا أن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أصرَّ على الصحبة قائلًا: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾.

أي: سأصبر إن شاء الله، ولن أعصيك.

۞ وهنا يُثار تساؤل ألا وهو: هل الاستثناء (أعني قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إن شاء الله) مختصٌّ بالصبر وحده، أم أنه متعلق بالصبر وعدم عصيان الأمر؟

۞ وكإيضاح لذلك: فقوله: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ ففيه فقرتان:

أولاهما: ستجدني صابرًا.

الثانية: لا أعصي لك أمرًا.

فهل قول (إن شاء الله) متعلق بالفقرة الأولى منهما؟

أم أنه متعلقٌ بالفقرتين معًا؟

وفائدة طرح هذا السؤال: بيان أنَّ قول (إن شاء الله) من قائله لا يُلزم بتحقق ما ذكر القائل أنه سيفعله، فقد يقول قائل: سأسافر غدًا إن شاء الله، ولا يتحقق له السفر، إذ الله قد شاء أمرًا آخر.

وكجواب على السؤال السابق: فمن العلماء من قال: إنه مختصٌّ بالصبر وحده، قالوا وقد تحقق فقد صبر موسى عليه السلام. أما قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٩] فلم يتحقق، فقد نهاه الخضر عن السؤال بقوله: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٠] ولكن موسى عليه السلام خالف في ذلك: فقال: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] وقال: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ [الكهف: ٧٤] وقال: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ [الكهف:٧٧].

قلت: (مصطفى): ويرد أيضًا على قول من قال إن الصبر قد تحقق أن النبي ﷺ قال: «وددنا أن موسى عليه السلام **كان صبر فقص الله علينا من خبرهما**».

وهذه بعض أقوال العلماء في هذه المسألة:

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾ أي: سأصبر بمشيئة الله. ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ أي: قد ألزمت نفسي طاعتك. وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ أم لا ؟ فقيل: يشمله كقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقيل: استثنى في الصبر فصَبَر، وما استثنى في قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ فاعترض وسأل. قال علماؤنا: إنما كان ذلك منه؛ لأن الصبر أمر مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم عليه. ويمكن

أن يفرق بينهما بأن الصبر ليس مكتسبًا لنا بخلاف فعل المعصية وتركه، فإن ذلك كله مكتسب لنا؛ والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1]:

وقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾.

قيل: استثنى في الصبر فصبر، ولم يستثن في العصيان فعصاه وفيه نظر، وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه والمشي معه وغير ذلك، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع.

وأقول: معلِّقًا على ما قاله الحافظ رحمه الله:

إن النبي ﷺ قد قال: «يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما».

ونرجع إلى ذكر موسى والخضر عليهما السلام فأقول وبالله التوفيق: إن موسى عليه السلام لما أصرَّ على صحبة الخضر ووعده بالصبر على ما يلقى منه من أحداثٍ وأمورٍ اشترط الخضر عليه شرطًا فـ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

أي: لا تسألني عن شيء حتى أكون أنا الذي أُخبرك وأُطلعك على حقيقة ما أصنعه، وعلى حقيقة ما تراه مني.

ويبدو أن نبي الله موسى عليه السلام قد وافق على ما اشترطه عليه الخضر عليه السلام وهذا مفهوم من سياق الآيات الكريمات إذ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَٱنطَلَقَا...﴾ وهذا مفاده أن نبي الله موسى عليه السلام قد وافق على الشرط.

وفي صريح الحديث عن رسول الله ﷺ أن موسى عليه السلام قال: «**نعم**» لما اشترط عليه الخضر ما اشترط.

---

(١) «فتح الباري» (٨/٤١٨).

انطلق موسى عليه السلام مع الخضر متعلمًا متواضعًا مسترشدًا صلوات الله وسلامه عليه.

وإلى هنا قد انقطع ذكر فتى موسى عليه السلام من القصة المباركة، فإلى أين ذهب، هل كان معهما؟ أم أنه رجع؟[١] علم ذلك موكول إلى الله تعالى، فالله أعلى وأعلم.

❁ أما موسى والخضر عليهما السلام فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينةٌ فكلَّما أصحابها أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير أجرٍ، فلما ركبا السفينة رأيا عصفورًا قد جاء فوقف على حرف السفينة فنقر بمنقاره نقرة في البحر فقال الخضر لموسى عليهما السلام، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر.

ثم إن الخضر عليه السلام لما توسطت بهم السفينة في البحر خرقها كما قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾.

أما كيف خرقها فقد ورد عن رسول الله ﷺ[٢]: أنه قال: «**فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم**» وفي رواية أُخرى[٣] عند البخاري أيضًا: «**فخرقها ووتد فيها وتدًا**».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٤]: والجمع بين الروايتين أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدًا.

---

(١) ويبدو من حديث رسول الله □ أنه رجع قوله في الحديث: «**فحملوهما**» والمراد موسى والخضر.

(٢) البخاري (٤٧٢٥).

(٣) البخاري (٤٧٢٦).

(٤) فتح (٢٧٢/٨).

وفي رواية عند البخاري[١]: «**إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا، قال ولم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم**».

وقال الحافظ أيضًا: وفي رواية أبي العالية (فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك).

قلت (مصطفى): وقد أورد الطبري بسندٍ فيه ضعف إلى أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ .. فذكر الحديث وفيه فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، يتعرضان الناس، يلتمسان من يحملهما، حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمرّ بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها، فسألا أهلها أن يحملوهما، فحملوهما، فلما اطمأنا فيها، ولجت بهما مع أهلها، أخرج منقارًا له ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحًا فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها، ثم إن نبي الله موسى عليه السلام قد رأى الخضر ورأى ما صدر منه من خرق السفينة، فتعجب من هذا الصنيع واستنكره فيفترض أن الإحسان يجازى بالإحسان، وهؤلاء قوم جنحوا بسفينتهم إلى البرِّ لحملنا، ثم إنهم حملونا بغير أجرٍ فكيف نصنع معهم هذا الصنيع، فعندها نسي موسى عليه السلام العهد الذي أخذه عليه الخضر، إذ قال له: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

لقد نسي موسى عليه السلام هذا الشرط؟!

❁ **قال النبي** ﷺ: «**كانت الأولى من موسى نسيانًا**».

لقد قال موسى عليه السلام للخضر لما رآه قد خرق السفينة فاستنكر هذا الصنيع: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾. لقد صنعت شيئًا عظيمًا مُنكرًا!!

فعندها قال الخضر لموسى عليه السلام مُذكِّرًا ومُنبهًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٠١).

صَبۡرٗا ﴾

ألم أخبرك أنك لن تطيق الصبر عليَّ، وعلى ما يصدر مني من أحداث، وما تراه مني من أمور يُنكرها عقلك؟! فعندها استدرك موسى ﷺ، فهو إنما جاء مُتعلمًا مسترشدًا، وقد أخبره ربه أن الخضر أعلم منه (في هذا الباب) وقد قال له الخضر: (إني على علم من الله علمنيه الله لا تعلمه) وأخذ عليه الخضر العهد أن لا يسأل عن شيء...

فلهذا ولغيره استدرك موسى ﷺ، وظهر له نسيانه قال للخضر معتذرًا: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴾ لقد نسيت الشرط الذي اشترطَّه عليَّ فلا تؤاخذني وسهِّل عليَّ أمر صحبتك، ولا تجعل مرافقتي ومتابعتي لك شاقَّةً عليَّ!!

لقد قبل الخضر من موسى ﷺ هذا الاعتذار ومضى موضوع السفينة ونزلا منها.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ ﴾.

سبحان الله لقد قتل الخضر الغلام!!

لقد قتله أمام موسى ﷺ!! ولكن كيف قتله؟

لقد انطلق الخضر مع موسى ﷺ، حتى إذا لقيا غلمانًا يلعبون فانطلق الخضر إلى أحدهم مُسرعًا بلا كبير تفكير في الظاهر، فقتله وقد ورد في «الصحيحين»[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله**» وفي رواية أخرى عند البخاري[2] أيضًا قال سعيد: وجد غلمانًا يلعبون فأخذ غلامًا

(١) البخاري (حديث ٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠).
(٢) البخاري (حديث ٤٧٢٦).

كافرًا ظريفًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين.

قال الحافظ في «الفتح»: ويجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه.

قلت (مصطفى): ورواية سعيد الظاهر أنها ليست متصلة الإسناد فقد أخرج الطبري[1] نحوها عن سعيد من قوله لم يرفعه إلى ابن عباس ولا إلى رسول الله ﷺ وعند الطبري[2] أيضًا بسند فيه ضعف فإذا غلمان يلعبون ...فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أثرى ولا أوضأ منه ، فأخذه بيده، وأخذ حجرًا، قال: فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله، قال: فرأى موسى أمرًا فظيعًا لا صبر عليه.

وثَمَّ سؤالٌ يُطرح، ألا وهو هل كان هذا الغلام المقتول بالغًا أم غير بالغ؟

وجوابه: لقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن هذا الغلام كان دون البلوغ (أي لم يبلغ) ومن حججهم أن اسم الغلام يطلق في الغالب على من دون البلوغ.

ومن حججهم أيضًا قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي: طاهرة لم ترتكب ذنبًا ولم يجر عليها القلم بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن هذا الغلام كان بالغًا ومن أدلتهم على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» قالوا: والصغير لا يوصف بالكفر مع الأبوين المؤمنين.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ومن المعلوم أن الطفل الذي دون البلوغ إذا قتل شخصًا لا يقتل به وأجاب هؤلاء على ما ورد من كون الغلام يطلق على الصغير بأن كلمة الغلام تأتي أحيانًا يُراد بها الكبير أيضًا أما الأولون فأجابوا على الاستدلال بقوله عليه السلام : «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**»[3]. أن هذا ليس بصريح أبدًا في كونه كان بالغًا.

---

(١) الطبري (٢٣٢٢٧).

(٢) الطبري (٢٣٢٠٩).

(٣) صح أن رسول الله □ قال: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» وسيأتي إن شاء الله.

وعلى الاستدلال بقوله: ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ بأن مثل هذا القصاص من الصغير كان سائغًا في الأمم من قبلنا، والله تعالى أعلم.

هذا، وقد قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿غُلَٰمٗا﴾ اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغًا أم لا؟ فقال الكلبي: كان بالغًا يقطع الطريق بين قريتين، وأبوه من عظماء أهل إحدى القريتين[١]، وأمه من عظماء القرية الأخرى[٢]، ثم قال: وقال الجمهور: لم يكن بالغًا؛ ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب، وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام؛فإن الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ، وتقابله الجارية في النساء، وكان الخضر قتله لِما علم من سره، وأنه طُبع كافرًا كما في صحيح الحديث، وأنه لو أدرك لأرهق أبويه كفرًا. وقتْلُ الصغير غير مستحيل إذا أذن الله في ذلك؛ فإن الله تعالى الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء، وفي كتاب «العرائس» إن موسى لما قال للخضر: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ﴾ الآية ـ غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبدًا[٣]. وقد احتج أهل القول الأول بأن العرب تبقي على الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلى الأخيلية:

شَفَاها من الدَّاءِ العُضالِ الَّذِي بِهَا ... غُلَامٌ إذا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاها

وقال صفوان لحسان:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيفِ عَنِّي فَإِنَّنِي ... غُلامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بشاعرِ

وفي الخبر[٤]: إن هذا الغلام كان يفسد في الأرض، ويقسم لأبويه أنه ما فعل،

---

(١) كل هذا لا يصح له إسناد.

(٢) صح أن رسول الله ﷺ قال: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» وسيأتي إن شاء الله.

(٣، ٤) كل هذا لا يصح له إسناد.

فيقسمان على قسمه ويحميانه ممن يطلبه، وقوله: ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس ، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، وإنما جاز قتله لأنه كان بالغًا عاصيًا . قال ابن عباس: كان شابًّا يقطع الطريق. وذهب ابن جبير إلى أنه بلغ سن التكليف لقراءة أبي وابن عباس: (**وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين**) والكفر والإيمان من صفات المكلَّفين، ولا يطلق على غير مكلَّف إلا بحكم التبعية لأبويه، وأبوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر إلا بالبلوغ، فتعين أن يصار إليه. والغلام من الاغتلام وهو شدة الشَّبَق.

ولنرجع إلى قصتنا المباركة.

ماذا كان من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى الخضر قد قتل الغلام؟!!

لقد استنكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مسألة قتل الغلام استنكارًا شديدًا، وذُعِرَ ذعرةً مُنكرةً[1].

إن القتل جريمةٌ بشعة فما بالك بقتل الغلام؟!!

وما ظنك بقتل النفس الزكية؟!!

إن خرق السفينة قد يُعالج، وقد تعود أحسن مما كانت، لكن قتل الغلام، وقتل النفس الزكية كيف يُعالج.

ومن ثَمَّ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للخضر: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ﴾ يعني: طاهرةً من الذنوب: ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ أي: بغير نفس قتلها هذا الغلام، ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾، أي لقد فعلت منكرًا عظيمًا، وأحدثت حدثًا عظيمًا.

فعندها اشتد الخضر على موسى، فموسى ﷺ إنما جاء مُتعلِّمًا مُسترشدًا، وقد نُبِّه مرةً سابقة، ولكن هاهو يصدر منه ما قد نُهي عنه من قبل فمن ثَمَّ قال له الخضر: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾، وهي أشد من الأولى، فالأولى

(١) كما في رواية مسلم وستأتي إن شاء الله.

فيها: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

والثانية فيها: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

فعندها استحيا موسى عليه السلام من كثرة المُراجعات وتكرار الاعتذارات، وأشفق من اللَّوم والذَّمِّ فـ﴿قَالَ﴾ موسى للخضر عليهما السلام: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

أي: إن سألتك عن شيء بعد مسألتي هذه التي سألتك عن قتل الغلام ففارقني ومعك حقٌّ في مفارقتي فقد تركتني وتجاوزت عني مرارًا، فلك عذر إذن في مفارقتي فموسى عليه السلام هو الذي قطع على نفسه سبيل الصحبة بعد أن تكرر منه الاعتذار، قطعه حياءً وإشفاقًا وخشيةً من اللوم.

قال نبينا محمد ﷺ: «**يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما**»، وقال أيضًا: «**ولو صبر لرأى العجب**»، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، تكلم موسى عليه السلام بالذي تكلَّم به: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾.

فالخطأ إذا تكرر ثلاثًا فقد ضعف الاعتذار.

ومن ثم قال موسى عليه السلام في الثالثة:

﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

أي: فإن طلقها الثالثة.

وفي الاستئذان: يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع»[١].

(١) البخاري (مع الفتح ٢٦/١١) ومسلم (مع النووي ١٣٠/١٤)..

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية. قال ابن عطية يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلى ثلاثة أيام وفي التلوم، ونحو ذلك.

نرجع فنقول، وبالله التوفيق: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ انطلق موسى مع الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ على هذا الشرط الذي اشترطه موسى على نفسه: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾.

لقد انطلقا ذاهبين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾[1] لِئامًا ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ فطافا في المجالس يسألون أهلها الطعام: ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، فرفض أهل القرية أن يطعموهما، رفض أهل القرية أن يقدموا لموسى والخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حق الضيف وما ينبغي للضيف.

فسبحان الله، فمن يجهل أمر الناس وأقدار الناس لا يُنزلهم منازلهم.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله من أولي العزم من الرسل، ذلكم النبي الكريم الذي أُنزلت عليه التوراة، وأمدَّه الله بالآيات الباهرات والمُعجزات الظاهرات يسأل الناس الطعام فلا يطعموه! وكذا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمًا يطلب من أهل القرية طعامًا ويطوف في مجالسها حتى يطعموه فكلهم يأبى أن يُطعمه.

فهكذا من لا يعرفون الناس لا يُنزلونهم منازلهم!!!

إن نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر على امرأة تبكي عند قبر فقال لها: «**اتقي الله واصبري**» فماذا قالت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وهي لا تعرفه، لقد قالت له: (إليك عني إنك لم تُصب بمصيبتي)، فقيل لها بعد ذلك: إنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتته في بيته فقالت: إني لم أعرفك يا رسول الله فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[2].

---

(١) ولم يصح خبر مرفوع في تسمية القرية، وهذا ليس بضار، ولو كان في التسمية نفع لذكره ربنا سبحانه وتعالى.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

شاهدي منه: أن المرأة التي لم تعرف النبي ﷺ تلفظت معه بلفظ لا تتلفظ به أبدًا لو أنها كانت تعرفه.

نرجع فنقول إن أهل القرية لم يطعموا موسى والخضر عليهما السلام، مع أن الضيف له حق.

❁ أخرج البخاري[(١)] من حديث عقبة بن عامر قَالَ: قُلْنَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّكَ تَبْعَثُنَا، فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ لاَ يَقْرُونَا، فَمَا تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَنَا: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ ، فَأَمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ**».

وقد أورد البخاري رحمه الله هذا الحديث في كتاب المظالم من «صحيحه» مُشيرًا بذلك - فيما يبدو لي - إلى أن رب البيت إذا لم يُكرم الضيف فقد ظلمه؛ إذ قد أورده تحت باب (قصاص المظلوم) إذا وجد مال ظالمه.

❁ وأخرج أحمد[(٢)] بسندٍ حسن من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ ، فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا، فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ**».

❁ وأخرج أبو داود[(٣)] بإسناد صحيح من حديث المقدام بن معد يكرب (أَبِي كَرِيمَةَ) رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فمن أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَإِنْ شَاءَ اقْتَضَى، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**».

وهذا أيضًا كمٌّ من الوارد في الحثِّ على إكرام الضيف لعلَّ مُدّكرًا أن يدَّكر.

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٦١)، ومسلم (حديث ١٧٢٧)، وقد استدلَّ بهذا الحديث من يرى أن الضيافة واجبة، بينما ذهب الجمهور إلى أنها مستحبة وأنها سنة مؤكدة، ومن حجج الجمهور على استحبابها قول النبي ﷺ: «**جائزته يوم وليلة**» وإعطاء الجائزة ليس بواجب فالجائزة تفضلٌ.

(٢) أحمد (٢/٣٨٠).

(٣) أبو داود (٣٧٥٠).

ومتعظًا يتعظ.

أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[2]، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

❁ وفيهما[3] أيضًا من حديث أبي شريح العدوي ﷺ قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلَّم النبي ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**» قيل: وما جائزته يا رسول الله ؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقةٌ عليك[4]، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

❁ **وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ﷺ:** «**..وإن لزورك[5] عليك حقًّا..**»[6].

❁ ويقرُّ النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «**وإن لضيفك عليك حق**»[7].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٨) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٧).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى«فتح الباري» (٤٦٠/١٠) طبعة الريان : ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية ، وقد يكون مستحبًا ، ويجمع الجميع على أنه من مكارم الأخلاق.

(٣) البخاري (٦٠١٩) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٨) (ص١٣٥٢).

(٤) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (٥٤٩/١٠)،عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يُتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلة ، وفي اليومين الأخيرين يُقدم له ما يحضره ، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٥) الزور: هو الضيف، يُقال : هؤلاء زور.

(٦) الحديث أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة ﷺ وفيه أن سلمان قال =

وأخرج أحمد[(١)] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال: « **ما من الناس مثل رجلٍ آخذ بعنان فرسه فيجاهد في سبيل الله ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل بادٍ في غنمه يقري ضيفه، ويؤدي حقه**».

وأخرج مسلم[(٢)] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم، مرضت فلم تَعُدْنِي، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟! أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يابن آدم، استسقيتك فلم تسقني؟ قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه. أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماءٌ، فقال: «**من يُضيفُ هذا الليلة، رحمه الله**» فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأتِهِ : هل عندك شيءٌ؟ قالت: لا ، إلا قوت صبياني؟ قال: فعلليهم بشيءٍ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى

= لأبي الدرداء رضي الله عنهما: «**إن لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا ، وإن لأهلك عليك حقًّا فأعط كل ذي حق حقه**» فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك فقال له: «**صدق سلمان**».
وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) حديث(١٩٦٨، ٦١٣٩).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣١١/١).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٦٩).

تطفئيه قال: فقعدوا وأكل الضيفُ، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

۞ وأخرج البخاري في «صحيحه»[١] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلاَ نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لاَ نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**».

وأُخِذَ من هذا الحديث أن للضيف أن يطلب من القوم قدر قِراه، وأن يطلب منهم أن يضيفوه. ولكن هكذا البشر منهم الكريم ومنهم البخيل.

منهم من يعرف حق الضيف ويقدمه لك قرير العين بضيافة الأضياف، ومنهم الشحيح البخيل الممسك.

وقد يُبتلى أهل الصلاح بأولئك الأشحة المُمسكين البُخلاء والله يفعل ما يشاء.

ولنرجع فنقول ماذا كان من الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد امتنع أهل القرية عن استضافته واستضافة صاحبه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ لقد انطلق الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾ في القرية: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾.

لقد رأى الخضر جدارًا مائلًا يريد أن ينقض، يوشك أن يسقط وينهدم فأقامه الخضر بيده وأصلحه، وسواء عليه أمسح الجدار بيديه فأصلحه بإذن الله وقدرته، أو أنه هدمه ثم بناه، فالحاصل أنه عَدل ميله حتى عاد مستويًا[٢] فحينئذٍ

---

(١) البخاري (حديث ٥٧٣٦).

(٢) قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله عزَّ ذكره أخبر أن صاحب =

تكلم نبي الله موسى عليه السلام، قائلًا: قومٌ أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فالضيف له حق، وهؤلاء بخلاء لم يعطوا الضيف حقه فتعمَدُ إلى جدارهم تقيمه وتصُلحه بلا أجر!!

فحقًّا إنها أمورٌ غريبة على نبي الله موسى عليه السلام، وكذا فهي عجيبة أيضًا!!

الذين يحسنون إلينا ويحملوننا في سفينتهم بغير أجرٍ نخرق لهم سفينتهم؟!!

والذين يسيئون إلينا ويمنعوننا حق الضيف ونسألهم الطعام، ونمرُّ بمجالسهم نسألهم لقمةً من العيش نقيم بها صُلبنا فيمنعوننا نحسن إليهم ونبني لهم الجدار بلا أجر؟

إنها أمورٌ تدعو إلى الاستنكار والتعجب، فلذا صدر من نبي الله الكريم الكليم موسى عليه السلام ما صدر[1]!!

أمَّا الخضر عليه السلام فهو يفعل ما يفعله بوحيٍ، ليس من قِبل نفسه، وليس عن اجتهاده ورأيه.

أما، وقد حكم نبي الله موسى عليه السلام على نفسه من قبل بقوله: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن

= موسى وموسى وجدا جدارًا يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى، بمعنى: عَدَل ميَله حتى عاد مستويًا. وجائز أن يكون ذلك كان بإصلاح بعد هدم. وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوى بقدرة الله، وزال عنه ميله بلطفه ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر قاطع بأي ذلك كان.

(١) ويذكر بعض العلماء الذين يتتبعون مِلح التفاسير والمنثورات فيه، أن نبي الله موسى عليه السلام استنكر أمورًا، وقد حدثت له أمور تشابهها، فقد استنكر خرق السفينة خشية غرق أهلها، وقد ألقته أمه وهو طفل صغير رضيع في تابوت، وألقت التابوت في اليم!! فسبحان الله! وكذا أنكر موسى عليه السلام قتل النفس، وقد قتل موسى عليه السلام نفسًا لم يُؤمر بقتلها!! فسبحان الله!

وكذا أنكر موسى إقامة الجدار بلا أجر لقوم لم يُقروهم ولم يقدموا لهم حق الضيف.

وقد أتى موسى عليه السلام ﴿مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾، فحينئذٍ قرر الخضر عليه السلام الفراق، قائلًا: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

ولكنه لم يترك موسى عليه السلام بلا تعليم، بل طمأن قلبه بإخباره بأسرار ما صنع، وحقيقة ما كان بل قال له: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: سأُخبرك بحقيقة الأمور التي لم تستطع الصبر عليها.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ التي أنكرت عليَّ خرقها. ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ فأصحابها مساكين دخلُهم لا يكاد يكفيهم، ولذلك وُصفوا بأنهم مساكين مع امتلاكهم سفينة. ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فرغِبتُ في خرقها لا للإضرار بالمساكين، ولا للمشقة عليهم، ولكن لعلةٍ خفيت عليك.

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾[1] ظالمٌ مغتصبٌ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ يتتبع السفن الصالحة[2] الجيدة في البحر، فإذا وجد سفينةً صالحةً اغتصبها من أصحابها ظلمًا وعدوانًا، وإذا وجد سفينةً مُنخرقةً تجاوزها وتعدَّاها ولم يأخذها، ثم هم بعد ذلك يصلحونها بخشبةٍ. فهذا شأن السفينة وهذا بيانُ حالها، وذاك مآل أمرها، فما صنعته أنا مع أصحاب السفينة إذن كان شكرانًا للجميل ومكافأة على المعروف والإحسان اللذان صُنعا معنا.

أما نحن فنأخذ من هذا الصنيع فوائدًا وعبرًا منها:

إن الأمور قد يكون في ظاهرها المكروه والسوء، ولكنها تحمل للمؤمن كلَّ خير، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالى في شأن النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ

---

(١) ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله: ﴿وَرَاءَهُم﴾ بمعنى أمامهم، واستدل له بقوله تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦].

(٢) قلنا الصالحة؛ لأنه لو كان يأخذ كل سفينة ما كان لخرقها معنى.

ﭐللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] [النساء: ١٩].

ومنها أن المفاسد إذا تواردت علينا، وكان لزامًا أن نقع في واحدة منها اخترنا أخف المفاسد دفعًا لكبيرها وأخطرها.

فهنا إما أن تُخرق السفينة وإما أن تُغتصب، فكان الخرق أخف المفسدتين، فأقدم الخضر عليه السلام على خرقها دفعًا لمُصادرتها.

أما الغلام الذي استنكرتَ عليَّ قتله فطبع يوم طُبع كافرًا، وكان أبواه قد

---

(١) أخرج البخاري (حديث: ٣٤٦٦)، ومسلم (ص ١٩٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم وصاحب جريج ....»** فذكر الحديث: **«وبينا صبي يرضع من أمه فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة(*) وشارة(**) حسنة: فقالت أمه: اللهمَّ! اجعل ابني مثل هذا . فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه . فقال : اللهم ! لا تجعلني مثلهُ ثمَّ أقبلَ على ثديه فجعل يرتضعُ. قال: فكأني أنظرُ إلى رسول الله ِ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه . فجعل يمصُّها ، قال: ومروا بجارية وهم يضربُونها ويقولونَ: زنيتِ سرقت ، وهي تقولُ : حسبي الله ونعمَ الوكيل . فقالت أمهُ : اللهم ! لا تجعل ابني مثلَهَا . فترك**

(*) فارهة: الفارهة النشيطة الحادة القوية.

(**) وشارة: الشارة الهيئة واللباس.

الرَّضاعَ ونظرَ إليها،فقال : اللهُمَّ! اجعلْنِي مثلها. فهناك تَرَاجعَا الحديث(*) فقالت: حلقى(**)! مرَّ رجلٌ حسن الهيئةِ فقلتُ: اللهمَّ! اجعل ابني مثلهُ فقلت :اللهمَّ لا تجعلنِي مثله، ومرُّوا بهذهِ الأمَة وهُمْ يضربونها ويقولُونَ : زنيتِ. سرقتِ فقلتُ: اللهم! لا تجعل ابني مثلَهَا . فقلت : اللهم! اجعلني مثلها(***). قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا. فقلت: اللهم ! لا تجعلني مثله. وإن هذه يقولون لها : زنيت ولم تزن. وسرقت ولم تسرق. فقلت: اللهم ! اجعلني مثلها.

(*) تراجعا الحديث: معناه أقبلت على الرضيع تحدثه وكانت أولاً، لا تراه أهلاً للكلام فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته.

(**) حلقى: أي أصابه الله تعالى بوجع في حلقه.

(***) مثلها: أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة.

عطفا عليه، فلو أنه أدرك لأرهقهما طغيانًا وكفرًا، وقد كان أبواه مؤمنين، وكانا يحبانه، فقد يحملهما حبهما له على متابعته على ما هو عليه، وعلى الدفاع عنه رغم أنه مُبطل ومفسد، وعلى ظلم الناس بسببه ولو عاش لأوقعهما في الكفر، فأُمرنا بقتله ولم نقتله من تلقاء أنفسنا، إنما أمر بقتله الخبير البصير، الحكيم الخبير سبحانه وتعالى، وهو أعلم بالعباد فأردنا بقتله، أن يبدلهما ربهما ولدًا أصلح من هذا الولد وأشد برًّا بوالديه وأوصل للرحمن من هذا الشرير.

ونأخذ من هذا أيضًا فوائد:

منها: أن الشخص لا يفرح لكونه رُزق بمولود ذكر فقط! بل عليه أن يسأل الله الصلاح، صلاح النفس والأزواج والذُّريَّات ولذا فأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ورب العـــــزة يقـــــول: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[النساء:١١]

وأيضًا: لا يحزن حزنًا شديدًا يُهلك به نفسه إذا مات ولده، فما يدري كيف لو عاش هذا كيف يصنع.

صحيحٌ إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا للفراق لمحزونون، ولكن لا نقول إلا ما يرضي الرب سبحانه وتعالى.

وأيضًا: فليحذر الوالد من ولده الغويِّ فقد يرهقه طغيانًا وكفرًا، وقد قال تعـــــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٤].

نأخذ أيضًا من قصة قتل الغلام: خشية أن يرهق والديه طغيانًا وكفرًا دفع أعظم المفاسد إذا تواردت المفاسد (وإن كانت هذه الواقعة بعينها -واقعة قتل الغلام - خاصة بالخضر)، إنما الشاهد أصل هذه القصة، والله أعلم.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ الذي أنكرت عليَّ إقامته وإصلاحه بدون أجر ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ وهذا الكنز قيل: إنه كنز من المال، وقيل: إنه كنز من العلم، فالله أعلم بصحة ذلك، فلو سقط الجدار لأتى أهل هذه القرية البخلاء الذين لم يضيفونا فأخذوا هذا الكنز واستحوذوا عليه لأنفسهم، وأكلوا أموال اليتيمين.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، أي: كان والد اليتيمين صالحًا: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: لكون الوالد كان صالحًا حفظ الله لأولاده كنزهما حتى يكبرا ويقويا لاستخراج الكنز، وفي هذا رحمةٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لهذين اليتيمين، وإكرامٌ من الله عَزَّوَجَلَّ للوالد الصالح، وهكذا صلاح الآباء ينتفع به الأبناء في الدنيا وفي الآخرة.

أما في الدنيا فقد قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، وأما في الآخرة فرب العزة يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

ثم بين الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن كل هذا الذي قد صدر من الخضر لم يصدر عن اجتهاده ورأيه، بل هو مأمور بأمر الله عَزَّوَجَلَّ له، فقال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ أي: وما صنعت الذي صنعت عن اجتهادي ورأيي، ولكن عن أمر الله تبارك وتعالى، ثم قال له: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي شرحته لك وبينته لك ﴿تَأْوِيلُ﴾ أي: تفسير وتوضيح ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي الأمور التي لم تستطع الصبر عليها، وقيل هنا ﴿تَسْطِع﴾ وفي الآية الأولى ﴿تَسْتَطِع﴾ لكون الغموض قد زال بعض الشيء فخُفِّفت فقيل: تستطع. والله أعلم.

هذا وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، أي: هذا تفسير ما ضقت به ذرعًا، ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء، ولما أن فسره له وبينه، ووضحه وأزال

المشكل، قال: ﴿تَسْطِع﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قويًّا ثقيلاً فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ وهو الصعود إلى أعلاه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ وهو أشق من ذلك، فقابل كلاًّ بما يناسبه لفظًا ومعنى، والله أعلم.

هذا، ونأخذ من قصة إقامة الجدار فوائد؛ منها ما يلي:

❁ جواز إصلاح مال الشخص بغير إذنه إذا كان سيتلف؛ فقد أقام الخضر الجدار دون أن يستأذن أصحابه، قد قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وذكر النبي ﷺ في حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم قال: «**اللهم إن كنتَ تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أَرَز، فذهب وتركه، وأني عمدْتُ إلى ذلك الفرق فزرعتُه، فصار من أمره أني اشتريتُ منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجرَه، فقلتُ له: اعمدْ إلى تلك البقرِ فسُقْها، فقال لي: إنما لي عندك فَرَق من أرز، فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرَق فساقها، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، فانساخَت عنهم الصخرة**»[(١)].

نأخذ منها أيضًا استحباب إكرام أهل الصلاح بخدمة أقاربهم وأولادهم، فقد أقام الخضر الجدار للغلامين اليتيمين، إذ قد كان أبوهما صالحًا.

ومن هذا الباب قول أبي بكر لعليٍّ رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصل من قرابتي[(٢)].

وقول أبي بكر رضي الله عنه أيضًا: «ارقبوا محمدًا في أهل بيته»[(٣)].

---

(١) البخاري (رقم ٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣).
(٢) البخاري (رقم ٣٧١١) ومسلم (١٧٥٩).
(٣) البخاري (٣٧١٣).

ومن ذلك ما أخرجه مسلم [(١)] **في «صحيحه»:** من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عَزَّوَجَلَّ أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» [(٢)] **بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال:** سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله ﷺ، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يكن شاب إلا يسيرًا، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضبا بالحناء والكتم. قال: وجاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**لو أقررت الشيخ في بيته، لأتيناه مكرمة لأبي بكر**».

❁ نأخذ منها أيضًا جواز إطلاق القرية على المدينة، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ..﴾ [الكهف: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢] فالقرية هي مجموعة البيوت المستقرة، وهذا يطلق متحقق في المدينة أيضًا.

❁ ويؤخذ من ذلك جواز اكتناز الأموال وادخارها للضعفاء ونحوهم ما دامت تؤدى زكاتُها، فما أدي زكاته فليس بكنزٍ.

❁ ونأخذ من القصة أيضًا التأدب في اللفظ عند النقل عن الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قدمنا لذلك تفصيلًا، وهو هنا مأخوذ من قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب العيب إلى نفسه مع أنه يفعل كل شيء بأمر الله، وقال في الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] فنسب الخير إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) مسلم (حديث ٢٤٣٥).

(٢) أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٠).

وبين يدي الختام فهذه فوائد من هذه القصة المباركة قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، إضافة إلى ما ورد في ثنايها من الفوائد، وبالله التوفيق:

فمن ذلك ما يلي:

فوائد تتعلق بطلب العلم:

من ذلك ما يلي: ابتداءً على كل من العالم والمتعلم أن يُخلصا النوايا لله عز وجل ويبتغيا وجهه سبحانه وتعالى بعلمهما؛ فإن رسول الله ﷺ قد قال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

❁ **وقد بيَّن رسول الله ﷺ أن من أول من تُسعر بهم النار ثلاثة:**

منهم من قرأ ليُقال قارئ، أو تعلم ليقال عالم[(٢)]، والأحاديث الواردة في هذا كثيرة جدًّا.

❁ ثم يؤخذ من قصة موسى عليه السلام وذهابه إلى الخضر، استحباب الرحلة لطلب العلم والالتقاء بالعلماء والتزود لذلك.

فإن موسى عليه السلام، رحل لذلك وتزوَّد بالحوت، واصطحب خادمه معه من أجل ذلك، كل ذلك مع إصراره على اللقاء.

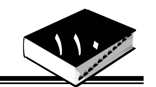
ويؤخذ من القصة مشروعية الرحلة لطلب العلم والاستزادة منه:

ومن الدليل على مشروعية الرحلة لطلب العلم واستحباب الخروج؛ لتحصيله والاستزادة منه قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ

---

(١) البخاري حديث (١) ومسلم.

(٢) عند مسلم (٣/ ١٥١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ....**» فذكر الحديث وفيه: «**ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**».



﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وعلى طالب العلم أن يُوطن نفسه على الصبر، وأن يسأل الله ذلك، فالصابر إنما صبره بالله.

ومن ثم قال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ **[الكهف: ٦٩]**

ومما يدل على أن طالب العلم يُستحب له الصبر والتأني قول رسول الله ﷺ في الحديث: **«وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما»**.

وليُعلم أن الإمامة لا تنال إلا بالصبر واليقين؛ قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]

ويؤخذ من ذلك أيضًا تلطف طالب العلم وتواضعه مع العالم: وذلك من قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]

فالمعنى: هل تأذن لي في اتباعك.

❁ وفيه أيضًا استئذان طالب العلم من العالم لمصاحبته والاستفادة منه.

❁ ومما يشهد لتواضع طالب العلم للعالم ما ورد عن الحبر الكريم الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

أخرج ابن سعد[١] في «الطبقات» بسندٍ صحيح عن الشعبي قال: أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالركاب فقال: تنحى يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: وقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ **[الكهف: ٦٦]**. هذا سؤال الملاطف،

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٢/ ١١٦).

والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب، المعنى: هل يتفق لك ويخف عليك؟ وهذا كما في الحديث: «هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟» وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢].

ويؤخذ من القصة أيضًا جواز اشتراط العالم على من يريد مصاحبته: وذلك من قول الخضر لموسى عليه السلام ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

ومحل ذلك إذا لم تخالف هذه الشروط شيئًا من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسول الله ﷺ.

وفيه أيضًا تذكير العالم للمتعلم بسعة علم الله عز وجل:

فقد تقدم في الحديث ... «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرةً، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**».

فمع كل الذي صنعه الخضر، وأطلعنا الله عليه، فكل هذا لا يقارب في علم الله إلا كما نقر العصفور في البحر، وقد قال تعالى أيضًا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وفيه أن العالم عليه أن يذكر الدليل لمن يتعلم منه، وأن يبين له أن ما يصنعه إنما هو بدليل حتى يطمئن قلبه ويهدأ باله: فدائمًا طلاب العلم والحق وأهل الإيمان يقنعون بالدليل من الكتاب والسنة، فعنده تقف عقولهم ويُسلِّموا لربهم، وقد قال الخضر لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] أي: إن الذي صنعته كان بأمر الله ووحيه ليس بأمري واختياري.

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم المنان» في الفوائد من هذه القصة:

ومنها: إن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب يدركه العبد

بجده واجتهاده.

ونوع علم لدني يهبه الله لمن يمنُّ عليه من عباده؛ لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

❁ وهذه فوائد أُخر:

ويؤخذ من القصة حرص نبي الله موسى عليه السلام على الازدياد من الخير، وهذا شيء معروف عن نبي الله الكريم الكليم موسى عليه السلام، فمع أن الله عز وجل آتاه التوراة، وكلمه تكليمًا وكان الوحي يأتيه وجعله من أولي العزم من الرسل إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستزادة من العلم والحرص على لقاء أهله وقد قال له الخضر عليه السلام: أما يكفيك أن التوراة بين يديك وأن الوحي يأتيك؟!! ولكنه مع ذلك يُصرُّ على الصحبة للاستزادة والاستفادة عليه صلوات الله وسلامه.

❁ ومن حرص هذا النبي الكريم على الخير مع أن الله كلمه تكليمًا قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولكن لما كانت رؤية الله في الدنيا لا تتم لبشر قال تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي ...﴾ وقال له أيضًا: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فليحرص المؤمن على الخير وليسأل ربه مزيد الفضل، والله واسع عليم جواد كريم.

ويؤخذ من القصة التواضع والأكل مع الخدم، وإطعامهم مما يطعم الشخص: فقد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا.

وفي الحديث: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعام فيناوله منه اللقمة واللقمتين فإنه ولي حره»[1].

وما أجمل ما صنع أبو ذر رضي الله عنه مع خادمه إذ كساه حلَّة تشبه حلته.

ففي «الصحيحين»[2] من طريق المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه

(١) البخاري (٩/ ٥٤٦٠)، ومسلم (١٦٦٣).

(٢) البخاري (حديث ٣٠، ٦٠٥٠)، ومسلم (حديث ١٦٦١).

حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابت رجلًا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «**يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

ويؤخذ من ذلك تقديم المشيئة بين يدي الأعمال: وذلك لقول موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، وقد قال تعالى في سورة الكهف أيضًا: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وقد يقول الشخص إن شاء الله، ولا يتحقق له ما يريد إذ الله يريد شيئًا آخر، وذلك لأن موسى عليه السلام لم يصبر، فقد قال النبي ﷺ: «**وددنا أن موسى عليه السلام قد صبر ...**».

ومن الفوائد التي تُقتبس من القصة أن المرء عليه أن يجتهد في عبادته ويستقيم على أمر الله؛ طلبًا لثواب الله وحتى يحفظ الله ذريته ويكرمهم:

من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الكهف: ٨٢].

ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

ثم إن العباد الصالحين يواصلون الدعاء لأبنائهم: ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ [الفرقان: ٧٤] وكذا يقول قائلهم: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فلتقواهم يتقبل الله دعاءهم إذ الله قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وكذا لطيب طعامهم وشرابهم يتقبل الله منهم، أما غيرهم فقد ذكر النبي ﷺ:

«**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له**»[(١)].

وأيضًا فانتفاع الأبناء بصلاح الآباء مستمر إلى الآخرة ما دام الأولاد على الإسلام والآباء كذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور: ٢١].

ومن الفوائد إن الشخص قد يُوصف بالمسكنة، ومن ثم يكون مصرفًا من مصارف الزكاة الثمانية وهو يمتلك سفينة، وذلك إذا كان دخلُها لا يكفيه:

وأحيانًا قد يمتلك الشخص سيارة يُكريها (يؤجرها) وثمنها مائة ألف ويدخل له من تأجيرها في السنة خمسة آلاف، وعنده أسرةٌ من عشرة أفراد لا يكفيهم ما تدخله عليهم السيارة، فيكونون حينئذٍ مصرفًا من مصارف الزكاة، ولا يؤمروا ببيع سيارتهم والإنفاق من أصل ثمنها.

وأخيرًا فقد ترد حول القصة أسئلة منها: هل تُقتل الأنفس بناء على الخوف من شيء قد يصدر منها؟

وجواب ذلك: لا تقتل الأنفس بناء على ذلك.

فمن ثم سيوجه سؤال آخر وهو: فلماذا إذن قتل الخضر الغلام؟

وجوابه: قتله لأن الله أمره بذلك، فقد قال: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢] ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ أعلم بالعباد، وربنا سبحانه وتعالى عليم حكيم رحيم.

وقد قال نبيه ﷺ: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» هذا، وقد أخرج مسلم[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ من طريق يزيد بن هرمز؛ أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: «لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه»[(٣)] كتب إليه

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

(٢) مسلم (حديث ١٨١٢).

(٣) «لولا أن أكتم علمًا ما كتبتُ إليه» يعني إلى نجدة الحروري من الخوارج، معناه أن ابن عباس =

نجدة: «أما بعد، فأخبرني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضي يُتمُ اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟» فكتب إليه ابن عباس: «كتبت تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين[١] من الغنيمة وأما بسهم، فلم يضرب لهن وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان. فلا تقتل الصبيان وكتبت تسألني: متى ينقضي يُتْمُ اليتيم[٢] فلعمري إن الرجل لتنبت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه ضعيف العطاء منها فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ[٣] الناس، فقد ذهب عنه اليتم، وكتبت تسالني عن الخُمس لمن هو؟ وإنا كنا نقول: هو لنا فأبى علينا قومنا ذاك».

وفي رواية أخرى عن مسلم أيضًا: أن ابن عباس كتب إلى نجدة، فقال له: «وكتبت تسألني عن قتل الولدان، وإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم، وأنت فلا تقتلهم إلا أن تعلم منهم ما علم صاحب موسى من الغلام الذي قتله».

س: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ...﴾ [الكهف: ٧٧] يُفيد أنها قرية وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ...﴾ [الكهف: ٨٢] يفيد أنها مدينة فكيف الجمع؟

ج: الجمع أن يُقال إن المراد بالقرية هنا مجموعة البيوت المستقرة فبهذا التعريف يندفع الإشكال، فالمدينة أيضًا بيوتها مستقرة.

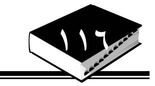
وقد قال الله تعالى في شأن مكة: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [الشورى: ٧]،

= يكره نجدة لبدعته، وهي كونه من الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ولكن لما سأله عن العلم لم يمكنه كتمه فاضطر إلى جوابه وقال: «لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه». أي لولا أنني إذا تركت الكتابة أصير كاتمًا للعلم مستحقًّا لوعيد كاتمه، لما كتبت إليه.

(١) ويحذين أي: يعطين الحذوة وهي العطية. وتسمى الرضخ، والرضخ: العطية القليلة.

(٢) متى ينقضي يتم اليتيم أي: متى ينتهي حكم يتمه، أما نفس اليتم فينقضي بالبلوغ.

(٣) فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ أي: فإذا صار حافظًا لما له عارفًا بوجوه أخذه وعطائه.



وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة؛ لأنه قال أولًا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ...﴾ [الكهف: ٧٧] وقال ها هنا: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ...﴾ [الكهف: ٨٢] كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ [محمد: ١٣]، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: مكة والطائف.

س: هل الخضر كان نبيًّا أم وليًّا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه نبي، وهو قول جمهور العلماء، نقله عنهم غير واحد، فقد قال القرطبي: العبد هو الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قول جمهور العلماء، وقال الحافظ في «الفتح» وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟ وقالت طائفة منهم القشيري: هو ولي.

قلت (مصطفى): الوارد في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]. فإذا فُسرت الرحمة بالنبوة، فقد تم الاستدلال لمن قال بنبوته وإلا فيستدل القائلون بنبوته بل ورسالته أيضًا بقول الخضر ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢] مع قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وهذه طائفة من أقوال أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع

إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي. وقيل: كان ملكًا أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن. والأول الصحيح، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ لكني أُمرت به، ووُقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر -عليه السلام- مع ما تقدم من قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥].

وقال آخرون: كان رسولًا.

وقيل: بل كان ملكًا. نقله الماوردي في «تفسيره».

وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيًّا، بل كان وليًّا، فالله أعلم.

وقال السعدي في «تفسيره»: في الفوائد المستنبطة من القصة المباركة ومنها: أن ذلك العبد الذي لقياه، ليس نبيًّا، بل عبدًا صالحًا؛ لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيًّا لذكر ذلك، كما ذكر غيره. وأما قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢] فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ [القصص: ٧]، ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾ [النحل: ٦٨].

وقد تعقبه المعلق بقوله: قوله: «فإنه لا يدل على أنه نبي إلخ» سبق أن قلنا: إن التحقيق أنه نبي. ونزيد هنا ما قاله أبو السعود في «تفسيره»: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف: ٦٥] التنكير للتفخيم، والإضافة للتشريف، والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا ابن ملكان، وقيل: اليسع، وقيل: إلياس عليه الصلاة والسلام، ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] وهي الوحي والنبوة كما يشعر

به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥] خاصًا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علام الغيوب. اهـ.

ونزيد ثانيًا أن الله قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] فلما أظهر الخضر على علم الغيب دل على أنه رسول بنص الآية التي ذكرناها؛ لأنه تعالى خصص إظهار علم الغيب وحصره في المرسلين وغيرهم لا يطلعه على شيء من علم الغيب وتنظير المؤلف ما أوحاه الله إلى الخضر بالوحي إلى النحل وبالوحي إلى أم موسى بعيد كل البعد عن مسألة الخضر؛ فإن الوحي إلى النحل وإلى أم موسى ليس من الأمور الغيبية حتى يستقيم التنظير.

س: هل الخضر ما زال حيًّا؟

ج: لم أقف على خبر صريح في ذلك عن رسول الله ﷺ وقد ذهب إلى أنه قد مات عدد من أهل العلم، بينما ذهب الأكثرون إلى أنه حيٌّ، وكما ذكرت فلم أقف -لمن قال بأنه حي- على خبر صحيح عن رسول الله ﷺ.

أما الذين قالوا بوفاته فاستدلوا بأدلة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وبقول النبي ﷺ لما خطب أصحابه بعد العشاء: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد**»[1].

(١) أخرج البخاري (حديث٦٠١)، ومسلم (حديث ٢٥٣٧)، من حديث عبد الله بن عمر قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخِر حياته فلما سلم قام النبي ﷺ فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**» فوَهِلَ الناس(*) في مقالة رسول الله ﷺ إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال النبي ﷺ: «**لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض**» يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن.

وعند مسلم(**) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «**تسألوني عن الساعة، وإنما عِلمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة**».

=

وبأنه لو كان حيًّا لتبع النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»[(١)].

كانت هذه بعض أدلة القائلين بوفاته، أما الذين قالوا بأنه حي فأوردوا أخبارًا واهيةً وآثارًا لا تقوم بها حجة، ولا يخل أغلبها من مقال.

وهذه بعض الأقوال في ذلك:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»[(٢)]: قال ابن الصلاح: هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر انتهى، والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادى وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر بن العربي وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد**»، قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه.

= وعنده أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه(***) لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسول الله ﷺ: «**لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**».

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣)، من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(*) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٢/ ٧٥) قوله: «**عن مائة سنة**» لأن بعضهم كان يقول: إن الساعة تقوم عند تقضي مائة سنة كما روى ذلك الطبراني وغيره من حديث أبي مسعود البدري ورد ذلك عليه علي بن أبي طالب وقد بين ابن عمر مراد النبي ﷺ في هذا الحديث، وأن مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن، فلا يبقى أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذٍ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتًا وغاية ما قيل فيه أنه بقي إلى سنة عشرة ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي ﷺ، والله أعلم.

(**) مسلم (حديث ٢٥٣٨).

(***) مسلم.

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٤٣٤) فما بعدها.

وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذٍ على وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق. ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وحديث ابن عباس: «**ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه**» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» فلو كان الخضر موجودًا لم يصح هذا النفي وقال ﷺ: «**رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما**» فلو كان الخضر موجودًا لما حسن هذا التمني، ولأحضره بين يديه وأراه العجائب، وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

وجاء في اجتماعه مع النبي ﷺ حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق كثير ابن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده: «أن النبي ﷺ سمع وهو في المسجد كلامًا فقال: «**يا أنس اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي**»، فذهب إليه فقال: قل له إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهور قال: فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر» إسناده ضعيف. وروى ابن عساكر من حديث أنس نحوه بإسناد أوهى منه وروى الدارقطني في «الأفراد» من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعًا: «**يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله**» الحديث، في إسناده محمد بن أحمد بن زيد بمعجمة ثم موحدة ساكنة وهو ضعيف وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى عن ابن أبي رواد نحوه وزاد «**ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل**» وهذا معضل ورواه أحمد في الزهد بإسناد حسن عن ابن أبي رواد وزاد أنهما «**يصومان رمضان ببيت المقدس**».

وروى الطبري من طريق عبد الله بن شوذب نحوه وروى عن علي أنه« دخل الطواف فسمع رجلاً يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع» الحديث فإذا هو الخضر، أخرجه ابن عساكر من وجهين في كل منهما ضعف، وهو في «المجالسة» من الوجه الثاني، وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واه الإسناد منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث أنس:« لما قبض النبي ﷺ دخل رجل فتخطاهم ـ فذكر الحديث في التعزية ـ فقال أبو بكر وعلي: هذا الخضر» في إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واهٍ، وروى سيف في الردة نحوه بإسناد آخر مجهول، وروى ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي نحوه، وروى ابن وهب من طريق ابن المنكدر :« أن عمر صلى على جنازة، فسمع قائلاً يقول: لا تسبقنا ـ فذكر القصة ـ وفيها: أنه دعا للميت فقال عمر: خذوا الرجل فتوارى عنهم، فإذا أثر قدمه ذراع، فقال عمر: هذا والله الخضر» في إسناده مجهول مع انقطاعه.

وروى أحمد في الزهد من طريق مسعر عن معن بن عبد الرحمن عن عون بن عبد الله قال: بينا رجل بمصر في فتنة ابن الزبير مهمومًا إذ لقيه رجل فسأله فأخبره باهتمامه بما فيه الناس من الفتن فقال: قل اللهم سلمني وسلم مني قال : فقالها فسلم قال مسعر: يرون أنه الخضر وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو عروبة من طريق رباح بالتحتانية ابن عبيدة قال: رأيت رجلًا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمدًا على يديه فلما انصرف قلت له من الرجل ؟ قال: رأيته ؟ قلت: نعم قال: أحسبك رجلًا صالحًا ذاك أخي الخضر بشرني أني سأولى وأعدل» لا بأس برجاله ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره وهذا لا يعارض الحديث الأول في مائة سنة فإن ذلك كان قبل المائة وروى ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة قال: أتاني أخ لي من أهل الشام فقال اقبل مني هذه الهدية إن إبراهيم التيمي حدثني قال: كنت جالسًا بفناء الكعبة أذكر الله فجاءني رجل فسلم علي فلم أر

أحسن وجها منه ولا أطيب ريحًا ، فقلت: من أنت ؟ فقال أنا أخوك الخضر قال فعلمه شيئًا إذا فعله رأى النبي ﷺ في المنام، وفي إسناده مجهول وضعيف.

وروى ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح أنه رأى وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ، ثم رآه بعد أن صار شيخًا كبيرًا على حالته الأولى فنهاه عن ذلك أيضًا ، قال فالتفت لأكلمه فلم أره، فوقع في نفسي أنه الخضر وروى عمر الجمحي في «فرائده» والفاكهي في « كتاب مكة» بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأى شيخًا كبيرًا يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه رُدَّه علي ، قال فتطلبته فلم أقدر عليه ، فقال لي أبي : ذاك الخضر . وروى البيهقي من طريق الحجاج ابن قرافصة أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر ، فقام عليهم رجل فنهاهما عن الحلف بالله ووعظهم بموعظة ، فقال ابن عمر لأحدهما : اكتبها منه ، فاستعاده حتى حفظها ثم طلبه فلم يره ، قال : وكانوا يرون أنه الخضر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قالوا: وكان يكنى أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك. ذكره النووي في «تهذيب الأسماء» ، وحكى هو وغيره في كونه باقيًا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة ـ قولين، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا عن السلف وغيرهم ، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية، وإسناده ضعيف.

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وبقول النبي ﷺ يوم بدر : «**اللهم؛ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حيًّا لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان مبعوثًا إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وقد قال: «**لو كان موسى وعيسى**

حيين ما وسعهما إلا اتباعي» وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض ، إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف، إلى غير ذلك من الدلائل.

س: من قصة موسى مع الخضر يؤخذ أصلٌ وهو ارتكاب أخف الضررين ودرء أعظم المفسدتين، دلل على ذلك بأدلة من قصة الخضر ومن غيرها..؟

ج: أما قصة موسى مع الخضر فمنها ما يلي:

۞ خرق السفينة لحفظها من الاغتصاب. فالخرق ضررٌ، واغتصابها ضررٌ أعظم، فحتى لا تغتصب السفينة خرقها الخضر.

وأيضًا قتل الغلام لدفع الفتنة فتنة الكفر عن والديه فالقتل فيه من إدخال الحزن على الوالدين ما فيه وتكفير الوالدين فتنة أعظم من حزنهما.

ومن غير قصة موسى مع الخضر:

مسألة الخلع فرد المرأة للصداق فيه ضرر عليها، فإضاعة المال ضرر، ولكن عدم إقامتها لحدود الله مع زوجها ضرره أعظم.

فاختارت أخف الضررين ،وهو افتداء نفسها برد الصداق الذي أخذته وكافتداء صهيب بماله وتركه لأهل الكفر حتى لا يحولوا بينه وبين الهجرة ولذلك صور كثيرة جدًّا، فعلى سبيل المثال رأيت رجلاً ظالمًا يطارد آخر مظلومًا يريد قتله،وأنت توقن تمام اليقين بذلك ، فاختفى عندك المظلوم وجاءك الظالم يسأل: أدخل فلان عندك؟ فإن قلت دخل عندي فسيدخل ويقتله وإن قلت لم يدخل فقد وقعت في الكذب!

فأي الضررين أخف، الظاهر والله أعلم أن الكذب أخف الضررين، فإن ارتكب لدفع القتل عن المقتول ولنصرة الظالم بمنعه من الظلم، فهذا أقرب للتقوى، والله أعلم .

قال السعدي ﷺ: في الفوائد المستنبطة من القصة.

ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه:«يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر

الصغير» ويراعى أكبر المصلحتين ، بتفويت أدناهما. فإن قتل الغلام شر ، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما أعظم شرًّا منه. وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته ، وإن كان يظن أنه خير ، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما خير من ذلك ، فلذلك قتله الخضر ، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر ، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله [(١)] :

وأما من استدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسًا كثيرة قبل أن يتعاطى شيئًا من ذلك ، وإنما فعل الخضر ذلك لإطلاع الله تعالى عليه .

س: ما الحكم فيمن يرفضون أحكام الشريعة ويعملون بما تُمليه عليهم أهواؤهم؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قال شيخنا الإمام أبو العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، أما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يزاد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٢٢).

الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر؛ فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفُهوم وقد جاء فيما ينقلون: استفت قلبك وإن أفتاك المفتون.

قال شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما عُلم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه؛اختارهم لذلك، وخصهم بما هنالك؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، إلى غير ذلك من الآيات وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقًا آخر يُعرَف بها أمرُه ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر، يُقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول. وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكمة لله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام: «**إن روح القدس نفث في رَوْعي**» الحديث.

س: ما وجه تذكير الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه ﷺ بقصة موسى والخضر؟

ج: وجه ذلك، والله تعالى أعلم، لتصبير النبي ﷺ وإخباره بأن مآل الأمور



معه ستكون إلى خير إن شاء الله وإن حدث في الظاهر ما من شأنه أن يضايقك، وما من شأنه أن يؤذيك بعض الأذى، إلا أنه دومًا تكون العاقبة للتقوى فأيقن، وإن طردوك، وإن أخرجوك، وإن آذوك أن العاقبة للتقوى، فكم من أمور ظواهرها المكروه والشر، ولكنها تحمل للمسلم كل خير، ومن ثَمَّ فلا تضجر أيها الرسول ولا تستعجل، فالله يعلم ونحن لا نعلم، ويقدر ونحن لا نقدر.

قال الطبري رحمه الله:

وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ بها عن موسى وصاحبه، تأديب منه له، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين، بما قد يجري مثله أحيانًا لأوليائه، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى، إذ لم يكن عالمًا بعواقبها وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وائلة إلى الصواب في العاقبة ينبئ عن صحة ذلك قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم، نظرًا منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم.

س: اذكر مجمل ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث في شأن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام؟

ج: مجمل ذلك في حديثين أخرج البخاري ومسلم لفظ واحدٍ منهما، وانفرد مسلم بسياق الآخر وها هما الحديثان:

أخرج البخاري ومسلم [١] من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال قلتُ لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى عليه السلام، صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، عليه السلام فقال كذب عدو الله[٢] سمعت أبي بن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قام موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل فسئلَ: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلمُ، قال فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين[٣] هو أعلم منك قال موسى: أي رب! كيف لي به؟ فقيل لهُ: احمل حوتًا [٤] في مكتلٍ،[٥] فحيث تفقدُ[٦] الحوتَ فهو ثَمَّ[٧] فانطلق وانطلق معه فتاهُ[٨] وهو يُوشع بن نون فحمل موسى حوتًا في مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحُوت في المكتلِ، حتَّى خرَجَ من المكتل، فسقط في البحر، قال وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق[٩]، فكان للحوت سَربًا، وكان**

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٠) ومسلم (حديث ٢٣٨٠).

(٢) (كذب عدو الله) قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله. لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة إنما قاله مبالغة في إنكار قوله لمخالفته قول رسول الله ﷺ وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها.

هذه التعليقات نقلًا عن حاشية مسلم مع محمد فؤاد رحمه الله.

(٣) (بمجمع البحرين) قال القسطلاني: أي ملتقى بحري فارس والروم من جهة الشرق أو بإفريقية أو طنجة.

(٤) حوتًا: الحوت السمكة. وكانت سمكة مالحة، كما صرح به في الرواية الثانية.

(٥) مكتل: هو القفة والزنبيل.

(٦) تفقد: أي: يذهب منك، يقال فقده وافتقده.

(٧) فهو ثم: أي هناك.

(٨) فتاه: أي صاحبه.

(٩) الطاق: عقد البناء: وجمعه طيقان وأطواق. وهو الأزج وما عقد أعلاه من البناء، وبقى ما تحته خاليا.

لموسى وفتاهُ عجبًا فانطلقا بقية يومهما وليلتهما[(١)] ونسِي صاحبُ موسى أن يخبرهُ، فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[(٢)] قال: ولم ينصب حتَّى جاوز المكان الذي أمرَ به قال: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾[(٣)] قال مُوسى : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ[(٤)] ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، قال: يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فرأى رجلاً مُسجى[(٥)] عليه بثوب فسلم عليه موسى . فقال له الخضر : أنى بأرضكَ السَّلامُ؟![(٦)] قال : أنا مُوسى قال مُوسى بني إسرائيلَ؟ قال : نعم قال :إنك على علم من علمِ الله علمكهُ الله لا أعلمهُ. وأنا على علم من علم الله علمَنيه لا تعلمهُ قال له مُوسى ، عليه السلام : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾. قال له الخضرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾. قال : نعم . فانطلق الخضر ومُوسى يمشيان على ساحل البحر . فمرت بهما سفينة فكلماهُم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نولٍ[(٧)]، فعمد الخضر إلى لوح من ألواحِ السفينة فنزعه. فقال له موسَى: قوم حملونَا بغير نـوْلٍ ، عمدت إلى

---

(١) وليلتَهما : ضبطوه بنصب ليلتهما وجرها.

(٢) نصبا: النصب التعب.

(٣) واتخذ سبيله في البحر عجبا: قيل إن لفظة عجبا يجوز أن تكون من تمام كلام يوشع وقيل: من كلام موسى: أي قال موسى:عجبت من هذا عجبا.وقيل: من كلام الله تعالى. ومعناه اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبًا.

(٤) نبغي: أي نطلب، معناه أن الذي جئنا نطلبه هو الموضع الذي نفقد فيه الحوت.

(٥) مسجى: أي: مغطى.

(٦) أنَّى بأرضك السلام: أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام قال العلماء: أنى تأتي بمعني أين ومتى وحيث وكيف.

(٧) بغير نول: أي بغير أجر،والنول والنوال العطاء.

سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها . لقد جئت شيئًا إمرًا [١]. ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ . ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [٢] . ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه ، فاقتلعه بيده فقتله. فقال مُوسى: أقتلت نفسًا زاكية [٣] بغيرِ نفسٍ [٤] لقد جئت شيئًا نكرًا [٥]؟! قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا ؟ قال - وهذه أشد من الأولى - قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا [٦] . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض [٧] فأقامه يقول مائل.

قال الخضرُ بيده هكذا [٨] فأقامه. قال له موسَى: قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا ، لو شئت لاتخذت عليه أجرًا!! قالَ: هذا فراقُ بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا.

قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله موسى لوددت أنه صبرَ حتى يقص علينا من أخبارهما». قال: وقال رسول الله ﷺ: «وكانت الأولى من موسَى نسيانًا» قال :

---

(١) إمرا: أي عظيمًا.

(٢) ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾: قال الإمام الزمخشري : يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا من أمري. وهو اتباعه إياه يعني ولا تُعسر عليّ متابعتك ويسِّرها عليَّ بالإغضاء وترك المناقشة.

(٣) زاكية: قرئ في السبع زاكية وزكية. قالوا: ومعناه طاهرة من الذنوب.

(٤) بغير نفس: أي بغير قصاص لك عليها.

(٥) نكرا: النكر هو المنكر.

(٦) قد بلغت من لدني عذرًا: معناه قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها في فراقي.

(٧) فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض: هذا من المجاز لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة ومعناه قرب من الانقضاض، وهو السقوط.

(٨) قال الخضر بيده هكذا: أي أشار بيده فأقامه وهذا تعبير عن الفعل بالقول وهو شايع.

«وجاء عُصفورٌ حتى وقع على حرف السفينة. ثمَّ نقر في البحر فقال له الخضر: ما نقصَ علمي وعلمُكَ(١) من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر».

قال سعيد بن جبير: - وكان يقرأ -: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا) وكان يقرأ: (وأما الغلام فكان كافرًا).

وفي رواية لمسلم (٢) من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: قيل لابن عباس: إن نوفًا يزعم أن موسى الذي ذهب يلتمس العلم ليس بموسى بني إسرائيل قال: أسمعته يا سعيد! قلت: نعم قال: كذب نوف.

حدثنا أبيُّ بن كعب قالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إنه بينما مُوسى عليه السلام في قومِه يُذكِّرُهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه إذ قال: ما أعلمُ في الأرض رجلاً خيرًا أو أعلم مني، قال فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير منه أو عند من هو إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك

قال: يا رب فدُلني عليه. قال: فقيل له: تزود حُوتًا مالحًا، فإنهُ حيثُ تفقد الحوت قال فانطلق هُو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة فعُمي عليه فانطلق وترك فتاهُ فاضطرب الحُوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوَّة(٣) قال: فقال فتاهُ: ألا ألحق نبيَّ الله فأخبرهُ قالَ: فنسِّيَ.

فلما تجاوزا قال لفتاهُ: آتنا غداءنَا لقد لقينا من سفرنَا هذا نصبًا. قال ولم يُصبُهم نصبٌ حتى تجاوزا، قال: فتذكر، قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ

---

(١) ما نقص علمي وعلمك: قال العلماء: لفظ النقص هنا ليس على ظاهره وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر وهذا على التقريب إلى الأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأكرر هذه التعليقات من تعليقات الشيخ فؤاد على مسلم مع بعض الاختصار أحيانًا.

(٢) مسلم (ص ١٨٥٠).

(٣) الكوَّة هي الطاقة.

الحُوتَ ومَا أنسَانيهُ إلا الشيطان أن أذكُرهُ واتخذَ سبيلهُ في البحر عجبًا، قالَ: ذلك ما كُنَّا نبغ فارتدَّا على آثارهما قصصًا فأرَاهُ مكانَ الحُوتِ قال: هَهنا وُصف لي.

قال: فذهبَ يلتمسُ فإذا هو بالخضرِ مُسجى ثوبًا، مستلقيًا على القفا أو قال على حلاوة القفا[١] قال: السلام عليكم. فكشف الثوبَ عن وجهه قال: وعليكم السلامُ من أنتَ؟ قال: أنا مُوسى ، قال: ومن مُوسى؟ قال: موسَى بني إسرائيل قال مجيء ما جاء بك[٢] ؟ قال: جئت لتعلمني مما علمتَ رشدًا. قالَ إنك لن تستطيع معي صبرًا وكيف تصبرُ على ما لم تحط به خبرًا؟! شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر. قال:ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا، قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرًا.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال: انتحى عليها[٣] قال لهُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخرقتها لتغرق أهلها لقدجئت شيئًا إمرًا قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ ولا ترهقني من أمري عسرًا.

فانطلقا حتى إذا لقيا غلمانًا يلعبون قال: فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي[٤] فقتلهُ،فذعر عندها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذعرة مُنكرة قال: «أقتلت نفسًا زاكية بغير نفسٍ لقد جئت شيئًا نكرًا».

فقال رسولُ الله ﷺ، عند هذا المكان: «رحمةُ الله علينا وعلى مُوسى لولا أنه عجل لرأى العجبَ ولكنه أخذتُه من صاحبِه ذمامة[٥] » .

---

(١) على حلاوة القفا: هي وسط القفا،ومعناه لم يمل إلى أحد جانبيه.

(٢) مجيء ما جاء بك: أي: أمر عظيم جاء بك.

(٣) انتحى عليها: أي: اعتمد على السفينة وقصد خرقها.

(٤) بادي الرأي: بالهمز وتركه فمن همزه معناه أول الرأي وابتداؤه أي انطلق إليه مسارعًا إلى قتله من غير فكر ومن لم يهمز فمعناه ظهر له رأي في قتله من البداء وهو ظهور رأي لم يكن قال القاضي ويمد البداء ويقصر.

(٥) أخذته من صاحبه ذمامة : أي حياء وإشفاق من الذم واللوم.

قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني . قد بلغت من لدُني عذرًا. ولو صبر لرأى العجب ..

قال: وكان إذا ذكر أحدًا من الأنبياء بدأ بنفسه «رحمة الله علينا وعلى أخي كذا رحمة الله علينا .. «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لئامًا فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يُريد أن ينقض فأقامه، قال: لو شئت لاتخذت عليه أجرًا. قال : هذا فراق بيني وبينك وأخذ بثوبه. قال: سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر إلى آخر الآية فإذا جاء الذي يُسَخِّرُهَا وجدَها مُنخرقة فتجاوزها فأصلحُوها بخشبة وأما الغُلامُ فطبعَ يوم طبعَ كافرًا وكان أبوَاهُ قد عطفَا عليهِ فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفرًا[١] ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾[٢] ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ﴾ إلى آخر الآية.

انتهت بحمد الله قصة موسى عليه السلام مع الخضر.

---

(١) أرهقهما طغيانًا وكفرًا: أي حملهما عليهما وألحقهما بهما والمراد بالطغيان ، هنا ، الزيادة في الضلال.

(٢) خيرًا منه زكاة وأقرب رحما قيل: المراد بالزكاة الإسلام وقيل الصلاح وأما الرحم فقيل معناه الرحمة لوالديه وبرهما وقيل المراد يرحمانه.

الفصل العاشر

متفرقات في شأن نبي الله موسى عليه السلام والتوراة التي أنزلت عليه



الثناء الحسن على التوراة[1] والأمر بالإيمان بها

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٨، ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ ﴾ [هود: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [السجدة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن

---

(١) والمعني بها التوراة التي لم تُحرف، وإلا فقد قال تعالى في شأن اليهود: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾.

وقال: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ ﴾.

وقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢].

أما عن الأمر بالإيمان بها فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

[البقرة: ١٧٧]

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ(١) وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى مُحذرًا من كفر بالتوراة أو بغيرها من الكتب المنزلة على رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]

وكثيرًا ما يذكر نبي الله موسى وتذكر التوراة التي نزلت عليه ويعقَّب ذلك بذكر نبينا محمد ﷺ وما أنزل عليه من الوحي.

(١) والكتاب، والله أعلم، بمعنى الكتب المتقدمة عمومًا.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في آيات من سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٤، ١٥٥].

وقالت الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ [فصلت: ٤٤، ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨-٥٠].

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، سَمِعْتُ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ رَجُلًا تَنَصَّرَ، يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ بِالعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ وَرَقَةُ: مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا».

النَّامُوسُ: صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي يُطْلِعُهُ بِمَا يَسْتُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ.

(١) البخاري (٣٣٩٢).

أخذ الميثاق على موسى عليه السلام أن يؤمن بالنبي محمد ﷺ إذا بعث وهو حيٌّ، وكذا على سائر الأنبياء عليهم السلام

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

المواثيق المأخوذة على الأنبياء عليهم السلام ومنهم موسى ﷺ

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

ولأهل العلم في هذا الميثاق أقوال:

الأول: أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الثاني: أنه الميثاق المأخوذ عليهم أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وذلك لقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

الثالث: أنه الميثاق المأخوذ على النبيين للتصديق برسول الله ﷺ إذا بُعث وهم أحياء كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]

الرابع: أنه كل ما أخذ على النبيين من عهود ومواثيق من الله عز وجل. والله أعلم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ أي: عهدهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضًا أي: كان مسطورًا حين كتب الله ما هو كائن وحين أخذ الله تعالى المواثيق من الأنبياء ﴿وَمِنكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ وإنما خص هؤلاء الخمسة وإن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلًا لهم وقيل: لأنهم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم ويحتمل أن يكون هذا تعظيمًا في قطع الولاية بين المسلمين والكافرين أي هذا مما لم تختلف فيه الشرائع أي: شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي: كان في ابتداء الإسلام توارث بالهجرة والهجرة سبب متأكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الإيمان وهو سبب وكيد فأما التوارث بين مؤمن وكافر فلم يكن في دين أحد من الأنبياء الذين أخذ عليهم المواثيق فلا تداهنوا في الدين ولا تمالئوا الكفار ونظيره: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ -إلى قوله:- ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾. ومن ترك التفرق في الدين ترك موالاة الكفار وقيل: أي النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورًا ومأخوذًا به المواثيق من الأنبياء ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ أي: عهدًا وثيقًا عظيمًا على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة وأن يصدق بعضهم بعضًا.

فضيلة لموسى عليه السلام يوم القيامة

قال الإمام البخاري رحمه الله[1]: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم عَلَى العَالَمِينَ، فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ،

(١) البخاري (٣٤٠٨).

فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَقَالَ: «**لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ**[1]**، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ**».

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ[2]: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**».

قال الحافظ في الفتح (٦/ ٦٢١):

وَقَدِ اسْتُشْكِلَ كَوْنُ جَمِيعِ الْخَلْقِ يُصْعَقُونَ مَعَ أَنَّ الْمَوْتَى لَا إِحْسَاسَ لَهُمْ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّ الَّذِينَ يُصْعَقُونَ هُمُ الْأَحْيَاءُ وَأَمَّا الْمَوْتَى فَهُمْ فِي الِاسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ الْمَوْتُ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُصْعَقُ وَإِلَى هَذَا جَنَحَ الْقُرْطُبِيُّ وَلَا يُعَارِضُهُ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مُوسَى مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ اللهِ وَإِنْ كَانُوا فِي صُورَةِ الْأَمْوَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ لِلشُّهَدَاءِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَرْفَعُ رُتْبَةً مِنَ الشُّهَدَاءِ

---

(١) **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ: آخِذٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَرْشِ بِقُوَّةٍ وَالْبَطْشُ الْأَخْذُ بِقُوَّةٍ.

وقال الحافظ أيضًا: قَوْلُهُ: «**فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صُعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ**» أَيْ: فَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ صُعِقَ، أَيْ: فَإِنْ كَانَ أَفَاقَ قَبْلِي فَهِيَ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ فَلَمْ يُصْعَقْ فَهِيَ فَضِيلَةٌ أَيْضًا. وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ «**فَلَا أَدْرِي كَانَ فِيمَنْ صُعِقَ** – أَيْ: فَأَفَاقَ قَبْلِي – **أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ الْأُولَى**» أَيِ: الَّتِي صُعِقَهَا لَمَّا سَأَلَ الرُّؤْيَةَ، وَبَين ذَلِك بن الْفَضْلِ فِي رِوَايَتِهِ بِلَفْظِ: «**أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ**» وَالْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «**أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنى اللهُ**» أَن فِي رِوَايَة ابن الْفَضْلِ وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بَيَانَ السَّبَبِ فِي اسْتِثْنَائِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ حُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ فَلَمْ يُكَلَّفْ بِصَعْقَةٍ أُخْرَى وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ» قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

(٢) البخاري (٣٣٩٨)، ومسلم (٢٣٧٤).

وَوَرَدَ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الشُّهَدَاءَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ أَخْرَجَهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَأَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَقَالَ عِيَاضٌ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ صَعْقَةَ فَزَعٍ بَعْدَ الْبَعْثِ حِينَ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَتَعَقَّبَهُ الْقُرْطُبِيُّ بِأَنَّهُ صَرَّحَ ﷺ بِأَنَّهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يَلْقَى مُوسَى وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ نَفْخَةِ الْبَعْثِ انْتَهَى وَيَرُدُّهُ قَوْلُهُ صَرِيحًا كَمَا تَقَدَّمَ: «**إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ فَأُصْعَقُ مَعَهُمْ**» إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ قَالَ: وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ عَبَّرَ بِقَوْلِهِ: «**أَفَاقَ**» لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ: أَفَاقَ مِنَ الْغَشْيِ وَبُعِثَ مِنَ الْمَوْتِ وَكَذَا عَبَّرَ عَنْ صَعْقَةِ الطُّورِ بِالْإِفَاقَةِ لِأَنَّهَا لم تكن موتا بلا شك وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ كُلُّهُ ظَهَرَ صِحَّةُ الْحَمْلِ عَلَى أَنَّهَا غَشْيَةٌ تَحْصُلُ لِلنَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ هَذَا حَاصِلُ كَلَامِهِ وَتَعَقُّبِهِ.

يوم عاشوراء هو اليوم الذي نجَّى الله فيه موسى من الغرق

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، عَنِ ابْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا، يَعْنِي: عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللهُ فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ: «**أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ**» فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ.

---

(١) البخاري (٣٣٩٧)، ومسلم (١١٣٠).

(معجزةُ) الحجر يجري بثوب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ
ومعها معجزة أخرى وهي تأثير العصا في الحجر

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الحَسَنِ، وَمُحَمَّدٍ، وَخِلَاسٍ[(٢)]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ[(٣)]: وَإِمَّا آفَةٌ[(٤)]، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ[(٥)]، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ[(٦)]، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الحديث:

وَفِيهِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِي خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ عَلَى غَايَةِ الْكَمَالِ وَأَنَّ مَنْ نَسَبَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى نَقْصٍ فِي خِلْقَتِهِ فَقَدْ آذَاهُ وَيُخْشَى عَلَى فَاعِلِهِ الْكُفْرُ وَفِيهِ مُعْجِزَةٌ

---

(١) البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

(٢) في سماع الحسن وخلاس من أبي هريرة مقال، ولكن توبعا من محمد بن سيرين.

(٣) الأُدْرة بضم الهمزة وسكون الدال، ويُقال أيضًا: الأَدَرة بفتح الهمزة وفتح الدال وقيل: معناها عظيم الخصية.

(٤) آفة: أي عيب.

(٥) عدا بثوبه أي: جرى وأسرع في الجري وعليه ثوب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله على كل شيء قدير.

(٦) المعنى: رد علي ثوبي يا حجر، أو أعطني ثوبي يا حجر، أو لا تأخذ ثوبي يا حجر.

ظَاهِرَةٌ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ الْآدَمِيَّ يَغْلِبُ عَلَيْهِ طِبَاعُ الْبَشَرِ لِأَنَّ مُوسَى عَلِمَ أَنَّ الْحَجَرَ مَا سَارَ بِثَوْبِهِ إِلَّا بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ وَمَعَ ذَلِكَ عَامَلَهُ مُعَامَلَةَ مَنْ يَعْقِلُ حَتَّى ضَرَبَهُ وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ بَيَانَ مُعْجِزَةٍ أُخْرَى لِقَوْمِهِ بِتَأْثِيرِ الضَّرْبِ بِالْعَصَا فِي الْحَجَرِ وَفِيهِ مَا كَانَ فِي الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْجُهَّالِ وَاحْتِمَالِ أَذَاهُمْ وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى الْعَاقِبَةَ لَهُمْ عَلَى مَنْ آذَاهُمْ وَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ حسن والطَّحَاوِي وابن مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ أَنَّ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ نَزَلَتْ فِي طَعْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ هَارُونَ لِأَنَّهُ تَوَجَّهَ مَعَهُ إِلَى زِيَارَةٍ فَمَاتَ هَارُونُ فَدَفَنَهُ مُوسَى فَطَعَنَ فِيهِ بَعْضُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالُوا: أَنْتَ قَتَلْتَهُ فَبَرَّأَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ رَفَعَ لَهُمْ جَسَدَ هَارُونَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَخَاطَبَهُمْ بِأَنَّهُ مَاتَ وَفِي الْإِسْنَادِ ضَعْفٌ وَلَوْ ثَبَتَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ فِي الْفَرِيقَيْنِ مَعًا لِصِدْقِ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا آذَى مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَاللهُ أَعْلَمُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ**[(١)]، **قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، قَالَ: فَجَمَحَ**[(٢)] **مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي، حَجَرُ ثَوْبِي، حَجَرُ**[(٣)] **حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ، حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ، قَالَ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا**»[(٤)]. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ

(١) آدر: عظيم الخصيتين.
(٢) فجمح: أي: ذهب مسرعًا إسراعًا بليغًا.
(٣) ثوبي حجر: أي: ثوبي يا حجر.
(٤) فطفق بالحجر ضربًا: أي: جعل. يقال: طفق يفعل كذا. وطفق، بكسر الفاء وفتحها، وجعل وأخذ وأقبل، بمعنى واحد.

إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ[١] سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَى عليه السلام بِالْحَجَرِ.

وقال الإمام مسلم رحمه الله[٢] عقب الحديث السابق: وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ مُوسَى عليه السلام رَجُلًا حَيِيًّا، قَالَ فَكَانَ لَا يُرَى مُتَجَرِّدًا، قَالَ فَقَالَ: بَنُو إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ آدَرُ، قَالَ: فَاغْتَسَلَ عِنْدَ مُوَيْهٍ[٣]، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَانْطَلَقَ الْحَجَرُ يَسْعَى، وَاتَّبَعَهُ بِعَصَاهُ يَضْرِبُهُ: ثَوْبِي، حَجَرُ ثَوْبِي، حَجَرُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَزَلَتْ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

محاجة آدم وموسى عليهما السلام

قال الإمام البخاري رحمه الله[٤]: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ[٥]، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ».

كثرة أتباع موسى عليه السلام

قال الإمام البخاري رحمه الله[٦]: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ

---

(١) ندب: أصله أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد.

(٢) حديث (٣٣٩).

(٣) مُويه يعني ماء، وهو تصغير (ماء).

(٤) البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٥) فيه شهادة آدم لموسى عليهما السلام، بأن الله اصطفاه، وكفى بالله شهيدًا، فقد قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

(٦) البخاري (٣٤١٠)، ومسلم (٢٢٠).

حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﭬ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ**».

سؤال نبي الله موسى عليه السلام ربه عز وجل عن أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة

قال الإمام مسلم رحمه الله(١):

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً - إِنْ شَاءَ اللهُ - ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، وَابْنُ أَبْجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا، أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ - قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(٢) [السجدة: ١٧] الْآيَةَ.

---

(١) مسلم (١٨٩).

(٢) وقد اختلف في رفع هذا الحديث ووقفه وقد أخرجه الترمذي (٣١٩٨)، وقال: هذا حديث حسن =

ومما أوحي إلى موسى عليه السلام مما جاءت به السُّنة

وأخرج الإمام أحمد[١] بسندٍ صحيح إلى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ». قَالَ: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام: أَنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوِ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ».

رؤية النبي ﷺ هارون عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج

قال الإمام البخاري رحمه الله[٢]: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: «هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ» تابَعهُ ثَابِتٌ، وَعَبَّادُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[٣].

= صحيح، وروى بعضهم هذا الحديث عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه، المرفوع أصح.

(١) أحمد (٥/ ١٢٨).

(٢) البخاري (٣٣٩٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٦/ ٥٩٧-٥٩٨): وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ هَذَيْنِ تَابَعَا قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ فِي ذِكْرِ هَارُونَ فِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ لَا فِي جَمِيعِ الْحَدِيثِ بَلْ وَلَا فِي الْإِسْنَادِ فَإِنْ رِوَايَةَ ثَابِتٍ مَوْصُولَةٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْهُ لَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ نَعَمْ فِيهَا ذِكْرُ هَارُونَ فِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ وَكَذَلِكَ فِي رِوَايَةِ عَبَّادِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ وَهُوَ بَصْرِيٌّ لَيْسَ لَهُ فِي الْبُخَارِيِّ ذِكْرٌ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَوَافَقَ ثَابِتًا فِي أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لِأَنَسٍ فِيهِ شَيْخًا وَقَدْ وَافَقَهُمَا شَرِيكٌ عَنْ أَنَسٍ فِي ذَلِكَ وَفِي كَوْنِ هَارُونَ فِي الْخَامِسَةِ وَسَيَأْتِي حَدِيثُهُ فِي أَثْنَاءِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَمَّا قَتَادَةُ فَقَالَ: عَنْ أَنَسٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَمَّا الزُّهْرِيُّ فَقَالَ: عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ كَمَا مَضَى فِي أَوَّلِ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِ هَارُونَ أَصْلًا وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْمُصَنِّفُ بِالْمُتَابَعَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

الفصل الحادي عشر

ويحوي أبوابًا في أحوال بني إسرائيل:

كيفية توبة بني إسرائيل من عبادة العجل (بقتلهم أنفسهم).

سؤال بني إسرائيل رؤية ربهم عَزَّوَجَلَّ وبيان الصاعقة التي أصابتهم.

إحياء بني إسرائيل بعد أن أماتهم الله بالصاعقة.

تظليل الغمام على بني إسرائيل وإنزال المن والسلوى عليهم.

مزيدٌ من الآيات الواردة في شأن بني إسرائيل.



كيفية توبة بني إسرائيل من عبادة العجل

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: ٥٤-٥٧].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿بَارِئِكُمْ﴾	خالقكم، والبريَّة: الخلق.
﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾	لن نصدقك ـ لن نتابعك.
﴿جَهْرَةً﴾	عِيانًا (يكشف ما بيننا وبينه) – علانية.
﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾	قيل: هي نار، وقيل: رجفة (ودليله: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾) وقيل: الموت.
﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾	الغمام هو: السحاب، وظللنا عليكم الغمام: جعلناه فوقكم كالظلة تقيكم حر الشمس.
﴿ٱلْمَنَّ﴾	مصدر يعم جميع ما منَّ الله به على عباده من الطعام والشراب من غير تعب ولا كد، وقيل: هو: طعام كالعسل.
﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾	طائر السُّماني، وهو: طائر طيب اللحم.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يُـذكر الله عَزَّوَجَلَّ بقـول موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومـه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي: بخستم أنفسكم حقها، فحق أنفسكم عليكم أن تنزلوها يوم القيامة منازل كريمة، ولكنكم بتضييعكم هذا تنزلونها أسوأ المنازل، ألا وهو الجحيم عياذًا بالله، فمن ثَمَّ فقد بخستموها حقها وظلمتموها، وذلك باتخاذكم العجل إلهًا تعبدونه من دون الله ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ فارجعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له واستغفروه من عبادتكم العجل، ارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ خالقكم ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ فهذه صورة توبتكم جزاء لمن صنعتموه من عبادة العجل، فتوبة الله عليكم أن تقتلوا أنفسكم، يقتل بعضكم بعضًا، ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الفعل، وهو قتل بعضكم بعضًا ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ خير لكم عند خالقكم، فلما فعلتم ما أُمرتم به تاب عليكم، رحمكم وغفر لكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ كثير قبول التوبة من عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده وبخلقه أجمعين هذا، وظاهر الكتاب العزيز فيه ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] وهذا الظاهر يفيد أنهم أمروا بقتل أنفسهم، لكن لما كان من المعلوم أن النفس في كثير من الأحيان تُطلق ولا يراد بها نفس الشخص المخاطب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات: ١١] أي لا يلمز بعضكم بعضًا، وكما في قوله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [النور: ١٢] أي ظنوا بإخوانهم خيرًا، وكما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١] فعلى هذا يحتمل - وهو احتمال قوي جدًّا - أن يكون قوله: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] معناه فليقتل بعضكم بعضًا[1].

ويتأيد هذا بأمور منها:

❁ قول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحدٍ من عبدة العجل

(١) أثر رقم (٥٣١).

بأن يقتل نفسه بيده.

❁ أخرج ابن أبي حاتم في التفسير[١] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[٢]: ... فقال الله ﷻ إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والدٍ أو ولدٍ فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن فتاب أولئك الذين كان قد خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أُمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول.

❁ وأخرج ابن جرير الطبري رحمه الله وابن أبي حاتم رحمه الله[٣] في تفسيريهما من طريق حجاج بن محمد قال ابن جريج: أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدًا قالا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضًا، لا يحنُّ رجل على رجل قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه.

هذا، ويُذكِّر ربنا سبحانه وتعالى بني إسرائيل بما صنعه أجدادهم مع موسى عليه السلام وما حل بهم بسبب تعنتهم فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ لموسى عليه السلام ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ لن نصدقك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ حتى نرى الله عيانًا ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

قيل: إن الصاعقة هي الموت وقيل: إن الصاعقة هي الرجفة لما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

---

(١) وبعض العلماء يقولون: يقتل من لم يعبد العجل مَن عبد العجل، والله أعلم.

(٢) هو جزء من حديث الفتون.

(٣) أخرجه ابن جرير (أثر ٩٣٥)، وابن أبي حاتم (أثر ٥٣٢)، وهذا رجاله ثقات إلا أن حجاج بن محمد وإن كان ثقة إلا أنه تغير لما قدم بغداد، والله أعلم.

۞ وقيل: إن الصاعقة هي نار.

۞ **قال الطبري** رحمه الله: وأصل الصاعقة كل أمرٍ هائل رآه المرءُ أو عاينه أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتًا كان ذلك أو زلزلة أو رجفًا، ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقًا وهو حي غير ميت قول الله عز وجل: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني مغشيًّا عليه ومنه قول جرير بن عطية:

وهل كان الفرزدق غير قرد ... أصابته الصواعق فاستدارا

فقد عُلم أن موسى لم يكن - حين غشي عليه وصعق - ميتًا لأن الله تعالى أخبر عنه أنه لما أفاق قال: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولا شبه جريرُ الفرزدق، وهو حي بالقرد ميتًا، ولكن معنى ذلك ما وصفنا.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] كيف أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون؟

ج: قال بعض العلماء صُعق بعضهم والبعض الآخر ينظر، ثم بُعث الذين صعقوا، وصعق الآخرون ثم بعثوا فقال الله: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(١) [البقرة: ٥٥، ٥٦].

۞ وقال بعضهم: ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التي أصابتكم، يقول أخذتكم الصاعقة عيانًا جهارًا وأنتم تنظرون إليها.

وهذا الأخير قول ابن جرير الطبري رحمه الله.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥٤٠)، بإسناد صحيح إلى عروة بن رويم قال: سأل بنو إسرائيل موسى فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخبرهم أنهم لن يطيقوا ذلك فأبوا فسمعوا من كلام الله فصعق بعضهم، وبعضهم ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء، وفي رواية ثم بُعث الذين صعقوا وصعق الآخرون ثم بعثوا فقال الله: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

هذا، وقد مات الإسرائيليون من الصعقة فيما تفيده ظاهر الآية الكريمة ألا وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذا، وقد دعا موسى ربَّه عَزَّوَجَلَّ لقومه بعدما صعقوا، قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٥، ١٥٦].

هذا، وعن سبب سؤال بني إسرائيل رؤية ربهم عَزَّوَجَلَّ ومتى كان ذلك، فقد قال بعض أهل العلم إن ذلك حدث لما تاب الإسرائيليون من عبادة العجل فاختار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم سبعين رجلاً يخرجون معه لميقات ربه عَزَّوَجَلَّ حتى يعلموا يقينًا أنهم قد تيب عليهم[١] وذكر البعض من العلماء لسؤالهم رؤية الله جهرة أسبابًا منها أنهم أرادوا أن يتأكدوا أن الذي يكلمهم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن ليس معنا نص من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ يوضح سبب ذلك[٢]، ومن ثم قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد أسبابًا لذلك نقلها بإسناده إلى بعض أهل العلم.

ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى، تقوم به حجة فيُسلم له، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يُقال: إن الله جل ثناؤه قد

(١) وسياق آيات سورة الأعراف يشهد لشيء من ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ... ﴾ [الأعراف:١٥٢ - ١٥٥]، وهذا ليس بصريح كذلك.

(٢) إلا أنه من المعروف أن من صفات بني إسرائيل التعنت.

أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] كما أخبر عنهم أنهم قالوه، وإنما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخًا لهم في كفرهم بمحمد ﷺ، وقد قامت حُجَّته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك، وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقًّا كما قال.

❁ ثم يذكُر الله عَزَّوَجَلَّ مِنَنَه على بني إسرائيل بقوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ وهذا من المعجزات التي أيد الله عَزَّوَجَلَّ بها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأكرم بها بني إسرائيل بسبب نبيهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فالغمام هو السحاب، وخصَّه بعضهم بالسحاب الأبيض وسمي السحاب غمامًا لأنه يغم السماء أي: يغطيها ويواريها ويسترها، ومنه قولهم: غُمَّ الهلال إذا غطاه الغيم، فالغمام كل ما غمَّ السماء فغطاها من سحاب وقتام وكل مغط فهو غمام، والله تعالى أعلم.

وكان تظليل الغمام على بني إسرائيل في التيه الذي ضربه الله عَزَّوَجَلَّ عليهم وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿... فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، لكن أين كان هذا التيه؟ الله تعالى أعلم، ولم نقف على خبر ثابت يوضح لنا أين كان.

وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس: ...ثم ظلل عليهم الغمام في التيه.

ويذكر الله عَزَّوَجَلَّ نعمه على بني إسرائيل أيضًا والتي منها ما ذكره الله سبحانه في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾.

أما السلوى فأكثر العلماء على أنها طائر السُّماني، وهو طائر طيب اللحم، أما المن ففيه أقوال:

❁ منها: أنه طلٌّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلاً ويجفف جفاف الصمغ وقيل: هو الترنجبين.

❁ ومنها: أنه العسل.

❁ ومنها: أنه شراب حلو مثل العسل.

❁ ومنها: أنه خبز الرقاق.

❁ وقيل: إنه مصدر يعم جميع ما مَنَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ولا عمل ولا كد طعامًا كان أو شرابًا، والله أعلم.

❁ ثم قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ .

أي: أنهم ما ظلمونا بمعصيتهم لنا وإنما ظلموا أنفسهم بمقابلتهم النعم بالمعاصي، فطاعتهم لنا لا تنفعنا، ومعصيتهم لنا لا تضرنا إنما كل ذلك إما لهم وإما عليهم كما قال الله سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وكما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ [يونس: ٢٣]، وكما قال سبحانه في الحديث القدسي[(١)] «... **يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني...**» الحديث، وفيه أيضًا: «**... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**»[(٢)].

NNO PMM

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

تبديل بني إسرائيل لقول الله عَزَّوَجَلَّ لما أمروا أن يدخلوا الباب سجدًا ويقولوا حطة

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩].

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿حِطَّةٌ﴾	دخولنا الباب سجدًا حطةٌ يحط الله بها خطايانا (فحطة مصدر حط يحط حطة).
﴿رِجْزًا﴾	عذابًا، وقيل: إن العذاب هو: الطاعون، والله أعلم.

المعنى الإجمالي للآيات:

يذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ بما كان من أمر بني إسرائيل، وكيف أصابهم الله عَزَّوَجَلَّ بالعذاب بعد أن بدلوا ما أُمروا به وغيَّروه وحرفوه عن عمدٍ وقصدٍ، فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ واذكر قولنا لبني إسرائيل ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ ولأهل العلم فيها أقوال:

أحدها: أنها الأرض المقدسة، ومنهم من قال: إنها أريحاء.

الحاصل: أن الله عَزَّوَجَلَّ أمرهم أن يدخلوا القرية فيأكلوا منها كيف شاءوا حلالًا طيبًا هنيئًا مريئًا وهم في سعة من العيش.

وأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يدخلوا الباب سجدًا كذا أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ.

وللعلماء في دخول الباب سجدًا أقوال:

❁ منها: ركعًا[١].

---

(١) صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «أمروا أن يدخلوا ركعًا» أخرجه الطبري (١٠٠٧، ١٠٠٨).

۞ **ومنها**: منحنين كالراكعين.

۞ **ومنها**: متواضعين شاكرين خاضعين متذللين، والحامل على هذا الانصراف عن ﴿سُجَّدًا﴾ هو أنه لا يتيسر لأحد المشي وهو ساجد، والله تعالى أعلم.

أما لماذا أمروا أن يدخلوا الباب سجدًا؟

فمن العلماء من قال: إن ذلك ابتلاء واختبار اختبرهم الله به ومنهم من قال: إن ذلك أمرٌ لهم بشكر الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الصفة.

ومنهم من قال: متواضعين خاضعين ذليلين لله عَزَّوَجَلَّ شاكرين لنعمائه عليكم، قالوا (أي أهل العلم):

وسجود الشكر مشروع في شريعتنا[(١)] وقد سجده النبي ﷺ وسجده أصحابه[(٢)]، وعند الفتح أيضًا صلى النبي ﷺ ثماني ركعات بمكة[(٣)]، والله تعالى أعلم وعند دخول الناس في دين الله أفواجًا يشرع التسبيح بحمد الرب سبحانه والاستغفار كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ - ٣] فرأى بعض الصحابة أن المراد كثرة الذكر والاستغفار عند

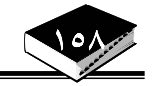
---

(١) وقد قال النبي ﷺ في شأن سجدة (ص) كما عند النسائي: «**سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرًا**».

وقد سجد النبي ﷺ في (ص) كما عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٥٤٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) أخرج أبو داود بإسناد حسن لشواهده (٣/ ٢١٦) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان إذا جاءه أمر سرورٍ أو بُشِّر به خَرَّ ساجدًا شاكرًا لله.

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١/ ٤٦٩)، ومسلم (٤/ ٢٨، ٥/ ٢٣١ مع النووي) من حديث أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.



الفتح والنصر، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بأنه نُعي إلى رسول الله ﷺ أجله فيها[١]، وأقرَّه على ذلك عمر، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك ونُعي إليه روحه الكريمة أيضًا.

أما قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨].

فلأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ **منها**: حطة مغفرة[٢]، والمعنى: دخولنا الباب سجدًا حطة أي: مغفرة يغفر الله عز وجل بها عنا خطايانا.

❁ **وقيل**: معناها لا إله إلا الله.

❁ **وقيل**: حط عنا خطايانا.

❁ **وقيل**: أُمروا أن يستغفروا.

❁ وحطةٌ بالرفع أي: مسألتنا حطة.

وهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى واحد ألا وهو أنهم أمروا أن يقولوا قولاً يحط الله عز وجل بهم عنهم خطاياهم، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ إذا دخلتم الباب سجدًا كما أمركم الله عز وجل وقلتم: ﴿حِطَّةٌ﴾ غفرنا لكم خطاياكم بل وسنزيد أهل الإحسان فضلاً منا وأجرًا، فوق المغفرة لهم.

(١) انظر البخاري (حديث ٤٩٧٠).

(٢) أخرج هذا ابن جرير الطبري رحمه الله (١٠١٢) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥٨٤) قال: مغفرة استغفروا. وفي رواية لابن جرير عن ابن عباس (أمروا أن يستغفروا).

كيف بدّل الإسرائيليون كلام الله لما قيل لهم ادخلوا الباب سجدًا

ولكن ماذا كان من بني إسرائيل؟ هل امتثلوا أمر الله عَزَّوَجَلَّ ودخلوا الباب سجدًا وقالوا: حطة؟

كلا، ما فعلوا ذلك فالعصيان والتمرد شأن الكثيرين منهم.

قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ لم يدخلوا الباب سجدًا ولم يقولوا حطة: فبدلًا من أن يدخلوا الباب سجدًا ويقولوا حطة دخلوا يزحفون على أستاههم قائلين حبة في شعرة، فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ فبدَّلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة**».

وقد أخرج الطبري (١٠٢٥)، وابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٥٩٤) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أمروا أن يدخلوا ركعًا ويقولوا حطة قال: أمروا أن يستغفروا، قال: فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون حنطة يستهزءون فذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] وهذا موقوف على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والمرفوع إلى رسول الله ﷺ أولى أي: أنهم قالوا: حبة في شعرة، إلا أن يجمع بين الروايتين فيقال: بعضهم قال: حنطة وبعضهم قال: حبة في شعرة أو بأن يقال: إنهم جميعًا قالوا هذا وذاك[(٢)] والله تعالى أعلم.

فماذا كان لما بدلوا كلام الله عَزَّوَجَلَّ وغيروه وحرفوه؟!

لقد قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤١)، ومسلم (حديث ٣٠١٥).

(٢) وقد وقع في رواية للبخاري (٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ.... أنهم قالوا: حِنطة حبَّة في شعرة.

أي: فأنزلنا عليهم عذابا وغضبًا وعقوبة بسبب فسقهم وتبديلهم.

هذا، وقد قال بعض أهل العلم: إن المراد الرجز هنا هو الطاعون.

وقيل: الرجز الغضب، وقيل: العقوبة، وكلها يرجع إلى معنى العذاب، وأما من قال: إن المراد بالرجز هنا الطاعون فحجته ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعون رجسٌ(٢) أرسل على طائفة من بني إسرائيل - أو - على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**».

فهذا يقوي رأي من قال: إن المراد بالعذاب هنا (أي: المراد بالرجز) هو الطاعون، والله تعالى أعلم.

وهكذا دومًا فالمعاصي سبب لنزول المصائب، وزوال النعم.

معجزةُ انفجار الحجر بالمياه بعد استسقاء موسى عليه السلام لقومه

قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٦٠]

معنى مفردات الآية الكريمة:

الكلمة	معناها
﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾	طلب الماء للقوم من ربِّه عز وجل.
﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾	لا تفسدوا ـ لا يشتد إفسادكم.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يذكِّر الله عز وجل بكرامة أكرم بها بني إسرائيل على لسان نبيهم موسى عليه السلام، ألا

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٣) وفي عدة مواطن من صحيحه، ومسلم (٢٢١٨).

(٢) وفي رواية: «رجزٌ».

وهي استسقاء موسى لقومه وإجابة دعوته وانفجار الحجر إلى ثنتي عشرة عينًا، فيقول تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ أي طلب الماء من الله عَزَّوَجَلَّ ليُسقى به القوم أي طلب السقيا لهم وكان ذلك وهو في البرية أثناء فترة التيه التي ضربها الله عَزَّوَجَلَّ عليهم،وكانوا قد شكوا إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الظمأ.

وقد أخرج ابن جرير الطبري[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناد صحيح إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: ذلك في التيه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ وجُعل بين ظهرانيهم حَجر مربع، وأُمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحيةٍ منه ثلاث عيون لكل سبط عين، ولا يرتحلون منقلةً[2] إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان به معهم في المنزل الأول.

۞ وأخرج ابن جرير[3] أيضًا بإسنادٍ حسن إلى قتادة قوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [البقرة: ٦٠] الآية، قال: كان هذا إذ هم في البرِّية اشتكوا إلى نبيهم الظمأ فأُمروا بحجر طُوريٍّ أي من الطور - أن يضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا لكل سبطٍ عين معلومة مستفيضٌ ماؤها لهم.

۞ **وقال الرازي في تفسيره (٣/ ٨٨):** جمهور المفسرين على أن هذا الاستسقاء كان في التيه؛ لأن الله تعالى لما ظلَّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش فأعطاهم الله الماء من ذلك الحجر، وأنكر أبو مسلم حمل هذه المعجزة على أيام مسيرهم إلى التيه فقال: بل هو كلام مفردٌ بذاته، والله تعالى أعلم.

---

(١) هو عند الطبري (١٠٤٤).

(٢) المنقلة هي المرحلة من مراحل السفر والجمع مناقل.

(٣) هو عند ابن جرير رقم (١٠٤٣).

قلت (مصطفى): ولم يرد نصٌّ يفيد أن هذا الاستسقاء كان وهم في التيه فالله أعلم.

كذا لم يرد نص عن رسول الله ﷺ في وصف الحجر[(١)].

وعلى أية حال فقد أُمر موسى بضرب الحجر لما استسقى لقومه فتفجر الحجر اثنتا عشرة عينا.

قال جمهور العلماء: إن هذا على عدد أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقد كانوا اثني عشر كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، فالأحد عشر هم إخوة يوسف وهو ثاني عشر لهم، وقد قال الله ﷻ في شأن بني إسرائيل: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

فالأناس هنا الأسباط من أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أي: أحفادهم، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]، أي علموا موضع الشرب الذي يشربون منه، وقيل: إنه المشروب، والمعنى الإجمالي: كل قد

---

(١) ولا خلاف أنه كان حجرًا منفصلاً مربعًا تطرد(*) من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى ﷺ وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون.

وأخرج ابن أبي حاتم(**) بسند صحيح عن ابن عباس (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاث عيون).

وقد تقدم عن قتادة أنه كان حجرًا طوريًّا (من جبل الطور).

۞ ونقل ابن كثير عن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فييبس... إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(*) تطرد أي تجري بتتابع، ومنه قولهم: نهران يطردان أي: يجريان.

(**) التفسير (أثر رقم ٦٠٦).

علم - كل سبط (أي كل قبيلة) - العين الخاصة به التي يشرب منها حتى لا يتشاحنوا ولايتنازعوا على الماء.

وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: وأُعْلِم كلُّ سبطٍ منهم عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول.

أما قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أمرهم بالأكل والشرب من رزق الله الحلال الطيب ونهاهم عن الفساد في الأرض فالعثو هو شدة الفساد وكرر لتأكيد النهي عن الفساد في الأرض.

لفتة في التفريق بين قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

قال بعض أهل العلم: إنهما يؤديان نفس المعنى؛ لأن القصة واحدة وبعضهم يفرِّق بينهما، قال أبو حيان في «البحر المحيط»: وجاء هنا (انفجرت) وفي الأعراف (انبجست) فقيل: هما سواء انفجر وانبجس وانشق مترادفات، وقيل: بينهما فرق وهو أن الانبجاس هو أول خروج الماء والانفجار اتساعه وكثرته، وقيل: الانبجاس خروجه من الصلب، والانفجار خروجه من اللين، وقيل: الانبجاس هو الرشح والانفجار هو السيلان، وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة.


MOSTAFAALADWY.COM

بنو إسرائيل يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير

ويطلبون البقل والقثاء والفوم

والعدس والبصل بديلاً عن المن والسلوى


MOSTAFAALADWY.COM

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾.

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿بَقْلِهَا﴾	كل نبات ليس له ساق ـ وقيل: هو: البقول كالكراث والفُجْل ونحو ذلك.
﴿وَفُومِهَا﴾	الحنطة (البر)[1] – الثُّوم – الحبوب التي تُخبز بصفة عامة[2] – الخُبز[3].
﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾	الذي هو: أخس وأردأ.
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾	كتبت عليهم وألزموها.
﴿ٱلذِّلَّةُ﴾	مأخوذة من الذل، وقيل: الجزية.
﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾	الفقر والمهانة (فترى اليهود وإن كانوا مياسير إلا أنهم كأنهم فقراء، وهم الآن وإن كانت لهم دولة إلا أن التسول في دمائهم وطلب المعونات ديدن لهم).
﴿وَبَآءُو﴾	رجعوا – انصرفوا – استحقوا (الغضب من الله).

(١) روي ذلك بإسناد صحيح عند الطبري (١٠٦٧) عن أبي مالك.

(٢) روي ذلك بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٠٦٥).

(٣) روي ذلك بأسانيد تصح بمجموعها عن عطاء ومجاهد عند الطبري (١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤).



المعنى الإجمالي للآيات:

يُذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ بني إسرائيل الذين كانوا يقطنون مدينة رسول الله ﷺ بما صدر من أجدادهم زمن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك لما أنعم الله عليهم بخير طعام في زمانهم وهو المن والسلوى فسئموا ذلك وقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ أي على صنف واحد من الطعام أي أنه طعام لا يتغير ولا يتكرر، فلن نحبس أنفسنا على طعام واحد، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا﴾ أي من الخضراوات.

وقيل: هو كل نبات ليس له ساق، والشجر هو كل نبات له ساق.

وقيل: أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها.

وطلبوا أيضًا القثاء، وهي شبيهة بـ(الخيار) لكنها كبيرة ومختلفة في لونها إلى البياض، والتي يسميها المصريون (القتة).

وكذلك طلبوا (الفوم) وتقدم البيان عنه، ومن العلماء من قال: إنه الثوم المعروف.

وكذا سألوا العدس والبصل طلبوا ذلك (البقول – القثاء – الفوم – العدس – البصل) بديلًا عن المن والسلوى. فبطروا النعمة كما بطرها غيرهم.

كما بطرها قوم سبأ الذين وصف الله حالهم بقوله:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[1] [سبأ: ١٥ - ١٩].

---

(١) قال عدد من أهل العلم:

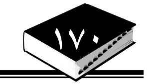
يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد، والبلاد المرضية، والأماكن =

فبماذا أجابهم نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

قال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ ولأهل العلم قولان في ﴿مِصۡرٗا﴾.

= الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨] قال وهب بن منبه: هي قرى بصنعاء، وكذا قال أبو مالك، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة، وقال العوفي عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها بيت المقدس، وقال العوفي عنه أيضًا: هي قرى عربية بين المدينة والشام ﴿قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾ أي: بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهارًا ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ وقرأ آخرون ﴿بَعِّدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منٍّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة، ولهذا قال لهم: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ [القصص: ٥٨] وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وقال تعالى في حق هؤلاء: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي بكفرهم ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: جعلناهم حديثًا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد.



الأول: هو أن المراد بمصر مصر من الأمصار (يعني بلدة من البلدان).

الثاني: هو مصر المعروفة لدى الناس الآن.

والقول الأول ذكره عدد من أهل العلم منهم قتادة[(١)] وغيره والقول الثاني نُقل عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] وغيره.

وحجة أهل القول الثاني أن الله عَزَّوَجَلَّ قال في شأن قوم فرعون: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩].

۞ ومن أقوى حجج القول الأول التنوين في قوله تعالى: ﴿مِصْرًا﴾، وذكر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ حجج الفريقين ثم ختمها بقوله والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر، وأهل التأويل متنازعون تأويله.

إلى آخر ما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالحاصل أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرهم أن يهبطوا مصرًا فسيجدون ما سألوه فيها.

أما المن والسلوى فلا يتوافر في كل مكان.

الذلة والمسكنة وغضب الله عَزَّوَجَلَّ على بني إسرائيل وسبب ذلك

أما قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي وفرضت عليهم وكتبت عليهم وألزموها وجُعلت محيطة بهم.

ومنه قولهم: ضرب الإمام الجزية أي فرضها مأخوذ من ضرب القباب ومنه قول الفرزدق يهجو جريرًا:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

---

(١) روي بإسناد حسن عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨١).

(٢) قال ابن عطية في تفسيره: وقال أشهب: قال لي مالك: هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون.

وقوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ معناه أنهم رجعوا خائبين قد غضب الله عليهم، فيالها من خسارة ويالها من نكد، ويالها من تعاسة وعذاب لمن غضب الله عليه.

كل ذلك لماذا (الذلة – المسكنة – غضب الله) كل ذلك لأنهم ﴿كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يجحدون آيات الله ونعمه ووحدانيته، وكذا كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، وكذا بسبب عصيانهم واعتدائهم وسوء أدبهم مع أنبيائهم.

هذا، ومن أقوال العلماء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فقد قال بعض العلماء في المراد بالآيات أقوالًا:

۞ **منها:** أنها الآيات التسع التي أيد الله عَزَّوَجَلَّ بها موسى ﷺ، وذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

۞ **ومنها:** أنها التوراة بكل ما فيها.

۞ **ومنها:** أنها كل ذلك (التوراة والمعجزات التي أيد الله عَزَّوَجَلَّ بها موسى ﷺ). والله أعلم.

هذا، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ لا يفهم منه أن قتل النبيين ينقسم إلى قتل بحق وقتل بغير حق، بل كل ما وقع من قتلهم إنما وقع بغير حق؛ لأن النبي معصوم من أن يأتي أمرًا يستحق عليه القتل وإنما جاء هذا القيد ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ على سبيل التشنيع لفعلهم والتقبيح لعملهم وسوء صنيعهم معهم.

ولقائل أن يقول أيضًا: إن هذا التقييد ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ذكر لبيان أن قتلة الأنبياء ليست عندهم أدنى شبهة في بطلان صنيعهم إذ قتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلو سألهم سائل لم قتلتم أنبياءكم؟ لم يجدوا أي وجهٍ يجيبون به على سائلهم، فقد يفعل الشخص كبيرة أو يتقلد قولاً باطلاً لشبهة عنده، أما هؤلاء فليست عندهم أي شبهة يجيبون بها عن سوء صنيعهم مع أنبيائهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والله تعالى أعلم.

رفع الجبل فوق بني إسرائيل وأخذ الميثاق عليهم (من سورة البقرة)

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)﴾ [البقرة: ٦٣، ٦٤].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿آتَيْنَاكُم﴾	أعطيناكم ـ أمرناكم به في التوراة.
﴿بِقُوَّةٍ﴾	بجد واجتهاد.
﴿الْخَاسِرِينَ﴾	المراد بها هنا ـ والله أعلم ـ: الهالكين في الدنيا والآخرة.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ بني إسرائيل بما أخذه على الأولين منهم بالعهد والميثاق وبما صنعوه أجدادهم الذين كانوا في زمن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من المخالفات، فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: واذكروا ما حدث لما أخذنا الميثاق من أجدادكم في زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أما عن الميثاق فلأهل العلم فيه أقوال:

❁ منها: أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ [1] وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ

(١) روى ابن جرير الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (وهو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متكلم فيه، قال: لما رجع موسى من عند ربه بالألواح. قال لقومه بني إسرائيل: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة، حتى يطلع الله إلينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى، فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ فجاءت غضبة من الله، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم، فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله بعد موتهم، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله.
=

حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

❁ ومنها: أن هذا الميثاق هو العمل بالتوراة والإيمان بما جاء فيها.

❁ ومنها: أن هذا الميثاق هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]، والعلم عند الله تعالى.

ويذكرهم ربنا سبحانه وتعالى برفع الطور، أي رفع الجبل من فوقهم فيقول تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾.

ولأهل العلم فيه أقوال:

❁ منها: أن الطور هو الجبل (أيُّ جبل كان)[1].

❁ ومنها: أنه نوع مخصوص من الجبال وهي الجبال التي تنبت دون ما لا ينبت من الجبال.

❁ ومنها: أنه الجبل الذي ناجى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ موسى ﷺ عليه، ويشهد لهذا الأخير قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢] وقوله

= فقالوا: لا. قال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: متنا ثم حيينا. قال: خذوا كتاب الله. قالوا: لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم، فقيل لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الطور! قال: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم. قال: فأخذوه بالميثاق، وقرأ قول الله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٣ - ٨٥]، قال: ولو كانوا أخذوه أول مرة، لأخذوه بغير ميثاق.

(١) روى ابن جرير الطبري ﷺ: (١١١٨) بإسناد حسن عن قتادة أنه قال: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] قال: الطور: الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣] فأقروا بذلك.

تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ [القصص: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿... ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ...﴾ [القصص: ٢٩] إلا أن يقال إن الذي ناجى الله عَزَّوَجَلَّ عليه موسى هو الطور لا شك لكن لا ينفي ما سواه فلهذا القول وجه، والله تعالى أعلم.

هذا، والمراد برفع الطور رفع الجبل فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رفع الجبل فوق بني إسرائيل كما أخبر عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١] فالجبل اقتلع من أصله ورفع عليهم كأنه ظلة.

أما قوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي اقبلوا على ما أعطيناكم بجدٍّ واجتهاد وإلا قذفنا عليكم الطور وأسقطناه عليكم وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ أي ما في التوراة والألواح التي آتيناكم إياها لعلكم تتقون عذاب الله وعقابه بامتثالكم.

فأقررتم بذلك وقت أن رفعنا فوقكم الطور ثم أعرضتم بعد ذلك ونقضتم العهد والميثاق، فلولا أن الله تفضل عليكم بعفوه عنكم لكنتم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم.

صورة اعتداء بني إسرائيل يوم السبت ومسخهم إلى قردة وكما ورد في سورة البقرة

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿عَلِمْتُمُ﴾	عرفتم.
﴿ٱعْتَدَوْا۟﴾	الاعتداء هو: تجاوز الحد الذي حدَّه الله عَزَّوَجَلَّ، وكل متجاوزٍ حدَّ شيءٍ إلى غيره، فقد تعداه إلى ما جاوز إليه.
﴿كُونُوا۟﴾	صيروا.
﴿خَٰسِـِٔينَ﴾	الخاسئ هو: المُبعد المطرود ـ خاسئين مُبعدين مطرودين ـ أذلاء صاغرين.
﴿نَكَٰلًا﴾	النكال عبرة تنكل المعتبر بها، عبرٌ مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا، وقيل: النكال الزاجر بالعقاب، والنكل والنكال: قيود الحديد، فالنكال: عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل.

ذكَّر الله سبحانه بني إسرائيل بما كان منهم من الاعتداء يوم السبت فقال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ والخطاب لليهود من سكان المدينة، فقد ذكَّرهم الله عَزَّوَجَلَّ بما صنعه أجدادهم وأسلافهم.

من نقض العهود والمواثيق، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى وقد كانت العهود

أخذت عليهم ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ١٥٤] فلما خالفوا أمر الله ﷺ مسخهم الله عَزَّوَجَلَّ قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه: ﴿... فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦] فأنتم يا معشر يهود يا من بعث محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم من التوراة، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم، فعليكم حينئذٍ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧]

هذا، وقصة اعتدائهم في السبت مفصلة بعض الشيء في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ ...﴾ [الأعراف: ١٦٣] الآيات.

هذا وصورة الاعتداء في السبت لأهل العلم في بيانها وجهان:

أحدهما[1]: أنهم اصطادوا الحيتان وأخذوها يوم السبت على سبيل الاستحلال والمخالفة لأمر الله عَزَّوَجَلَّ بمنعهم الصيد في السبت.

الوجه الثاني: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، والله تعالى أعلم.

(١) أخرج الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (١١٤٠) بإسناد حسن إلى قتادة: قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥]: أُحلت لهم الحيتان وحُرِّمت عليهم يوم السبت بلاءً من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف: فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومَرَدَ على المعصية فلما أبوا إلا الاعتداء إلى ما نهوا عنه قال الله لهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] فصاروا قردة لها أذناب، تَعاوَى بعد ما كانوا رجالاً ونساءً.

هذا، وقد مُسخ الذين اعتدوا في السبت وحوِّلوا إلى قردة على الحقيقة.

وهذا ظاهر كلام الله عَزَّوَجَلَّ فالله جل ذكره قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

❁ وقد قال جل ذكره أيضًا: ﴿... قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] وهذا رأي جمهور المفسرين، رأيهم أن المعتدين في السبت مسخوا قردة على الحقيقة، وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتعقبه الطبري تعقبًا قويًّا في تفسيره وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز، والله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ فراجع إلى العقوبة أي: جعلنا العقوبة التي أصابتهم، وقيل: راجع إلى القرية وما فعل بأهلها.

وقوله: ﴿نَكَٰلًا﴾ أي: زاجرًا، والنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل هذا الفعل.

أما قوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ فلأهل العلم فيه أقوال:

❁ منها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم. وما خلفها الذين كانوا قد بقوا منهم.

❁ ومنها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق وما خلفها القرى المحيطة بها.

❁ ومنها أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر.

والمؤدى واحد وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا وفي هذه عبرة

لكل معتبر، والله تعالى أعلم.

أما لماذا خصَّت الموعظة بالمتقين؟ فذلك لأن المتقين هم المنتفعون بالموعظة وقيل: إن المتقين هم الذين يتقون عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ ويحذرونها.

❁ وقيل: إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ.

❁ وقيل: إن المتقين هنا هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله.

والقول الذي ينتظمها جميعًا هو أن المتقين تشمل كل من تقدموا، والله تعالى أعلم.

مزيدٌ من الآيات الواردة في شأن بني إسرائيل وليست على سبيل الاستقصاء(١)

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٠-٤٣].

معاني مفردات الآيات الكريمات:

الكلمة	معناها
﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾	اخشونِ.
﴿فَٱتَّقُونِ﴾	اجعلوا بينكم وبين غضبي وعقابي وقاية بطاعتكم لي وبُعدكم عن معصيتي.
﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ﴾	لا تخلطوا.

NNO PMM

(١) ذلك لأن الكتاب موضوعه قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بعض الطرق والوسائل التي وردت في دعوة بني إسرائيل

استعملت مع بني إسرائيل طرق كثيرة في دعوتهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ منها التلطف في الخطاب أحيانًا، والشدة أحيانًا والتذكير بالنعم أحيانًا والتوبيخ أحيانًا والتذكير بالعقوبات أحيانًا، وقد استعملت مع بني إسرائيل وسائل في دعوتهم منها التذكير بالنعمة عليهم وعلى آبائهم ومنها التخويف، ومنها التوبيخ على سوء الأفعال، وقد أوجز ذلك ابن جزي الكلبي في تفسيره فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لما قدم دعوة الناس عمومًا وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصًا وهم اليهود، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢] فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء، وهي: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، و﴿بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]، و﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢]، و﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، و﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، و﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء: قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، و﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢]، و﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، و﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [البقرة: ٥٩]، و﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]، و﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥] و﴿تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٤]، و﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة: ٧٤]، ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥]، وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦١]، ﴿يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة:٢٩]، و﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٤]، و﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ [البقرة:٦٥]، و﴿

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأعـــــراف:١٦٢] و﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [البقــرة: ٥٥]، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [المائـــدة: ١٣]، و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٦٠]، وهـذا كلـه جـزاء لآبـائهم المتقـدمين، وخوطـب المعاصـرون لمحمـد ﷺ، لأنهـم متبعـون لهـم راضـون بـأحوالهم وقـد وبـخ المعانـدين لمحمـد ﷺ بتوبيخـات أخـر، وهـي: كتمـانهم أمـر محمـد ﷺ مـع معـرفتهم بـه ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾ [المائدة: ١٣]، ويقولـون: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقــــــرة: ٧٩]، و﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ﴾ [البقـــــرة: ٨٥]، وحرصـهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر، وقولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ١٨]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤].

المعنى الإجمالي للآيات:

يُـذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ بنعمـه علـيهم ويـأمرهم بتـذكيرها فيقـول تعـالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يـا أولاد ويـا أحفـاد النبـي الكـريم إسـرائيل، الـذي هـو يعقـوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ اذكروهـا ولا تنسـوها اذكروهـا واشـكروها، واعملوا بمقتضى هذا الشكر واذكروها بألسنتكم حدثوا بها الخلق على سبيل التواضع والإخبات والشكر لله عَزَّوَجَلَّ.

هذا، ومن نعم الله عَزَّوَجَلَّ على هؤلاء القوم ما يلي:

وقد فضلهم الله عَزَّوَجَلَّ على عـالمي زمـانهم كمـا قـال سبحانه: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧]، وكمـا قـال سبحانه: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان:٣٢].

❁ **نجاهم الله عَزَّوَجَلَّ من آل فرعون** إذ كانوا يسـومونهم سـوء العذاب كما قـال سـبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٤٩].

❁ **أغرق الله عَزَّوَجَلَّ عدوهم فرعون وهم ينظرون** كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا

بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠].

۞ عفا عنهم بعد اتخاذهم العجل إلهًا لما تابوا كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٢].

۞ آتاهم الله الكتاب والفرقان كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣].

۞ بعثهم الله بعد موتهم لعلهم يشكرون.

۞ ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى.

۞ فجَّر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينًا.

۞ كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي خلفه آخر[1] كما قال النبي ﷺ.

۞ جعل الله فيهم أنبياء وجعلهم ملوكًا وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

۞ وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥، ٦].

ثم حث ربنا سبحانه وتعالى بني إسرائيل على الوفاء بالعهد الذي عاهدوه به فقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠]؟

وقد قيل: إن العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ ﴾ هو عام في كل العهود التي أخذها الله ﷻ عليهم على لسان أنبيائهم، فمن هذه العهود ما أخذه الله عليهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، إذا بُعث، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا

---

(١) أخرج البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي...» الحديث.

مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

۞ ومنها ما ذكره الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾.

[آل عمران: ١٨٧]

۞ وما ذكره سبحانه في كتابه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

۞ وكما قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، فعلى ذلك فعهد الله هو عام في كل ما أخذه عليهم وعهدهم هو ما ذكره الله سبحانه حيث قال: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ﴾ [المائدة: ١٢] فهو تكفير السيئات وإدخال الجنات، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤١]؟

معناه - والله أعلم -: أن القرآن مصدق للتوراة التي بأيديهم فآمنوا بهذا القرآن الذي قد علمتم أنه مصدق لما معكم، ووجه تصديقه لما معهم في الآتي:

١ - أنهم أُخبروا به في كتبهم ثم ظهر كما أُخبروا به، فصدَّق هذا القرآن ما

كان موجودًا في كتبهم.

٢ - أن النبي ﷺ أخبر (بما في كتاب الله) أنهم أنبياء وأُنزلت عليهم الكتب فهو مصدق لهم أي: شاهد بصدقهم.

٣ - أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرع، فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك، والله تعالى أعلم.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ أي أول كافر من كفار أهل الكتاب في زمان رسول الله ﷺ فالخطاب لبني إسرائيل الموجودين في زمن رسول الله ﷺ، وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي بالقرآن.

ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ نهاهم عن أن يشتروا بالقرآن ثمنًا قليلًا فقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وقيل في معنى الآيات: إنها الإيمان بمحمد ﷺ والثمن القليل هو ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم ونحو ذلك فكتموا الآيات التي فيها صفة محمد ﷺ مقابل الحرص على جاههم ورئاستهم.

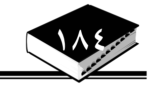
۞ وقيل أعم من ذلك بمعنى: أن كل ما فيه مال أو جاه يقدمونه وإن كان خلاف الآيات فيخفون الآيات، كما قال تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] مقابل المتاع الفاني.

۞ وقيل: كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه لشرف الشريف ونحو ذلك، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**».

وكل هذا وارد ومحتمل، والعلم عند الله ﷻ.

ثم نهاهم عَزَّوَجَلَّ عن أن يلبسوا الحق بالباطل فقال: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وعن معناها فأقول - وبالله التوفيق-:

أما (اللبس) فهو الخلط، (الحق بالباطل) هو الصدق بالكذب، ومن صور ذلك:



۞ أنهم يخلطون التوراة المنزلة على موسى بالأكاذيب والتحريفات التي يسطرونها بأيديهم، ويقولون: هذا من عند الله، وما هو من عند الله.

۞ أنهم يخلطون النصرانية واليهودية بالإسلام.

۞ أنهم يؤمنون ببعض ما في أيديهم ويكفرون ببعض، والله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢] تعلمون ماذا؟

تعلمون أنكم لابسون الحق بالباطل وكاتمون للحق، فأنتم تلبسون الحق بالباطل عن علم وليس عن جهل، وهذا أشد قبحًا وأعظم جُرمًا ولا شك.

ومحتمل أيضًا: وأنتم تعلمون عقوبة من لبس الحق بالباطل والوعيد الشديد الوارد في حقه، والله تعالى أعلم.

تذكير بني إسرائيل ببعض نعم الله عليهم

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: ٤٩-٥٣].

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها

﴿نَجَّيْنَاكُم﴾	أخلصناكم.
﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	يذيقونكم أسوأ العذاب أو أشد العذاب أو العذاب الذي يسيء صاحبه.
﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾	يتركونهن أحياء.
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	لتشكروني.
﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾	ما يفرق به بين الحق والباطل، والله أعلم.

المعنى الإجمالي:

يُذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ بني إسرائيل ببعض نعمه عليهم، والتي منها إنجاؤهم من قوم فرعون وأشياعه وأتباعه فقد كان هؤلاء يذيقون بني إسرائيل أسوأ صور العذاب ويحتقرونهم أشد الاحتقار ويمتهنونهم أشد الامتهان فكانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وقد ذكر بعض أهل العلم لذلك سبب ألا وهو خوف فرعون من زوال ملكه على يد بعض بني إسرائيل، وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره[1] بإسناد صحيح إلى عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشِّفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه ففعلوا فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم، ودعوا عامًا فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة حتى إذا كان القابل حملت

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٩٨)، وهو صحيح إلى عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا عليه لكن صحة المتن علمها عند الله سبحانه وتعالى، وليس للأثر حكم الرفع فقد يكون متلقى من أهل الكتاب، والله تعالى أعلم.

بموسى[١].

أما المراد بالنساء ففي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ فمن العلماء: من قال: إن المراد بالنساء هنا الأطفال الإناث وعبر عنهن بالنساء (مع كونهن أطفالاً) باعتبار المآل (أي باعتبار ما سيئول إليه أمر الطفلة فأمرها سيئول إلى أن تكون من النساء إذا كبرت) وليذكرهم بالاسم الذي في وقته سيستخدمن ويمتهن، ونفس الاستحياء ليس عذابًا ولكن العذاب فيما يأتي من وراء هذا الاستحياء من امتهان...، والله أعلم.

ويتواصل تذكير بني إسرائيل بنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ أي: واذكروا إنجاءنا لكم ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: من قوم فرعون وأتباعه الذين هم على دينه، وقد قيل: إن الخطاب موجه للموجودين من بني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ، والمراد من سلف من آبائهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، أي حملنا

---

(١) وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره «محاسن التأويل» (ص:١٢٢): وسبب سومه بني إسرائيل سوء العذاب من تذبيح أبنائهم - وعلى ما روي في التوراة خوفه من نموهم وكثرة توالدهم، وكانت أرض مصر امتلأت منهم، فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما استقدم أباه وإخوته وأهلهم من أرض كنعان إلى مصر أعطاهم ملكًا في أرض مصر في أفضل الأرض كما أمره ملك مصر، وكان لهم في مصر مقام عظيم بسبب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فتكاثروا وتناسلوا، ولما توفي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ والملك الذي اتخذه وزيرًا عنده انقطع ذلك الاحترام عن بني إسرائيل إلى أن قام على مصر أحد ملوكها الفراعنة فرأى نمو الإسرائيليين فقال لقومه: أضحى بنو إسرائيل شعبًا أكثر منا وأعظم فهلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجونا من أرضنا، فسلط عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، وكانوا كلما اشتد تعبدهم ازدادوا كثرة وشدة، فشق على المصريين كثرتهم واختشوا منهم فجعل أهل مصر يستعبدونهم جورًا ويُمَررون عليهم حياتهم بالعمل الشديد بالطين واللبن وكل فلاحة الأرض، وكل الأفعال التي استعبدوهم بها بالمشقة، وأمر فرعون بذبح أبنائهم كما قصَّه الله تعالى، ولم يزل الأمر في هذه الشدة عليهم حتى نجاهم سبحانه بإرسال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. والله أعلم بصحة ذلك.

آباءكم.

وقيل: إن الخطاب للأبناء، وذلك لأن نجاة الآباء كانت سببًا في ميلاد هؤلاء الموجودين، والله أعلم.

هذا، وعن معنى ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ فهو أنقذناكم وأخلصناكم، والمعنى الأصلي ألقيناكم على نجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها هذا هو الأصل في تعريف النجاة ثم سُمِّيَ كل فائزٍ ناجيًا، فالناجي من خرج من ضيق إلى سعة، والله تعالى أعلم.

وقد كانت نجاة بني إسرائيل يوم عاشوراء فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: «فأنا أحق بموسى منكم». فصامه وأمر بصيامه).

أما قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، فقد ذهب جمهور العلماء في معناه إلى أن المراد بالبلاء هنا ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء وهذا هو قول جمهور العلماء، قالوا البلاء ها هنا في الشر والقول الثاني أن المراد بالبلاء هنا نعمة فالمعنى وفي ذلكم نعمة عظيمة من ربكم إذ أنجاكم من آل فرعون، وحجة أصحاب هذا القول أن البلاء يطلق على الخير كما يطلق على الشر، قال الله ﷻ: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: والعرب تسمي الخير بلاءً، والشر بلاءً غير أن الأكثر في الشر أن يُقال (بلوته أبلوه بلاءً) وفي الخير (أبليته أبْليه إبلاء

(١) هو عند البخاري (حديث ٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠).

وبلاءً) ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

جزى الله بالإحسان ما فعَلا بكم   وأبلاهُما خير البَلَاء الذي يَبْلو

فجمع بين اللغتين لأنه أراد: فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده.

أما قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، فتذكير لبني إسرائيل بنعمة الله عليهم أيضًا، وقد قال الطبري رحمه الله: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا ففرق البحر اثني عشر طريقًا فسلك كل سبط منهم طريقًا منها فذلك فرق الله عز وجل بهم البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثنى عشر. انتهى.

فذهب ابن جرير رحمه الله إلى أن البحر كان فيه اثنا عشر طريقًا بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أنه كان طريقًا واحدًا مرّ عليه بنو إسرائيل جميعًا مع موسى عليه السلام .

والدليل يشهد للقول الثاني، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

هذا وأصل الفلق والفصل، ومنه فرق الشعر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: فصلناه، والله تعالى أعلم.

ويتواصل التذكير تذكير بني إسرائيل، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، وذلك لتكليم موسى عليه السلام وإنزال التوراة عليه وكي يأخذ الألواح التي في نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ويرى جمهور المفسرين أن هذه المواعدة كانت بعد إغراق فرعون وآله في اليم وإنجاء موسى ومن معه من بني إسرائيل، فبعد أن أنجاهم الله عز وجل ذكر بعض المفسرين أن بني إسرائيل سألوا موسى (أو أن موسى وعد بني إسرائيل) كتابًا فجاءت المواعدة بذلك

والله أعلم.

أما معنى ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [البقرة: ٥١] واعدناه انقضاء أربعين ليلة.

لا أعلم دليلاً من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسول الله ﷺ يُحدِّدُ هذه الليالي بالضبط ما هي. إلا أن جمهور المفسرين يذكرون أنها شهر ذي القعدة والعشر الأول من ذي الحجة، والله تعالى أعلم بالصواب.

ويرى البعض أن هذه المواعدة كانت على مرحلتين لقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢]

وفريق من أهل العلم يرى أن المواعدة أربعين ليلة كانت مجتمعة من أول الأمر وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أنها كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦]. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ أي: ثم اتخذتموه إلهًا تعبدونه من دون الله ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ وأنتم تعلمون بظلمكم قد قامت عليكم الحجة، ومن المعلوم أنهم في هذه الحالة التي يعبدون فيها العجل والحجة قائمة عليهم أعظم جرمًا وأكبر إثمًا من الذي يعبد على جهل لم تصله الحجة، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ معناه - والله أعلم - أن من نعم الله عز وجل عليكم أن عفا عنكم بعد اتخاذكم العجل إلهًا تعبدونه لتتجهوا إليه سبحانه بالشكر على عفوه عنكم إذ العفو يوجب الشكر عند أهل اللبِّ والعقل، والله أعلم.

وقوله: ﴿عَفَوْنَا عَنكُم ﴾ محونا ذنوبكم.

ويتواصل التذكير، تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم:

فيقول تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣]؟

أما الكتاب فهو التوراة، وقد نقل عدد من أهل العلم الإجماع على ذلك في هذا الموطن.

أما الفرقان فلأهل العلم فيه أقوال:

۞ منها: أن الفرقان هو التوراة وأعيد ذكره باسمين تأكيدًا.

وذلك كقول الشاعر:

وقــــددت الأدِيـــم لِرَاهشَـــيْهِ   وألفَـــى قولهـــا كـــذبًا ومَينًـــا

فالكذب هو المين.

وأيضًا: قول الشاعر:

ألا حبـــذا هنـــدٌ وأرضٌ بهـــا هنـــدُ   وهندٌ أتى من دونها النأى والبعدُ

فالنأي هو البعد.

۞ من العلماء من قال إن الفرقان هو النصر الذي نصر الله عَزَّوَجَلَّ به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبني إسرائيل كما قال تعالى في يوم بدر: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١] فعليه الفرقان هو الفصل بين الحق والباطل.

۞ ومن العلماء من يقول إن الفرقان هنا هو انفلاق البحر، وهذا راجع إلى القول الثاني.

وسيأتي للفرقان مزيد من التفسير في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم.

فصل

آيات متفرقات ذُكر فيها نبي الله موسى عليه السلام[1]

(1) وكما هو واضح من ثنايا ما سبق فقد سلف تفسير أكثر الآيات التي فيها ذِكر نبي الله موسى عليه السلام.


MOSTAFAALADWY.COM

آيات أخر من سورة البقرة فيها بيان عبادة بني إسرائيل للعجل ورفع الجبل فوقهم واعتداؤهم في السبت

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٢، ٩٣].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	الآيات الواضحات الجليات.
﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾	سمعنا قولك وعصينا أمرك.
﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾	دخل حب العجل قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها.

المعنى الإجمالي للآيات:

يذكِّر الله سبحانه يهود المدينة بما صنعته أسلافهم زمن نبي الله موسى عليه السلام فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالدلالات الواضحات الظاهرات الجليات، الدلالات على صدقه وصحة نبوته.

۞ وهي التي ذكرها الله في كتابه حيث قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء:١٠١].

۞ وهي العصا التي ألقاها فإذا هي ثعبان مبين وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا وضرب بها الحجر لما طار بثوبه وإن بالحجر لندبًا.

❁ ويده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين من غير سوء.

❁ والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، تلك الآيات المفصلات التي أرسلها الله على قوم فرعون كي يؤمنوا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويرجعوا عن كفرهم.

❁ وكذلك: أخذ الله جَلَّ جَلَالُهُ آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون وهذا تأييد لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كذلك.

❁ وتظليل الغمام على بني إسرائيل، وإنزال المن والسلوى عليهم وفوق ذلك كله الألواح وما كُتب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي: اتخذتموه إلهًا تعبدونه ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد ذهاب موسى لتكليم ربِّه عَزَّوَجَلَّ كي يأتيكم بالألواح التي فيها هدايتكم. أما قوله: ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: ظالمون لأنفسكم باخسوها حقها، فحقها أن تأمن وأنتم سببتم لها العقاب الأليم ظالمون لأنفسهم أيضًا.

لكونهم أشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ ما لم يُنزل به سلطانًا وعبدوا العجل واتخذوه إلهًا وهذا أفحش الظلم وأعظمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]

ويذكرهم الله عَزَّوَجَلَّ بما حدث لأجدادهم وما قاله لهم لما رفع فوقهم جبل الطور وهددهم بإسقاطه عليهم وقذفهم به وإقرارهم بالسمع والطاعة وقتها، ثم نكولهم عن ذلك وقولهم بعد ذلك: سمعنا وعصينا، أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ أي: وتغلغل حب العجل في قلوبهم تغلغل الشراب المستساغ بسبب كفرهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ومعناه -والله أعلم-: بئس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم إن كنتم مصدقين إذا كان هذا التصديق يأمركم بعبادة العجل

واتخاذه إلهًا، ويأمركم بالعصيان وقول: سمعنا وعصينا، وقتل النبيين بغير حق وتكذيب الأنبياء، ونقض العهود والمواثيق فبئس هذه الأفعال والأوامر التي تصدر عن هذا الإيمان المزعوم، والله تعالى أعلم.

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة: ١٠٨]

لأهل العلم في المخاطبين بقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ ...﴾ في ذلك ثلاثة أقوال:

أولها: أنهم المؤمنون.

والثاني: أنهم مشركو مكة.

والثالث: أنهم اليهود.

وأورد الرازي ﷺ حجج كل فريق نقلاً عن غيره من العلماء.

فمن حجج القائلين بأنهم المؤمنون ما يلي:

الأول: أنه قال في آخر الآية: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [البقرة:١٠٨] وهذا الكلام لا يصح إلا في حق المؤمنين.

الثاني: أن قوله: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ [البقرة:١٠٨] يقتضي معطوفًا عليه وهو قوله: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة:١٠٤].

فكأنه قال: وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون ذلك كما أمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟

الثالث: أن المسلمين كانوا يسألون النبي ﷺ عن أمور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما لم يكن لهم فيه خير عن البحث عنه.



الرابع: سأل قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط.

قلت: ومن حجج القول الثاني: قول الله ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء:٩٠- ٩٣]

❁ **وقول الله تعالى:** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان:٢١].

❁ وقد سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا.

أما القول الثالث: فذكر الرازي أنه أصح وهو أن المراد اليهود، قال: لأن هذه السورة من أول قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [البقرة:٤٠] حكاية عنهم ومحاجة معهم، ولأن الآية مدنية، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولأن المؤمن بالرسول لا يكاد يسأله فإذا سأله كان متبدلاً كفرًا بالإيمان.

قلت: والذي يبدو لي أن القول الأول هو أرجح الأقوال، وإن قال قائل بالعموم (أي: أن المؤمنين والمشركين واليهود كلهم سألوا) فله وجه قوي والله تعالى أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]

معاني مفردات الآيات المباركات

الكلمة	معناها
﴿ءَامَنَّا﴾	صدقنا.
﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾[1]	الأسباط هم: أبناء يعقوب الاثنا عشر، وقيل: هم بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وقيل: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.

المعنى الإجمالي للآيات:

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان: ﴿قُولُوٓاْ﴾ يا أهل الإيمان لليهود وللنصارى ولغيرهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ صدقنا بالله وبأنه واحد لا شريك له ولا معبود سواه، وآمنا أيضًا بما ﴿أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ وهو القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ وهي صحف إبراهيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وكما قال: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٦، ٣٧].

أما قوله: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ فالله أعلم بالكتب التي نزلت عليهم.

---

(١) أخرج الطبري (٢١٠٤) بإسناد حسن عن قتادة قال: الأسباط يوسف وإخوته، بنو يعقوب ولد اثني عشر رجلاً فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا (أسباطًا).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ وهي التوراة والصحف والألواح، وهل هي ثلاث مسميات لشيء واحد، أم أنها ثلاث أشياء متفرقات، وجهان للعلماء.

أما الذي أوتاه عيسى فهو الإنجيل.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ إيمان مجمل بكل ما أوتاه الأنبياء عمومًا.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: قولوا: إننا نؤمن بكل الرسل وبكل الكتب التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من غير تفريق بين بعضهم وبعض.

وقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ أي: ونحن لربنا مستسلمون موحدون خاضعون والله أعلم.

ومن سورة الأنعام

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: ١٥٤].

معناه -والله أعلم-: ثم قل يا محمد- بعد أن قلت لأمتك: ﴿تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾-قل لهم أيضًا: قد آتى ربك سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ التوراة إتمامًا لنعمنا عليه جزاء لإحسانه الذي أحسن.

وهناك معنى آخر ذكره بعض العلماء تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ أي: فضيلة منا تفضلنا بها على موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ جزاء لأتباعه المؤمنين به الذين أحسنوا، فآتينا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ التوراة فضيلة منا عليه ثم هداية للذين أحسنوا يستنيرون بها ويهتدون.

وقال غيرهم: ثم آتينا موسى التوراة إظهارًا منا لفضيلته على قومه كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

أما الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

فتأويل الكلام إذًا: ثم آتينا موسى التوراة تمامًا لنعمنا عنده وأياديناا قبله، تتم

به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه، وتبيينًا لكل ما بقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال:

وقوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلًا﴾ أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تمامًا كاملًا، جامعًا يحتاج إليه في شريعته، كقوله: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِى ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَىۡءٍ مَّوۡعِظَةً وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَىۡءٍ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٍ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾.

[الأعراف: ١٤٥]

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ أي: جزاء على إحسانه في العمل، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا، كقوله: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وكقوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وكقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال السعدي في «تفسيره»:

فأخبر أنه آتى: ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى﴾ وهو: التوراة ﴿تَمَامًا﴾ لنعمته، وكمالًا لإحسانه، ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ من أمة موسى، فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنعم لا تحصى.

من جملتها وتمامها: إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم نعمة الله، ووجب عليهم القيام بشكرها.

قلت: وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحۡمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾؟

معناه-والله أعلم-: لعل بني إسرائيل- بعد إتيان موسى التوراة بما فيها من وعظٍ ونصح وإرشاد- يستضيئون بها ويوقنون بالبعث بعد الموت، فيقدموا أعمالًا صالحة يلقون بها ربهم عز وجل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿لَعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾، فإنه يعني: إيتائي موسى الكتاب تمامًا لكرامة الله موسى، على إحسان موسى، وتفصيلًا لشرائع دينه، وهدى لمن اتبعه، ورحمة لمن كان منهم ضالًّا لينجيه الله به من الضلالة، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه، فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به، وبلقائه بعد مماته، فيطيع ربه، ويصدق بما جاءه به نبيه موسى ﷺ.

دفع إشكال:

فإن طُرح سؤال حاصله: كيف قيل: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، بعد قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾، ومعلوم أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان قبل نبينا محمد ﷺ؟

فجوابه كما قال بعض أهل العلم: إن المعنى ليس هو الذي ذهب إليه هذا الذاهب، ولكن المعنى: ثم قل لأمتك-بعد أن قلت لهم: ﴿تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ - قد آتى الله موسى الكتاب......والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ثم قل بعد ذلك يا محمد: آتى ربك موسى الكتاب فترك ذكر «قل»، إذ كان قد تقدم في أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها، وذلك قوله: ﴿تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾، فقص ما حرم عليهم وأحل، ثم قال: ثم قل: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا﴾، فحذف «قل» لدلالة قوله: «قل» عليه، وأنه مراد في الكلام.

وإنما قلنا: ذلك مراد في الكلام؛ لأن محمدًا ﷺ لا شك أنه بعث بعد موسى بدهر طويل، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه. ومعلوم أن موسى أوتي الكتاب من قبل أمر الله محمدًا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه. و«ثم» في كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام

والخبر، بعد الذي قبلها.

ومن سورة هود عليه السلام

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود: ١٧].

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
﴿بَيِّنَةٍ﴾	بصيرة – علم – قرآن – فطرة صحيحة.
﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾	من يشهد له من نفسه، قيل: هو لسان النبي ﷺ، وقيل: رجل من أهل بيته وهو عليٌّ، وقيل: هو النبي ﷺ على نفسه، وقيل: جبريل عليه السلام.
﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾	إمامًا يؤتم به، ورحمة سببٌ في رحمة العباد المتبعين لما فيه.
﴿يَكْفُرْ بِهِۦ﴾	يجحده وينكره.
﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾	المتحزبون على الكفر (من أهل الشرك أو اليهود والنصارى وغيرهم ممن تحزب على الكفر).
﴿مِرْيَةٍ﴾	شك.

المعنى الإجمالي للآيات:

أفمن كان على بصيرة في دينه، قد استبصر في دينه وفهمه وبُيِّن له دينه، بيَّنه الله له وبصَّره الله به، وهو رسول الله ﷺ ومن آمن معه.

فالبينة فيها أقوال:

أحدها: البصيرة.

الثاني: الفطرة الصحيحة التي فطره الله عليها كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠].

وكما قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...**».

الثالث: أن البيِّنة هي القرآن.

الرابع: أن البينة هي الدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات.

هذا، وقوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يقرؤه ويتبعه، وقوله: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فيه أقوال لأهل العلم:

أحدها: أن الشاهد هو محمد ﷺ.

الثاني: أن الشاهد لسانه ﷺ.

الثالث: أن الشاهد جبريل عليه السلام.

الرابع: أن الشاهد عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخامس: أن الشاهد ملك يحفظه.

السادس: أن الشاهد هو القرآن والوحي.

السابع: أن الشاهد الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق وإن كان نزل قبله؛ لأن النبي ﷺ بشرت به النبوة. وثمَّ أقوال أُخر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي من قبل القرآن، وقيل: ومن قبل الإنجيل وقيل: من قبل النبي ﷺ.

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وهو التوراة.

﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ﴾ أي: جعلناه إمامًا يؤتم به ورحمة لمن اتبعوه وعملوا بما فيه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المؤمنون برسول الله ﷺ وكذا أصحاب موسى وأهل الحق من

أصحاب موسى وعيسى ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن وبالنبي عليه الصلاة والسلام.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ بالقرآن وبالنبي عليه الصلاة والسلام.

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ المتحزبة على الكفر وأحزاب اليهود والنصارى.

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ يدخلها يوم القيامة.

﴿فَلَا تَكُ﴾ يا رسول الله ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ في شك منه ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون ولا يوحدون.

ومن سورة هود عليه السلام أيضًا

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٦-٩٩]

معاني المفردات:

الكلمة	معناها

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾	بحججنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا على صدقه في أنه رسول من عند الله (قيل: إنه التوراة، وقيل: سائر المعجزات كالعصا واليد وغير ذلك).
﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	حجةٌ مظهرةٌ أنه رسول من عند الله.
﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾	سادات قومه وأشرافهم.
﴿بِرَشِيدٍ﴾	بموفقٍ ولا سديد.
﴿يَقْدُمُ﴾	يتقدم.
﴿ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾	المدخل المدخول – المكان المدخول.
﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ﴾	ألحقوا في الدنيا بعد مماتهم.
﴿لَعْنَةً﴾	دعاءً عليهم بالطرد من رحمة الله.
﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾	بئست العطية المُعطاة وبئس الإكرام الذي يُكرمون به.

المعنى – والله أعلم-: ولقد أرسلنا نبينا وكليمنا موسى عليه السلام بما أيدناه به من التوراة وسائر المعجزات كالعصا واليد وبحجج مبينة أنه رسول من عندنا، أرسلناه بذلك إلى فرعون وسادات قومه وكبرائهم فما استجابوا لموسى عليه السلام بل اتبعوا خطوات فرعون ذلك المتكبر المتجبر، وانساقوا خلفه فيما يدعوهم إليه من الضلال والكفر، وما أمر فرعون بموفق ولا سديدٍ ولا مرشدٍ إلى خير، فكان عاقبة تكذيبه وعاقبة اتباع قومه له أنه (أي: فرعون لعنه الله) يتقدم قومه يوم القيامة، ويقودهم، ولكن يقودهم إلى ماذا؟ يقودهم إلى الجحيم والعياذ بالله، وهم يتبعونه على ذلك فأدخلهم النار وبئس المدخل المدخول، ولم يقف أمرهم على ذلك بل من جاء من بعدهم في الدنيا يلعنهم ويدعو عليهم بالطرد من رحمة الله، فبئست العطية التي يُعطونها بعد موتهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا، وحجةً تُبين لمن

عاينها وتأملها بقلب صحيح. أنها تدل على توحيد الله، وكذب كل من ادّعى الربوبية دونه، وبُطُول قول من أشرك معه في الألوهية غيره، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾، يعني إلى أشراف جنده وتُبَّاعه، ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾، يقول: فكذب فرعون وملأه موسى، وجحدوا وحدانية الله، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله، واتبع ملأ فرعون أمرَ فرعون دون أمر الله، وأطاعوه في تكذيب موسى، وردّ ما جاءهم به من عند الله عليه، يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ يعني: أنه لا يُرشد أمر فرعون من قَبِله منه في تكذيب موسى إلى خير، ولا يهديه إلا صلاح، بل يورده نار جهنم.

ويقول تعالى ذكره: ﴿يَقْدُمُ﴾، فرعون، ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، يقودهم، فيمضي بهم إلى النار، حتى يوردهموها، ويصليهم سعيرها، ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ﴾، يقول: وبئس الورد الذي يردونه.

ويقول الله تعالى ذكره: وأتبعهم الله في هذه –يعني في هذه الدنيا – مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر، لعنته، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، يقول: وفي يوم القيامة أيضًا يلعنون لعنةً أخرى.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ بين أنه أتبع النبي النبي لإقامة الحجة، وإزاحة كل علة ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي بالتوراة. وقيل: بالمعجزات. ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي حجة بينة؛ يعني العصا. وقد مضى في «آل عمران» معنى السلطان واشتقاقه فلا معنى للإعادة. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي شأنه وحاله، حتى اتخذوه إلهًا، وخالفوا أمر الله تعالى. ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي بسديد يؤدي إلى صواب: وقيل: ﴿بِرَشِيدٍ﴾ أي بمرشد إلى خير.

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني أنه يتقدمهم إلى النار إذ هو رئيسهم. يقال: قدمهم يقدمهم قدمًا وقدومًا إذا تقدمهم. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أي: أدخلهم

فيها. ذكر بلفظ الماضي ؛ والمعنى فيوردهم النار ؛ وما تحقق وجوده فكأنه كائن ؛ فلهذا يعبر عن المستقبل بالماضي. ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ أي: بئس المدخل المدخول ؛ ولم يقل بئست؛ لأن الكلام يرجع إلى المورود، وهو كما تقول: نعم المنزل دارك، ونعمت المنزل دارك. والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد ؛ وهو بمعنى المفعول.

قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي ولعنة يوم القيامة ؛ وقد تقدم هذا المعنى. ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ حكى الكسائي وأبو عبيدة: رفدته أرفده رفدًا ؛ أي أعنته وأعطيته. واسم العطية الرفد ؛ أي بئس العطاء والإعانة.

آيات من سورة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾.

معناه إجمالاً:

هذا – والله أعلم –: تذكيرٌ لرسول الله ﷺ بنبي الله وكليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقول تعالى ما حاصله وكما أنا أنزلنا إليك الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، فقد أرسلنا موسى أيضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بحججنا وأدلتنا على وحدانيتنا وقدرتنا كالعصا واليد وسائر الآيات التسع، وكذلك أنزلنا عليه التوراة والألواح وأمرناه أن يدل قومه على طريق الهداية والتوفيق لإخراجهم من ظلمات الكفر والشك والضلال إلى طريق الهداية والنور والإيمان، وأمرناه أن يُذكرهم بأيام الله، أي: بنعم الله عَزَّوَجَلَّ وفضائله التي أنعم بها عليهم، كما في الحديث...وأيام الله نعماؤه وبلاؤه، وكان من نعم الله عليهم أن الله عَزَّوَجَلَّ أنجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب – على ما سيأتي بيانه إن شاء الله –، وكان من نعم الله عليهم تظليل الغمام عليهم، وإنزال التوراة والألواح لهدايتهم وإنزال المن والسلوى عليهم، وكذا تفجير الحجر لهم إلى غير ذلك من نعم الله عَزَّوَجَلَّ.

هذا، وقد قال بعض العلماء إن أيام الله، أيام العذاب التي كانوا يعذبون فيها من فرعون وقومه.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في ذلك الإنجاء من العذاب، وفي تلك النعم، وفي إرسال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لدلالات على قدرة الله عَزَّوَجَلَّ ووحدانيته لكل صبار على أقدار الله عَزَّوَجَلَّ وعلى أوامره، ولكل شكور لله عَزَّوَجَلَّ على نعمائه، وهذا حال المؤمن دائمًا صبار على المصائب والبلايا، شكور للنعم والآلاء – والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحُجَجنا من قبلك يا محمد، كما أرسلناك إلى قومك بمثلها من الأدلة والحجج.

وقوله: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾،كما أنزلنا إليك، يا محمد، هذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم. ويعني بقوله: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، أن ادعهم، من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ يقول عز وجل: وعِظْهُم بما سلف من نُعْمَى عليهم في الأيام التي خلت فاجتُزِئ بذكر «الأيام» من ذكر النعم التي عناها؛ لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلةً، أنقذهم فيها من آل فرعون بعدَ ما كانوا فيما كانوا فيه من العذاب المُهِين، وغرَّق عدوَّهم فرعونَ وقومَه، وأوْرَثهم أرضهم وديارَهم وأموالَهم.

وكان بعض أهل العربية يقول: معناه: خوَّفهم بما نزل بعادٍ وثمودَ وأشباههم من العذاب، وبالعفو عن الآخرين: قال: وهو في المعنى كقولك: «خُذْهم بالشدة واللين».

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: بنعم الله.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: أيامُه التي انتقم فيها من أهل مَعاصيه من الأمم خَوَّفهم بها، وحذَّرهم إياها، وذكَّرهم أن يصيبهم ما أصابَ الذين من قبلهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، يقول: إن في الأيام التي سلفت بنِعَمِي عليهم يعني: على قوم موسى ﴿لَأَيَٰتٍ﴾، يعني: لعِبرًا ومواعظ ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، يقول: لكل ذي صبر على طاعة الله، وشكرٍ له على ما أنعم عليه من نِعَمه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ

ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾.

حاصل معناه - والله أعلم-: واذكر يا رسول الله قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه من بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم، التي منها أنه عَزَّوَجَلَّ أنجاكم من آل فرعون الذين كانوا يذيقونكم أسوأ صور العذاب، بتسخيركم وإذلالكم واستعبادكم، وكانوا يذبحون أبناءكم ويتركون نساءكم لإذلاكم ولاستخدامهن، وفي ذلك الإنجاء من هذا العذاب اختبار من الله عظيم، هل تقدموا له شكرًا أم تكفرونه، فقد يكون الابتلاء بالخير وقد يكون بالشر، قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقال بعض العلماء، وفي ذلك الذي كان يفعله فرعون بكم بلاء من ربكم عظيم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن موسى، حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم، إذ أنجاهم من آل فرعون، وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال، حين كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم، ويتركون إناثهم فأنقذ الله بني إسرائيل من ذلك، وهذه نعمة عظيمة؛ ولهذا قال: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ أي: نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك، أنتم عاجزون عن القيام بشكرها.

وقيل: وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ﴿بَلَآءٞ﴾ أي: اختبار عظيم. ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا، والله أعلم، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨].

ومن سورة الإسراء

قولـه تعـالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾.

المعنى الإجمالي – والله أعلم–: وكما أسرينا بعبدنا ورسولنا محمد ﷺ، فقد مننا على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأننا آتيناه الكتاب الذي هو التوراة، وجعلنا هذه التوراة هداية لبني إسرائيل وإرشادًا لهم يسترشدون بها، وعهدنا إليهم ألا يتخذوا من دون الله وكيلًا يعتمدون عليه ويفوضون أمرهم إليه ويطلبون منه حاجاتهم، ويسألونه كشف الضرِّ عنهم، وكذا عهدنا إليهم ألا يتخذوا ربًّا سوى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا وآتى موسى الكتاب، وردّ الكلام إلى ﴿ وَءَاتَيْنَا ﴾ وقد ابتدأ بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب في نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه. وعنى بالكتاب الذي أوتي موسى: التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يقول: وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانًا للحقّ، ودليلًا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه.

وقوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ ﴾ بالتاء بمعنى: وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بني إسرائيل ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾. وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة **(ألا يَتَّخِذُوا)** بالياء على الخبر عن بني إسرائيل، بمعنى: وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألا يتَّخذ بنو إسرائيل من دوني وكيلًا وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، غير أني أوثر القراءة بالتاء؛ لأنها أشهر في القراءة وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء.

ومعنى الكلام: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا حفيظًا لكم سواي. وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى. وكان مجاهد يقول: معناه في هذا الموضع: الشريك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد، صلوات الله وسلامه عليه، عطف بذكر موسى عبده وكليمه أيضًا، فإنه تعالى كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن؛ ولهذا قال بعد ذكر الإسراء: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى﴾ أي: هاديًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ أي: لئلا تتخذوا ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ أي: وليًّا ولا نصيرًا ولا معبودًا دوني؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

كثيرًا ما يقرن الباري بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى ﷺ وبين كتابيهما وشريعتيهما لأن كتابيهما أفضل الكتب وشريعتيهما أكمل الشرائع ونبوتيهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين.

ولهذا قال هنا: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذي هو التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ أي: وقلنا لهم ذلك وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك ليعبدوا الله وحده وينيبوا إليه ويتخذوه وحده وكيلًا ومدبرًا لهم في أمر دينهم ودنياهم ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئًا ولا ينفعونهم بشيء.

آيات من سورة مريم وردت في شأن موسى عليه السلام

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥١- ٥٣]

معاني مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
﴿مُخۡلَصٗا﴾	أخلصه الله واصطفاه
﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾	قربناه وناجيناه[1] – كلمناه من غير وحي.
﴿مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾	أي من رحمتنا به لما سألنا فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾ – من نعمتنا عليه.

المعنى الإجمالي: واذكر يا رسول الله في الكتاب المنزل عليك نبي الله وكليمه موسى عليه السلام، اذكر أنه كان مُخلصًا استخلصه الله عز وجل واصطفاه، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

قال الطبري رحمه الله:

﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾ يقول: وكان لله رسولاً إلى قومه بني إسرائيل ومن أرسله إليهم نبيًّا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ جمع الله له بين الوصفين، فإنه كان من المرسلين الكبار

---

(١) وصحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما (عند الطبري) أنه قال: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ قال: أُدني حتى سمع صريف القلم.

قال بعض العلماء: أي صريف القلم بكتابة التوراة.

أولي العزم الخمسة، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين.

وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ أي: ناديناه بصوت مرتفع مسموع.

قال السعدي في تفسيره:

والفرق بين النداء والنجاء أن النداء هو الصوت الرفيع[1]، والنجاء ما دون ذلك.

والمراد بجانب الطور الأيمن والله أعلم، يمين موسى، قاله القرطبي، وقال أيضًا: وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسى حين أقبل من مدين إلى مصر، قاله الطبري وغيره، فإن الجبال لا يمين لها ولا شمال.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ جاء إجابة على سؤال موسى ربه أن يعينه بأخيه هارون.

وذلك في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ ...﴾ [طه: ٢٩-٣٢].

وكذا في قوله: ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣﴾ [الشعراء: ١٣].

فأجاب الله عز وجل موسى لطلبه وسؤاله وهذا من رحمة الله بموسى عليه السلام أنه يجيب سؤاله والله أعلم.

ومن سورة الأنبياء

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾. [الأنبياء: ٤٨]

حاصل معناه، والله أعلم، ولقد آتينا موسى وهارون عليهما السلام الفرق، وهو ما يفرِّق به بين الحق والباطل، وقيل: إن هذا الفرقان هو المعجزات التي أيد الله بها موسى وهارون عليهما السلام كالعصا واليد وغير ذلك، وقيل: إن هذا الفرقان هو

(١) ولعله يقصد بالرفيع: المرتفع، أي: الذي ليس بإسرار. والله أعلم.

التوارة.

أما قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾ فمن العلم ومن قال: إن المراد به التوراة فهي ضياءٌ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: ٤٤].

أما قوله تعالى: ﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ أي تذكيرًا للمتقين، وقيل للمتقين، مع أنه ذكرٌ للجميع، وذلك لكون المتقين هم المستفيدون به أما قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ﴾ أي: وهذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول ذِكر مبارك كثير نفعه بل وكله نفعٌ، نفع أثناء تعلمه وتعليمه وأثناء العمل به، وأثناء تدبره، والدعوة إليه بل في كل زمانٍ، وفي كل مكان. أنزلناه عليك يا رسول الله لتبلغه هؤلاء القوم أفتنكرونه، وهو في غاية الجلاء والظهور والوضوح.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به: الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق والباطل.

وأورد بإسناد صحيح ابن زيد في قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ قال: الفرقان: الحق آتاه الله موسى وهارون، فرق بينهما وبين فرعون، قضى بينهم بالحق، وقرأ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] قال: يوم بدر.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرّهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار،

وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال: ﴿ بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا ﴾ [الصافات: ٦-٧]؟ قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل.

وقوله: ﴿ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يقول: وتذكيرًا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذكّرهم بما آتى موسى وهارون من التوراة.

آيات من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد آتينا موسى عليه السلام التوراة هداية لبني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الإسراء: ٢]، وأيدنا موسى عليه السلام بأخيه هارون فقد طلب موسى ذلك واستجبنا له، قال موسى عليه السلام: ﴿ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٣٠-٣٦].

فأيدنا موسى عليه السلام بأخيه هارون وجعلناه معه معينًا يُعينه الله به على أعباء الرسالة وتكاليفها.

وأمرناهما فقلنا لهما: اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا. اذهبا إلى فرعون وقومه هؤلاء الذين كذبوا بحججنا الدالة على قدرتنا وواحدنيتنا، تلك الحُجج التي منها العصا التي تتحول إلى حية تسعى، وتلك اليد التي تخرج بيضاء للناظرين من غير سوء. فذهب موسى وهارون بآياتنا كما أمرناهما إلى فرعون وملئه، فكذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرًا بإغراقهم في اليم على ما تقدم تفصيله في

غير موطن.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نقمته بهم، نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة رسلها ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾ يا محمد ﴿مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: التوراة، كالذي آتيناك من الفرقان ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ يعني: معينًا وظهيرًا ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ يقول: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا، فدمرناهم تدميرًا. وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر من ذكره وهو: فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ.

ومن سورة السجدة ﴿الٓمٓ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [السجدة: ٢٣].

معنى الآية الكريمة، – والله أعلم –: فلا تكن يا رسول الله في شكٍّ من لقاءك بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي كان ليلة المعراج.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ ﴾ يقول: فلا تكن في شكّ من لقائه، فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شكّ من أنك لقيته، أو تلقاه ليلة أُسري بك، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: عن أبي العالية الرياحي، قال: حدثنا ابن عمّ نبيكم –يعني: ابن عباس– قال: قال نبيّ الله ﷺ: «**أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بنَ**

عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طِوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رجالِ شَنُوءَةَ، ورأيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَربُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبياضِ، سَبْطَ الرأسِ ورأيْتُ مالِكًا خازِنَ النَّارِ، والدَّجَّالَ» فِي آياتٍ أَرَاهنَّ اللهُ إيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أنه قد رأى موسى، ولقى موسى ليلة أُسري به.

وأخرجه البخاري ومسلم[1] دون لفظة (أنه قد رأى موسى ولقى موسى ليلة أُسري به) وإن كان السياق يقتضيه أي أن الحديث انتهى إلى قوله: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وأخرجه مسلم وفي آخره قال: قال كان قتادة يفسرها أن نبي الله قد لقى موسى عليه السلام هذا، وقد أورد بعض العلماء أقوالًا أُخر، لكن الذي قدمته هو الأصح. والله أعلم.

ومن الأقوال التي أوردها:

فلا تكن في شك من لقاء موسى يوم القيامة فستلقاه فيها وقيل: فلا تكن في شك من أنك ستلقى الأذى كما لقيه موسى عليه السلام.

هذا، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ جعلنا من ؟

جعلنا الكتاب الذي آتيناه موسى عليه السلام، وهو التوراة هدى لبني إسرائيل يهتدون بها ويسترشدون قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]، وبهذا القول قال ابن كثير قال: قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناه موسى عليه السلام.

والقول الثاني: أن قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ عائدٌ على موسى عليه السلام، ويشهد له الخبر المتقدم عن رسول الله ﷺ من طريق قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس. والله أعلم.

وهذا الأخير اختيار الطبري إذ قال:

(١) البخاري(٣٢٣٩) ومسلم (١٦٥).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يعني: رشادًا لهم يرشدون باتباعه، ويصيبون الحقّ بالاقتداء به، والائتمام بقوله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.

ومن سورة الأحزاب

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)﴾.

أما عن المعنى الإجمالي للآية الكريمة، فمعناها، والله أعلم: يا أهل الإيمان بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله ﷺ كما آذت بنو إسرائيل موسى عليه السلام، ولكن وقِّروه وعظِّموه، فإن الله عز وجل برأ موسى عليه السلام مما آذوه به، وكانت لموسى عليه السلام وجاهة عند الله عز وجل فمثله لا ينبغي أن يؤذى فكذا نبيكم ﷺ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذبًا وباطلًا ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ يقول: وكان موسى عند الله مشفعًا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي: له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل.

قال الحسن البصري: كان مستجابَ الدعوة عند الله. وقال غيره من السلف: لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه. ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل.

وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة: أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤاله، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

أما عن الأذى الذي آذى به القوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن هم الذين آذوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

فأقول وبالله التوفيق: لا شك أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أوذي من قوم كثيرين فآذاه فرعون وقومه أشد الأذى واتهموه بجملة من الاتهامات، وهذا مبسوط في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكذا آذاه قومه من بني إسرائيل ولكن أكثر المفسرين على أن الذين عناهم الله بقوله: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل، وتعددت الأقوال في ذلك، ومن هذه الأقوال أنهم عابوه بشيءٍ زعموا أنه في جسمه، فقالوا: إنه (آدر) أي: عظيم الخصية، وذلك لكونه كان حييًّا لا يغتسل عريانًا معهم، فبرأه الله مما قالوا، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ومن ذلك أيضًا أنهم اتهموه بأنه قتل أخاه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ فبرأه الله مما قالوا، إلى غير ذلك من صور الأذى الذي لحق بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن ثَمَّ فإن نبينا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتصبر بذكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وما حلَّ به ففي الصحيح[1] من حَدِيثِ عَبْدَ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (وهو ابن مسعود) قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».

أما عن الوارد في الأذى الذي لحق بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فمنه كما أشرت قريبًا ما أورده البخاري في صحيحه[2] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ مَنْ**

(١) البخاري (٣٤٠٥).

(٢) البخاري (٣٤٠٤).

آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾».

وأخرج البخاري[2] أيضًا من طريق عَوْف عَنِ الْحَسَنِ وَمُحَمَّدٍ وَخِلَاسٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾».

قلت (مصطفى): والذي يبدو لي ويظهر –والله تعالى أعلم– أن قوله وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ...﴾ ليس من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو من قول أبي هريرة، وكأن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربط بين الآية والحديث ففسر الآية بالحديث وكذا روي عن غيره من الصحابة نحوه على ما في بعض أسانيدها من مقال، وكذا الروايات التي أوردها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ كقوله ... عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ...﴾، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا...»، هذه الرواية مردها إلى الأخرى التي مفادها أن أبا هريرة هو الذي ربط بين الآية والحديث والله أعلم.

ولذا فإن الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد طرقًا لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وقال

---

(١) على ما يبدو لي أن هذا من قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٤٧٩٩).

آخرون بل كان أذاهم إياه ادعاءهم عليه قتل هارون أخيه، وأورد ذلك من طريق عباد[١] قال: ثنا سفيان بن حبيب[٢] عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ ...﴾ الآية، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حبًّا لنا منك وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم؛ فجعله الله أصم أبكم.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص. وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا.

قلت (مصطفى): فلو كان مقطوعًا عند الطبري رحمه الله أن رسول الله ﷺ فسَّر الآية بالذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه لجزم به الطبري ولجعله قولًا واحدًا مجزومًا به، وإن ألحق به غيره.

ولكن لما قال الطبري: ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا... والله أعلم.

هذا وعن الوجاهة التي قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾؟

فمن هذه الوجاهة التي لموسى عليه السلام عند الله أنه عز وجل اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه، ومنها: أن الله عز وجل يقبل شفاعته ودعاءه، ومنها: أن الله عز وجل شقَّ

(١) هو عباد بن العوام، كما أوضحته رواية ابن أبي حاتم التي ذكرها ابن كثير في تفسيره.

(٢) يبدو أن هنا تصحيف ففي رواية ابن أبي حاتم، سفيان بن حسين.

البحر له أمام قومه فرأوا كرامات عظيمة بأعينهم حدثت لنبي الله موسى عليه السلام.

ومن سورة فصلت

قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

المعنى الإجمالي:

هذه تسليةٌ لرسول الله ﷺ وتصبيرٌ له وتثبيت وتذكيرٌ بنبي الله الكريم موسى ﷺ، ومعنى الآية الكريمة: ولقد آتينا رسولنا موسى عليه السلام التوراة كما آتيناك الفرقان يا رسول الله، فلما آتينا موسى التوراة كذب بها أقوام وآمن بها آخرون، وأقبل البعض على العمل بها وأعرض عنها آخرون، ولولا أن الله عز وجل قضى أنهم يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعوجلوا بالعقوبة في الدنيا ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: وإن المبطلين المكذبين بالتوراة لفي ريبة شديدة وشك شديد من هذه التوراة ومن كونها من عند الله عز وجل ويُهتدى بها.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يا محمد، يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ يقول: فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ يقول: ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخَّر عذابهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم. يقول: لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم. وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ يقول: وإن الفريق المبطل منهم لفي شكّ مما قالوا فيه ﴿مُرِيبٍ﴾ يقول: يريبهم قولهم فيه ما قالوا؛ لأنهم قالوا بغير ثبت، وإنما قالوه ظنًّا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ يعني: التوراة ﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ ﴾ أي: آمن به قوم وكذب به قوم. والكناية ترجع إلى الكتاب، وتسلية للنبي ﷺ، أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم. وقيل: الكناية ترجع إلى موسى. ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: في إمهالهم. ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ أي: بتعجيل العذاب. ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٖ﴾ أي: شديد الريبة. لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم. وقيل: تأخير العذاب لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين.

ومن سورة الشورى

قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾.

معاني مفردات الكلمات:

الكلمة	معناها
(شَرَعَ)	سنَّ - فرض
(وَصَّىٰ)	أمر
(أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ)	اعملوا بما ألزمكم الله به
(كَبُرَ)	شقَّ - عَظُمَ - اشتد
(يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ)	يختار
(يُنِيبُ)	يرجع (إلى ربِّه) - يُقبل على طاعة الله ويرجع إليها

المعنى الإجمالي للآية: يقول تعالى ذكره ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ أي فرض لكم من الدين يا أمة محمد ﷺ ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾ وهو الذي ذكره الله في الآية الكريمة.

﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ أي: اعملوا بتعاليم دينكم واثبتوا على توحيد

ربكم عَزَّوَجَلَّ.

ومما وصى الله به وأمر توحيده عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى:

❁ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

[الأنبياء:٢٥]

❁ **وكما قال تعالى:** ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

❁ **وكما قال تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية «الأحزاب» عليهم في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ الآية [الأحزاب:٧]. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]. وفي الحديث: «**نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**» أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ أي: وصى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف.

قلت (مصطفى): أما قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ**﴾ فحاصل معناه -والله تعالى أعلم-: ولا تختلفوا في أمور دينكم كما اختلف من كان قبلكم، والحمد

لله فنحن كمسلمين ندين لله عَزَّوَجَلَّ وحده بالإلهية والربوبية وبأنه ربُّ الناس ملك الناس إله الناس، ولا نجعل له شريكًا، كذلك بأننا نؤمن بالكتب التي أنزلها الله جميعها وكذلك بكل رسل الله وأنبيائه. وفي الآية حثٌّ على الاجتماع وتحذير من الفرقة والاختلاف.

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ يقول: ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم.

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾.

معناه -والله تعالى أعلم-: شقَّ وصعب على أهل الشرك أن يقولوا لا إله إلا الله وأن يعتقدوا ذلك فقد قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ قال: أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي عظم عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ من التوحيد ورفض الأوثان. قال قتادة: كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن

لا إلـه إلا الله وضـاق بهـا إبليس وجنـوده فـأبى الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن ينصـرها ويعليهـا ويظهرها على من ناوأها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: شـق علـيهم وأنكـروا مـا تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

معناه -والله تعـالى أعلـم-: أن الله عَزَّوَجَلَّ يختـار مـن عبـاده للإسـلام مـن يشـاء ومن يحب، ويوفق للعمل بطاعته واتباع ما أرسل به نبيه ﷺ من أقبل على طاعة الله ورجع إلى التوبة بعد المعصية.

أي: أن من يسلك سبيل الهداية يوفقه الله لها وييسرها عليه كما قـال تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكما قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يقـول: الله يصـطفي إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قـال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي: هو الذي يُقَـدِّر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يختار. والاجتبـاء: الاختيـار؛ أي: يختـار للتوحيد من يشاء. ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي: يستخلص لدينه من رجع إليه.

ومن سورة الأحقاف

قولــه تعــالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢ ﴾.

معناه – والله أعلم – ومن قبل هذا القرآن أنزلنا كتابًا على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو التوراة إمامًا يأتم به بنو إسرائيل فيهتدون بما فيه ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، فيرحمهم الله بذلك وهذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله كتابٌ موافق ما فيه لما في التوراة فهو مصدق لها بموافقته لما فيها وكذا مصدق لها فقد أخبرت بمجيئه ونزوله فكونه قد جاء ونزل فنزوله تصديقٌ لها.

وقد نزل بلسانٍ عربي مبين لينذر أهل الشرك الذين ظلموا أنفسهم وبخسوها حقها بكفرهم بالله وشركهم به فنزل القرآن بتحذيرهم مما هم فيه ولإنذارهم عاقبة ما هم عليه مقبلون من النار التي أعدت للكافرين.

وكذا فهذا القرآن مبشرٌ لأهل الإيمان وأهل الإحسان بفسيح الجنان، والله أعلم.

NNO PMM

آيات من سورة الذاريات

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ۝٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ۝٤٠ ﴾ [الذاريات: ٣٨-٤٠].

معاني مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾	في قصة موسى وما حدث لموسى عبرةٌ وعظةٌ
﴿بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾	حجة موضحة مظهرةٌ
﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾	أدبر بقومه وجنده وصحبه- أعرض استكبارًا وعنادًا[1]. وقيل: (غلب قومه على ما يريد).
﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾	قد فعل ما يُلام عليه ـ ملومٌ كافر جاحد فاجر معاندٌ- مُذنب

المعنى الإجمالي:

يقول تعالى ذِكره ما معناه: وفي قصة موسى وما حدث له مع فرعون لما أرسلناه إليه بحججنا الواضحة المظهرة لوحدانيتنا وقدرتنا، والمظهرة لكون موسى عليه السلام رسول من عندنا فكذب فرعون فكان من أمره ما كان، وأدبر بجنوده وفرَّ من الحق بل واتهم موسى عليه السلام بالسحر والجنون، فأخذناه وجنوده فطرحناهم في البحر وقذفناهم فيه يصاحبهم اللوم والذَّم، في ذلك عبرة وعظة لمن يتذكر أو يخشى، والله أعلم.

NNO PMM

---

(١) وقوَّى الحافظ ابن كثير هذا الوجه، وقال: هو كقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٩]، أي: معرض عن الحق مستكبر، والركن هو الجند والعشيرة ومنه: ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾.

ومن سورة النجم

قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾.

المعنى -والله أعلم - أم لم يُخبر هذا الذي ادعى أنه سيحل أوزار الآخرين، وحثهم على الكفر ووعدهم أنه سيغني عنهم، أفلم يخبر بالذي جاء في صحف موسى التي هي التوراة، وكذلك ما جاء به إبراهيم عليه السلام بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى! أي: لا تحمل نفس حِمْلَ نفسٍ أُخرى، ولا يُؤاخذُ أحدٌ بذنب غيره.

قال بعض العلماء: وخُصَّت صحف إبراهيم وموسى بالذكر ؛ لأنه كان ما بين نوحٍ وإبراهيم يؤاخذ الرجل بجريرة أخيه وابنه وأبيه.

ومن سورة الصف

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ ﴾.

[الصف: ٥]

المعنى الإجمالي للآية الكريمة: يُذكِّر الله عز وجل بنبيه موسى ﷺ كي يصبر رسولنا الكريم كما صبر موسى عليه السلام، يذكر سبحانه بأن موسى عليه السلام قد أوذي، وقال ﴿لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ وقومه هم بنو إسرائيل، وقد أنجاهم الله عز وجل على يديه وسلمهم وحفظهم ومع ذلك أذوه أشد الأذى.

۞ ومن صور هذا الأذى ما يلي:

إيذاؤهم له لكونه كان حيِّيًا ولا يغتسل عريانًا معهم، فوصفوه بأنه آدر، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ وقد أخرج البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ**

وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾»[(١)].

ومن ذلك: تكذيبهم له، ومخالفتهم أوامره، وتعنتهم في سؤاله، فنذكر من صور ذلك قولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وقولهم: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة: ٦١]، وقولهم: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

وتبديلهم أمر الله ثم أمر نبيهم لما قال لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [النساء: ١٥٤] فدخلوا يزحفون على أستاههم، وبدلًا من أن يقولوا حطة قالوا: حبة في شعرة، وقالوا: حنطة.

ومن ذلك: عبادتهم العجل، وقولهم: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨].

ومن ذلك: أيضًا قولهم لما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ومن ذلك: قولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

من ذلك: إلصاقهم التهم به – كما في بعض الموقوفات والإسرائيليات أنهم اتهموه بقتل هارون، وقذفوه أيضًا بامرأة بغيٍّ.

وفي الجملة: فصور إيذائهم له لا تكاد تُحصى، ومن ثَمَّ فقد كان النبي ﷺ يقول لما أوذي: «**رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

---

(١) البخاري (٣٤٠٤) وبنحوه عند مسلم (٣٣٩) بسياق قريب.

أما قوله: ﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ﴾ أي: وأنتم تعلمون علمًا يقينيًّا ﴿أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ أما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ لما مالوا عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أمال الله قلوبهم وزادهم ميلًا وبُعدًا عن الحق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾.

معناه والله أعلم، والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين خرجوا عن الإسلام، واختاروا طريق الكفر على طريق الإسلام ما داموا قائمين على فسقهم وعنادهم.

ومن سورة الأعلى

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾.

والمراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: هذا المذكور كله في سورة الأعلى، أي: أن هذا ذُكر في هذه السورة موجود في الصحف الأولى صُحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ومن العلماء من قال: إنه يرجع إلى قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾.

ومنهم من قال: إنه يرجع إلى قوله: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾.

وفاة نبي الله موسى عليه السلام

قال الإمام مسلم رحمه الله (حديث (٢٣٧٢):

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام. فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ**[1]**، قَالَ فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ**[2] **يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي**[3] **مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ**»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ**».

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.

قال الإمام البخاري رحمه الله[4]**:**

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ[5]: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليهما السلام،

---

(١) **(أجب ربك)** أي: للموت. ومعناه جئت لقبض روحك.

(٢) **(فما توارت يدك)** هكذا هو في جميع النسخ: توارت. ومعناه وارت وسترت.

(٣) في بعض الروايات أدنني.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٥) هكذا أورده موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه، ثم عقَّبه بذكر المرفوع من رواية معمر عن همام عن =

فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ[١]، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ[٢]، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ[٣]، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، قَالَ: فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ ثَمَّ**[٤] **لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ**»[٥] قَالَ وَأَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ (فتح الباري ٦/ ٦١٨-٦١٩):

قَالَ ابن خُزَيْمَةَ: أَنْكَرَ بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ هَذَا الْحَدِيثَ وَقَالُوا: إِنْ كَانَ مُوسَى عَرَفَهُ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِهِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ لَمْ يُقْتَصَّ لَهُ مِنْ فَقْءِ عَيْنِهِ وَالْجَوَابُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ مَلَكَ الْمَوْتِ لِمُوسَى وَهُوَ يُرِيدُ قَبْضَ رُوحِهِ حِينَئِذٍ وَإِنَّمَا بَعَثَهُ إِلَيْهِ اخْتِبَارًا وَإِنَّمَا لَطَمَ مُوسَى مَلَكَ الْمَوْتِ لِأَنَّهُ رَأَى آدَمِيًّا دَخَلَ دَارَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَلَمْ يَعْلَمْ أنه ملك الْمَوْتِ وَقَدْ أَبَاحَ الشَّارِع فقوء عَيْنِ النَّاظِرِ فِي دَارِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَقَدْ جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِلَى لُوطٍ فِي صُورَةِ آدَمِيِّينَ فَلَمْ يَعْرِفَاهُم ابْتِدَاءً وَلَوْ عَرَفَهُمْ إِبْرَاهِيمُ لَمَا قَدَّمَ لَهُمُ الْمَأْكُولَ وَلَوْ عَرَفَهُمْ لُوطٌ لَمَا خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ عَرَفَهُ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا الْمُبْتَدِعِ مَشْرُوعِيَّةُ الْقِصَاصِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ ثُمَّ مِنْ أَيْنَ لَهُ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ طَلَبَ

= أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

(١) صكَّه أي: ضربه على عينيه، والله على كل شيء قدير، وفي رواية: «**لطمه**»، وفي رواية: «**ففقأها**»، وفي بعض الروايات: «**أن ملك الموت كان يأتي الناس عيانًا**» ولتحرر، ولعلَّ ذلك يتيسر في موضع آخر إن شاء الله.

(٢) وفي بعض الروايات وقد فقأ عيني.

(٣) متن الثور: ظهر الثور.

(٤) ثم أي هناك.

(٥) الكثيب: هو الرمل المجتمع.

الْقِصَاصَ مِنْ مُوسَى فَلَمْ يُقْتَصَّ لَهُ ولخص الْخطابِيّ كَلَام ابن خُزَيْمَةَ وَزَادَ فِيهِ أَنَّ مُوسَى دَفَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ لِمَا رُكِّبَ فِيهِ مِنَ الْحِدَّةِ وَأَنَّ اللهَ رَدَّ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ لِيَعْلَمَ مُوسَى أَنَّهُ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَلِهَذَا اسْتَسْلَمَ حِينَئِذٍ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمُوسَى فِي هَذِهِ اللَّطْمَةِ امْتِحَانًا لِلْمَلْطُوم.

وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا لَطَمَهُ لِأَنَّهُ جَاءَ لِقَبْضِ رُوحِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخَيِّرَهُ لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ فَلِهَذَا لَمَّا خَيَّرَهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَذْعَنَ قِيلَ: وَهَذَا أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ يَعُودُ أَصْلُ السُّؤَالِ فَيُقَالُ: لِمَ أَقْدَمَ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَى قَبْضِ نَبِيِّ اللهِ وَأَخَلَّ بِالشَّرْطِ فَيَعُودُ الْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ امْتِحَانًا وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: فَقَأَ عَيْنَهُ أَيْ: أَبْطَلَ حُجَّتَهُ وَهُوَ مَرْدُودٌ بِقَوْلِهِ فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ فَرَدَّ اللهُ عَيْنَهُ وَبِقَوْلِهِ لَطَمَهُ وَصَكَّهُ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَرَائِنِ السِّيَاقِ.

وَقَالَ ابن قُتَيْبَةَ: إِنَّمَا فَقَأَ مُوسَى الْعَيْنَ الَّتِي هِيَ تَخْيِيلٌ وَتَمْثِيلٌ وَلَيْسَتْ عَيْنًا حَقِيقَةً وَمَعْنَى رَدَّ اللهُ عَيْنَهُ أَيْ: أَعَادَهُ إِلَى خِلْقَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَقِيلَ: عَلَى ظَاهِرِهِ وَرَدَّ اللهُ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ عَيْنَهُ الْبَشَرِيَّةَ لِيَرْجِعَ إِلَى مُوسَى عَلَى كَمَالِ الصُّورَةِ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَقْوَى فِي اعْتِبَارِهِ وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمد.

وَجوز ابن عَقِيل أَنْ يَكُونَ مُوسَى أُذِنَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِمَلَكِ الْمَوْتِ وَأُمِرَ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا أُمِرَ مُوسَى بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَصْنَعُ الْخَضِرُ وَفِيهِ أَنَّ الْمَلَكَ يَتَمَثَّلُ بِصُورَةِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ وَفِيهِ فَضْلُ الدَّفْنِ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ ذَلِكَ فِي الْجَنَائِزِ وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ: فَلَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي بَقِيَ مِن الدُّنْيَا كَثِيرٌ جِدًّا؛ لأن عَدَدَ الشَّعْرِ الَّذِي تُوَارِيهِ الْيَدُ قَدْرَ الْمُدَّةِ الَّتِي بَيْنَ مُوسَى وَبَعْثَةِ نَبِيِّنَا ﷺ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ الزِّيَادَةِ فِي الْعُمُرِ وَقَدْ قَالَ بِهِ قَوْمٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، أَنَّهُ زِيَادَةٌ وَنَقْصٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَقَالَ الْجُمْهُورُ: وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ لِلْجِنْسِ لَا لِلْعَيْنِ أَيْ: وَلَا يُنْقَصُ مِنْ

عُمُرِ آخَرَ وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ عِنْدِي ثَوْبٌ وَنِصْفُهُ أَيْ: وَنِصْفُ ثَوْبٍ آخَرَ وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أَيْ: وَمَا يَذْهَبُ مِنْ عُمُرِهِ فَالْجَمِيعُ مَعْلُومٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَالْجَوَابُ عَنْ قِصَّةِ مُوسَى أَنَّ أَجَلَهُ قَدْ كَانَ قَرُبَ حُضُورُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا مِقْدَارُ مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ مِنَ الْمُرَاجَعَتَيْنِ فَأُمِرَ بِقَبْضِ رُوحِهِ أَوَّلًا مَعَ سَبْقِ عِلْمِ اللهِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ الْمُرَاجَعَةِ وَإِنْ لَمْ يَطَّلِعْ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَى ذَلِكَ أَوَّلًا وَاللهُ أَعْلَمُ.

مرور النبي ﷺ على موسى عليه السلام في قبره ليلة الإسراء وهو قائم يُصلي

قال الإمام مسلم رحمه الله[1]: حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَيْتُ** - وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ: **مَرَرْتُ** - **عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٦/ ٦٢١): وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ مُوسَى مِمَّنْ قُبِرَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٥).

الفصل الثاني عشر

ويحوي توابع لقصة موسى عليه السلام:

قصة قارون الطاغي الباغي.

قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت.

قصة الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى (وفيها قصة طالوت وجالوت).

قصة القرية التي كانت حاضرة البحر واعتداء بني إسرائيل في السبت.

قصة الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها الذي قيل عنه (بلعام بن باعوراء).


MOSTAFAALADWY.COM

قصة قارون الطاغي الباغي

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص: ٧٦-٨٢].

معاني مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
(فَبَغَىٰ) (مَفَاتِحَهُۥ) (لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ) (أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ) (لَا تَفۡرَحۡۖ)	تجاوز الحد في الكبر والتكبر والطغيان. مفاتيح خزائنه. لتثقل على الجماعة - لتميل العصبة - لتميل بالجماعة من الناس - ليثقل حملُها الفئام من النفاس. أولي الشدة - الأشداء الأصحاء. لا تبطر.
الكلمة	معناها

﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾	البطرين الأثرين - المرحين - الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.
﴿وَٱبْتَغِ﴾	التمس - اطلب.
﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	لا تسع في الأرض بالفساد.
﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾	على علم علمنيه الله - على معرفة مني بوجوه المجيء بالمال.
﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾	أكثر جندًا - أكثر جمعًا للمال.
﴿لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾	لصاحب نصيبٍ وافرٍ من الدُّنيا.
﴿فِئَةٍ﴾	جماعة - عصابة يتعصبون له.
﴿ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾	الممتنعين مما حلَّ بهم ونزل.
﴿وَيْكَأَنَّ﴾	ألم يعلم أنَّ - ألم تر أنَّه - أعجب عالمًا أن. كلمة (وي) للتندم، و(كأن) للتعجب.
﴿يَبْسُطُ﴾	يوسع.
﴿وَيَقْدِرُ﴾	يضيق.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يُذكرنا ربنا سبحانه وتعالى، ويذكِّر عموم العباد بما كان من أمر قارون الطاغي الباغية، الذي أطغاه مالُهُ وحمله على ظلم العباد، وكيف وأن الله عَزَّوَجَلَّ خسف به وبداره الأرض فيقول تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ فهذا القدر هو الوارد في التعريف بقارون، وليس في الكتاب ولا في السنة شيءٌ من التعريف بقارون أكثر من ذلك، أي: أنه من بني إسرائيل، وهم قوم موسى، هذا وأكثر العلماء على أنه ابن عمه فالله أعلم.

والتذكير بأنه من قوم موسى لأمور منها:

أن قرابته بموسى لم تنفعه، وذلك لكونه كان باغيًا كافرًا، كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

۞ وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾. [عبس: ٣٤-٣٦]

۞ وكما قال النبي ﷺ: «ومن بطأ بِهِ عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

وفائدة أخرى: أن موسى لم يملك له الهداية مع أنه قريبه، وكما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقد نزلت في أبي طالب كما تقدم.

ولم يملك نوحٌ الهداية لولده.

ولم يملكها إبراهيمُ عليه السلام لأبيه.

وفائدة ثالثة: وهي مواساة رسول الله ﷺ، فإن كان أبو لهب بغى عليك يا محمد وآذاك وعاداك، وهو عمُّك، فها هو موسى عليه السلام أُوذي أيضًا من رجل من قومه وهو قارون فبغى عليه قارونُ وظلمه. والله أعلم.

ثم بين الله عز وجل حال قارون مع قومه وما آتاه من المال فقال تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ فالظاهر هنا أن الواو ليست للترتيب، لأن البغي -والله أعلم- صدر منه لما أغناه الله عز وجل فالحاصل والله أعلم أن الله عز وجل، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قد بسط الرزق لقارون ووسع له فيه توسعة عظيمة فقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ﴾.

أي: وأعطيناه من الكنوز كنوزًا عظيمة توضع في الخزائن!! في كمٍّ هائلٍ من الخزائن!!

(١) مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

خزائن أعدادها عظيمة جدًّا.

خزائن مفاتحها يعجز عن حملها جماعة الرجال الأقوياء لثقلها!!

فسبحان الله كيف تتصور هذه الخزائن!!

إذا كان عدد مفاتحها يثقل على العصبة من الرجال الأقوياء ويميل بهم ولا يستطيعون حملها فترى كيف كان عدد هذه الخزائن؟!!

وكيف كان عدد الأموال التي بها؟!!

فهكذا أعطى الله عَزَّوَجَلَّ قارون من الأموال!

وهكذا اختبره وابتلاه!!

ابتلاه بفتنة المال!!

وقلَّ من ينجح ويسلم من هذه الفتنة.

وقد قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾! [العلق: ٦، ٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾! [الشورى: ٢٧].

فلم يقدِّم قارون شكرًا لربه عَزَّوَجَلَّ!! ولم يقدم حمدًا لخالقه ورازقه تبارك وتعالى!!

ولم يعمل في المال بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ!! ولم يكرم الخلق ويعطهم مما أعطاه الله سبحانه وتعالى!!

بل ولم يكرم قومه من بني إسرائيل!!

وليته كفَّ شرَّه عنهم ولم يعطهم من المال، بل بغى عليهم وتعدى عليهم وظلمهم وأهانهم.

بغى قارون على قومه، ولم يقدم للأقربين حقوقهم وقد قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

فلم يراع قرابة قريب، ولا مسكنة مسكين!!

ولم يراع حقًّا لابن سبيل عابر طريق!!

لم يراع حق هؤلاء، بل طغى وبغى وتكبر وتجبَّر!! وذكَّره كبراء قومه وعقلاء قومه وما قصَّروا في تذكيره وتنبيهه ووعظه وإرشاده فقال له قومه: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر ولا تتكبر ولا تغتر فإن الله لا يحب من يبطر النعم ويجحدها ولا يحب من اغتر بما رزقه الله ولا يحب من يتعالى على العباد بما فضله الله به، ثم واصلوا النصح والتذكير، فقالوا له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ والمعنى ـ والله أعلم ـ اطلب والتمس بالذي أعطاكه الله عَزَّوَجَلَّ ثواب الله في الدار الآخرة، فتصدق وأنْفِقْ في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وأحْسِنْ إلى الأرامل والأيتام والمساكين وجهّز غزاة في سبيل الله، وأعتق الرقاب، وفكَّ الأسارى وسدَّ عن الغارمين، واجتهدْ ساعيًا في أعمال البر والإحسان.

* قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة.

قلت: ولم يحرم هؤلاء الفضلاء على قارون ما أحله الله له من الاستمتاع بما في الدنيا من الحلال وتوسطوا في نصحهم فقالوا مُذكِّرين أيضًا:

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ .

لأهل العلم أقوال:

أحدها: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا، ولا تغفل عن العمل بطاعته سبحانه وتعالى.

وأورد الطبري جملة آثارٍ تحمل هذا المعنى:

منها: من طرق عن مجاهد قال: تعمل في دنياك لآخرتك.

ومنها: عن عون بن عبد الله قال: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: إن قومًا

يضعونها على غير موضعها، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ تعمل فيها بطاعة الله.

وأثر في سنده ضعف؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا .

وأثر بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك، فإنما تجد في آخرتك ما قدَّمت في الدنيا فيما رزقك الله.

الثاني: أن معنى الآية الكريمة الحث على الاستمتاع بالطيبات كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾ [الأعراف: ٣٢] وكما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] .

وكما قال النبي ﷺ: «إن الله يُحِبُّ أن تُرى نِعْمَتُهُ على عَبْدِهِ»[1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾؛ أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح فإن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا ولزورك عليك حقًّا . فآت كل ذي حقٍّ حقه.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ اختُلف فيه:

فقال ابن عباس والجمهورُ: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملاً صالحًا في دنياك؛ إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها. فالكلام على هذا التأويل شدّة في الموعظة.

وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إيَّاه، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه. وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٢/ ١٨٢)، وله شاهد عند النسائي (٨/ ١٨١).

النبوة من الشدّة؛ قاله ابن عطية.

قلت[1]: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: احرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا.

وعن الحسن: قدّم الفضل، وأمسك ما يبلغ.

وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف.

وقيل: أراد بنصيبه الكفن. فهذا وعظ متصل؛ كأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن.

ونحو هذا قول الشاعر:

نَصيبُك مما تجمعُ الدهرَ كلَّه ... رداءان تُلْوَى فيهما وحَنُوط

وقال آخر:

وهي القناعة لا تبغي بها بدلاً ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القُطْنِ والكَفَن

قال ابن العربي: وأبدع ما فيه عندي قول قتادة: ولا تنس نصيبك الحلال، فهو نصيبك من الدنيا ويا ما أحسن هذا.

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أطع اللهَ واعبدْه كما أنعم عليك، ومنه الحديث: «**ما الإحسان؟**» قال: «**أن تعبد اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ**».

وقيل: هو أمر بصلة المساكين.

قال ابن العربي: فيه أقوال كثيرة جماعها استعمال نِعَمِ الله في طاعة الله.

وقال مالك: الأكل والشرب من غير سرف.

قال ابن العربي: أرى مالكًا أراد الرد على الغالين في العبادة والتقشف، فإن

---

(١) أي: القرطبي.

النبي ﷺ كان يحب الحلواء، ويشرب العسل، ويستعمل الشواء، ويشرب الماء البارد. وقد مضى هذا المعنى في غير موضع.

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا تعمل بالمعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ اهـ.

قلت (مصطفى): فهكذا نصحوه، وهكذا ذكَّروه بقولهم: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾.

ولكن هل انتفع قارون بتلك النصيحة، وبهذا التذكير؟!! كلا بل ازداد طغيانًا وبغيًا وجحودًا لنعم الله عز وجل فقال منكرًا نعم الله عليه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ أي: إنما اكتسبت هذا المال بخبرتي ومهارتي ومعرفتي وعندي علم أن الله يعلم أني مستحق لهذا المال!

هكذا قال بعض العلماء في تفسيرهم لقوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ فلهم في ذلك أقوال:

أحدها: إنما أوتيته لفضل علمٍ علمه اللهُ منِّي فرضي عني بذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه لمحبته لي، فتقديره إنما أُعطيته بذلك لعلم الله فيَّ أني أهلٌ له كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ﴾ [الزمر: ٤٩] أي: على علم من الله بي، وكقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] أي: ذا ما أَسْتَحِقُّهُ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح: عن ابن زيد قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ﴾ قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا.

الثاني: إنما أوتيته لخبرتي ومهارتي باكتساب الأموال وخبرتي بالصناعات

ومعرفتي بالتجارات التي تُدرُّ دخلاً ومالاً.

وقول ثالث: وهو أن قارون كان يعلم اسم الله الأعظم فتموَّل بسببه.

فيذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ أمثال قارون من الذين أغناهم الله عَزَّوَجَلَّ فأطغاهم المال وحملهم على الكفر والجحود والنكران، ويذكِّر ربنا أيضًا سائر الخلق بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها:

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يقول جل ثناؤه: أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه، فاستحق بذلك أن يُؤتى ما أوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشدُّ منه بطشًا، وأكثر جمعًا للأموال، ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من كان الله عنه راضيًا، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راضٍ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطًا.

قلت: أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؟

فلأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: يدخلون النار بغير حساب.

الثاني: لا تسأل عنهم الملائكة لأنهم يعرفون بسيماهم؛ كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

ومن سيماهم أنهم زُرق العيون سود الوجوه، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

الثالث: لا يسألون سؤال استعتاب، إنما يُسألون سؤال توبيخ وتأنيب

وتقريع.

الرابع: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب هؤلاء الذين مضوا.

الخامس: لا يُسأل مجرموا هذه الأمَّة عن ذنوب الأمم الخالية الذين عذبوا في الدنيا.

ثم أقول وبالله التوفيق: وماذا كان من قارون بعد الموعظة والتذكير وجحوده ونكرانه، وعدم استماعه لنصيحة عقلاء قومه وتذكيرهم؟!!

لقد خرج على قومه مختالًا فخورًا متعاليًا متكبرًا!!

خرج في أجمل مركبٍ له وأعظم حاشيةٍ وأحسن لباسٍ!!! خرج وحوله الخدم والحشم خرج مختالًا، وما كان له أن يختال فالله لا يحب كل مختال فخور!!

خرج مستكبرًا والله لا يحب المستكبرين!!

خرج وقد مُلئ كبرًا وبطرًا للحق وازدراءً للناس وخفى عليه أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر(١).

خرج يلفت الأنظار إلى نفسه، ومن سمَّع سمَّع الله به ومن رآى رآى الله به!!

لقد انبهر به ضِعاف الإيمان!!

لقد لفت أنظار أهل الدنيا الذي يريدونها ويسعون لها!!

لقد تمنى الذين يريدون الحياة الدنيا أن يكونوا كقارون ويؤتون مثل ما أوتي قارون!!

فقالوا وتلفظوا بالقول وأعلنوه ولم يخفوه!!

قالوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ هكذا قالوا، قالوا: ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾.

أي: ذو حظٍّ وافر من الدنيا وخفى على هؤلاء أيضًا أن الغنى غنى النفس

(١) أخرجه مسلم (٩١).

وأن الكرم التقوى وأن فضل الله على العباد بالإيمان خيرٌ من كل ذلك لقد قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

فالحاصل أن الذين يريدون الحياة الدنيا تمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون.

أهل العلم يقومون بما أوجبه الله عليهم من النصح والتذكير:

ولكن أهل العلم، وأهل الإيمان، وأهل التقوى ليسوا كذلك.

لقد قام أهل العلم بما أوجبه الله عليهم من النصح والتذكير والتعريف بمآل الدنيا الزائلة الفانية!!

فأهل العلم العاملون بعلمهم دائمًا منارات هدىً ودلالات خيرٍ لأممهم واتضح ذلك ها هنا من موقفهم المُشرِّف وقولهم الرشيد، ونصيحتهم الغالية لأمتهم، لما أُعجب قومهم بقارون وتمنوا أن لهم مثل ما أوتي قارون، ووصفوه بأنه ذو حظ عظيم، فهنالك وقف أهل العلم وقفتهم وقالوا كلمتهم وقفوا وقفتهم التي أوجبها الله عليهم من بيان للحق وعدم كتمانه، فقالوا محذرين، وبالله وبثوابه مذكرين، قالوا لهؤلاء الذين أخذتهم زخارف الحياة الدنيا وحطامها الفاني: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]. فذكَّروا قومهم وحذروا قومهم، وبينوا لقومهم فضل ثواب الله وفضل العمل الصالح.

فثواب العمل الصالح الذي هو الجنة ونيل رضوان الله خيرٌ من حُطام الدنيا الفاني الزائل.

وفضل الله على العبد بتوفيقه للأعمال الصالحة خيرٌ عند الله وأثوب من هذه الدنيا الفانية الزائلة.

ولكن لا ينال هذه المنزلة وهذه الخصلة، خصلةالعمل الصالح والمنزلة التي هي الجنة إلا الصابرون على طاعة الله الذين لم تغرهم الدنيا ولم تجرفهم الشبهات ولا الشهوات الصابرون كذلك عن المحرمات الممتنعون عنها وكذا

الصابرون على أقدار الله عَزَّوَجَلَّ المؤلمة هؤلاء هم الذين ينالون هذه المنزلة العلية والمقام الرفيع هؤلاء الصابرون هم الصابرون على رزق الله الذي رزقهم إياه، فلم يتطلعوا إلى الحياة الدنيا ولم يتطلعوا إلى زينة قارون التي خرج فيها بل صبروا على قسمة الله، وصبروا على الإيمان به وامتثال أمره وصبروا على جهالات الجاهلين واستخفاف المستخفين بهم. والله أعلم.

فماذا كان؟ ماذا كان من أمر قارون وقد خرج مختالًا فخورًا تحيط به الحواشي وتتقدمه المراكب وقد لبس أحسن الثياب وأجملها، وقد مُلئ كبرًا وغرورًا وفخرًا واختيالًا وتعاليًا واستكبارًا؟!!

ماذا كان والأنظار متجهة إليه ونفوس الضعفاء تواقةٌ إلى أن يكون لها مثل ما أوتي قارون؟

فجأة، وبلا مقدمات وربنا العزيز القادر القوي القهار، الجبار المنتقم!!

فجأة خسف الله عَزَّوَجَلَّ بقارون وبداره الأرض لقد شُقَّت الأرض من تحته وانفردت فغار فيها!!

غار فيها هو وكنوزه وأمواله!!

لقد انفرجت انفراجًا عظيمًا عميقًا عميقًا فابتلعت قارون وابتلعت داره بإذن الله وبتقديره، وقال البعض لقد انطبقت عليه وانهارت عليه وانهالت كذلك فأصبح بداخلها!!

ما استطاع أحدٌ أن ينقذه فعذاب الله أشد من طاقات البشر وأعظم لقد تردى ترديًا شديدًا مؤلمًا مُفزعًا.

لم يستطع النجاة ولم يستطع أحدٌ أن يتدخل لإنقاذه.

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾.

المعنى - والله أعلم- لم تكن له جماعة تنصره من دون الله، ولم يكن هو من المنتصرين لنفسه، أي: أنهم لم ينصروه ولم ينتصر.

هكذا انتهى أمر هذا الطاغي الباغي، وختم له بأسوإ ختام والعياذ بالله وهكذا مصائر الطغاة والجبابرة.

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، رُجِّل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**».

فنعوذ بالله من غضب الله وعقابه ونعوذ بالله من الكبر والفخر والخيلاء.

ولنرجع إلى الذين تمنوا مكانه بالأمس إلى الذين تمنى كل منهم أن يكون له مثل ما أوتي قارون إلى الذين زعموا أن قارون ذو حظ عظيم.

لقد رأوا بأعينهم ما حدث لقارون.

لقد رأوا مصارع الظالمين والطغاة والجبابرة.

قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

المعنى ـ والله أعلم ـ: وأصبح الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون من الثراء والمال والجاه والزينة، أصبح هؤلاء لما رأوا ما حلَّ به من العذاب ولما رأوا ما كان من خسفٍ به وبداره أصبحوا يتندمون على ما تمنوه ويقولون نعجب عالمين أن الله يوسع على من يشاء من عباده ويرزقه رزقًا واسعًا، ويضيق على من يشاء في الأرزاق، ثم ذكروا فضل الله ونعمته عليهم بقولهم: لولا أن تفضَّل الله علينا لخسف بنا، ونعلم ونؤمن أنه لا يسعد الكافرون ولا يظفرون بمطلوبهم ولا ينجون من مرهوبهم.

وتختم الآيات بتذكرةٍ لأصحاب العقول الرشيدة النيِّرة، فيقول تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

---

(١) البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

جعلنا الله من المتقين .. اللهم أمين.



قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣-٢٤٥]

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿أَلَمْ تَرَ﴾	ألم تعلم.
﴿أُلُوفٌ﴾	جمع: ألف[١] ـ وقيل: وهم مؤتلفون فيما بينهم لم يُخرجهم خلاف[٢].
﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾	خوف الموت[٣].
﴿يَقْبِضُ﴾	يقتر ويضيِّق على من يشاء، وقيل: يقبض يد من يشاء عن الإنفاق.
﴿وَيَبْسُطُ﴾	يوسِّع على من يشاء ، وقيل: يبسط يد من يشاء فيجعله ينفق.

المعنى الإجمالي للقصة المباركة وبيان ما فيها من العظات:

يُذَكِّر الله عَزَّوَجَلَّ بأنه لا يغني حذرٌ من قدرٍ وأن أمر الله عَزَّوَجَلَّ واقع لا محالة.

فهؤلاء قوم خرجوا من ديارهم خوفًا من الموت، وقيل: خوفًا من مرض الطاعون فلما خرجوا من بلدتهم واجتمعوا في مكان بعيدٍ عنها قال الله لهم:

---

(١) وعلى ذلك أكثر أهل العلم.

(٢) أشار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى شذوذ هذا القول: (القول بأنهم خرجوا مؤتلفين).

(٣) وقيل: خوف الموت بالطاعون.

﴿مُوتُواْ﴾ فماتوا جميعًا عن آخرهم، ماتوا جميعًا بكلمة: ﴿مُوتُواْ﴾!!

ماتوا جميعًا ثم أحياهم الله عَزَّوَجَلَّ!! ليعلموا أنه لا يغني حذرٌ من قدرٍ!!!ليعلموا أن الذي يحيي ويميت هو الله عَزَّوَجَلَّ!!! ليتعلموا دروسًا في حياتهم وليستفيدوا لآخرتهم!!

ففي إحيائهم بعد إماتتهم فضلٌ من الله عَزَّوَجَلَّ عليهم وفوائدُ لهم:

نعم في ذلك فوائد بل جملةٌ من الفوائد:

أولها: إثبات البعث والمعاد، فإذا علموا ذلك عملوا له، فكان في عملهم نجاة لهم من النار بإذن الله.

الثاني: تشجيع الناس على القتال في سبيل الله وبيان أنه لن يقدم أجلاً، ولن يؤخره، فإذا جاهدوا في سبيل الله نالوا جنة الله عَزَّوَجَلَّ.

الثالث: أنه سبحانه تفضل على الذين أحياهم بعد أن أماتهم: تفضل عليهم بإحيائهم ليعملوا صالحًا ويستغفروا من ذنوبهم، ويُذكر الناس بقدرته فيؤمنوا به فيدخلوا الجنة، جعلنا الله من أهلها.

وثمَّ أوجه أُخر، والعلم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا، ومع هذا الفضل فإن كثيرًا من الناس لا يقدمون شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ على نعمه عليهم.

وكما سلف فالقصة أُردفت بالحث على القتال إذ الله قال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ووجه ذلك أن يوضح للناس أن فرارهم من القتال لن يطوِّل أعمارهم، ولن يباعد آجالهم، وكذلك إقدامهم على الجهاد في سبيل الله لن يُقَدِّم آجالهم، وعلى هذا جاءت أقوال أهل العلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

المقصود من هذه الآية الكريمة، تشجيع المؤمنين على القتال بإعلامهم بأن الفرار من الموت لا ينجي، فإذا علم الإنسان أن فراره من الموت أو القتل لا

ينجيه ، هانت عليه مبارزة الأقران، والتقدم في الميدان، وقد أشار تعالى أن هذا هو مراده بالآية حيث أتبعها بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة:٢٤٤]، وصرح بما أشار إليه هنا في قوله: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:١٦] ، وهذه أعظم آية في التشجيع على القتال؛ لأنها تبين أن الفرار من القتل لا ينجي منه، ولو فرض نجاته منه فهو ميت عن قريب.

قلت (مصطفى): هذا ولما كان القتال في سبيل الله يحتاج إلى مالٍ ونفقةٍ جاء الحث على النفقة من الكسب الحلال الطيب، نفقةٍ غير متبوعة بالمن والأذى!

نفقة يراد بها وجه الله، لا يراد بها وجه أحدٍ سواه فقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وفي ختام الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تذكيرٌ بأن المال الذي في يدك يا ابن آدم هو فضلٌ من الله عليك ولو شاء لحرمك منه، فمن ثمَّ أنفق مما أعطاك الله!! وكذا فيه التحذير من إذهاب المال إذا لم تنفقه في طاعة الله.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيثيب المنفق المتصدق، ويعاقب البخيل.

وأعود إلى أصل القصة فأقول وبالله التوفيق: أخرج الطبري[1] بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارًا من الطاعون، قالوا: نأتي أرضًا ليس فيها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله: ﴿مُوتُواْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم، فأحياهم فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

(١) الطبري (٥٥٩٦، ٥٥٩٧).

يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

قلت: هكذا قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أما عن رسول الله ﷺ فلم أقف فيها على شيء ثابت عنه ﷺ ووجه إيرادي لها في توابع قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن جمهور المفسرين ذكروا أن هؤلاء الألوف هم من بني إسرائيل، وهم قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ - فالله أعلم.

NNO PMM

قصة طالوت وجالوت

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٥٢].

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمَلَإِ﴾	أشراف الناس ووجهائهم ورؤسائهم.
﴿تَوَلَّوْاْ﴾	أعرضوا عن الجهاد.
﴿ٱصْطَفَىٰهُ﴾	اختاره ـ فضله ـ خصَّه.
﴿ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾	العلامة والدلالة على كونه ملكًا.
﴿لَءَايَةً لَّكُمْ﴾	دلالة وعلامة لكم، (على صدق ما أخبرتكم به).
﴿فَصَلَ﴾	خرج.
﴿مُبْتَلِيكُم﴾	مختبركم.
﴿فِئَةٍ﴾	جماعة.
﴿بَرَزُواْ﴾	صاروا بالبراز من الأرض وهو المكان المتسع - ظهروا.

المعنى الإجمالي للقصة:

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف خوف الموت، وأنه سبحانه وتعالى أحياهم فاستبان بذلك أنه لا يغني حذر من قدرٍ وأن أمر الله نافذ ولا بد وأن القتال في سبيل الله لن يقدم أجلًا ولن يؤخره، ومن ثَمَّ جاء الحث على القتال لإعلاء كلمة الله، وعُقِّب ذلك بالحث على النفقة إذ هي من مستلزمات الجهاد جاء ها هنا التذكير بقومٍ من بني إسرائيل سألوا نبيًّا لهم فرض القتال، وأن يكلفوا به بل ويؤمروا به ويفرض عليهم.

أما عن هذا النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ واسمه فلم يرد اسمه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا في سنة رسول الله ﷺ، والعبرة حاصلة على كل حال سواء ذكر اسمه أم لم يذكر ولو كان في ذكر اسمه فائدة لذكره الله عَزَّوَجَلَّ، والله تعالى أعلم.

وعلى أية حالٍ فإنهم سألوا نبيهم أن يفرض عليهم الجهاد وقد يُفرض

الجهاد على قوم ولا يقومون بما فرضه الله عليهم وقد يتمنى قومٌ الجهاد فإذا حضروا ساحات الوغى ورأوا الرقاب تُقطع والدماء تسيل والأنفس تُزهق والرؤوس تهشم والأيدي والأرجل تتطاير، إذا رأوا ذلك ولوا الأدبار فيحلَّ عليهم من ثمَّ العذاب، إذ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

وقد قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ ﴾ [النساء:٧٧].

فقد أخرج النسائي [(١)] بإسناد صحيح إلى ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن عبد الرحمن ابن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عزٍّ ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فقال: «**إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا**» فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفُّوا فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء:٧٧].

فلهذا نُهينا عن تمني لقاء العدو فقد أخرج البخاري ومسلم [(٢)] من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا**».

وفي «الصحيحين» نحوه من حديث أبي هريرة [(٣)] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا.

---

(١) النسائي (٦/ ٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٦)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٢٤، ٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٢٦)، ومسلم (حديث ١٧٤١).

ولا ينسحب هذا على تمني الشهادة فتمني الشهادة مستحب، وفي الباب حديث: «**من سأل الله الشهادة بصدق؛ بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»[(١)] .

فلو أن الشخص فعل ما كلِّف به لكان أولى له من أن يسأل ما قد لا يحتمله!!

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

وفي أمور الدنيا أشياء كهذا، فلو أن بنَّاءً يبني جدارًا وارتفع به عشرة أمتار في أول يوم بناه فإنه يسقط في نفس اليوم أو من غده!!، ولكنه يبني مترًا مثلًا ثم يتركه يقوى ويتماسك ثم يرفع البناء شيئًا فشيئًا آخذ الاحتياطات التي تمنعه من السقوط.

أرجع إلى قصة الملأ من بني إسرائيل –جماعة بني إسرائيل وأشرافهم في زمانهم– وماذا كان لما سألوا نبيهم أن يبعث وأن يختار منهم ملكًا يقاتلون تحت رايته في سبيل الله لإعلاء كلمة الله؟!!

لقد ذكرهم نبيهم، وحق لهم أن يذكِّرهم نبيهم لقد قال لهم وبيَّن ونصح: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾؟

قد يحصل ويكتب عليكم القتال ولكنكم قد تنكلوا عن الجهاد وتنصرفوا

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ١٩٠٨)، من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تصبه**».

وأخرج أيضًا من طريق سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» (حديث ١٩٠٩).

عنه!

فأصروا على طلبهم ومضوا قُدمًا فيه فقالوا: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما الذي يمنعنا من القتال ويجعلنا نتردد فيه وننكل عنه ونتخلف، ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ أي وقد طُرد فريق منا من ديارهم وسُبي أبناؤهم، أي أُخذوا وأصبحوا عبيدًا.

فهكذا أصروا على أن يُفرض عليهم القتال!! فكتب عليهم القتال فماذا كان منهم؟!!

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

هكذا تولوا عن الجهاد وتركوا لما فُرض عليهم!! إلا القليل منهم الذي ثبت!!

وهذا شأن كثير من بني إسرائيل مع أنبيائهم عليهم السلام ودأبهم (إلا من رحم الله) التخاذل كما قال أسلافهم لنبي الله وكليمه موسى عليه السلام ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾.

فالحذر الحذر من أن يطلب الشخص شيئًا يفعله ثم ينكل عن العمل وهو قادر عليه.

أعود قائلًا: وهذه الفئة القليلة التي لم تتول في ظاهر أمرها اختُبرت هي الأخرى، لقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ فقد طلبتم ملكًا تقاتلون تحت رايته لإعلاء كلمة الله فها هو طالوت قد ملّكه الله عليكم وبعثه لكم ملكًا فماذا كان منكم تجاه تعيين طالوت ملكًا عليهم؟!!

لقد اعترضوا على تعيين طالوت واختياره ملكًا مع أن نبيهم قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ أي أن الاختيار ليس لي، إنما هو لله سبحانه فهو الذي بعث طالوت ملكًا!

ومع ذلم لم يقنعوا بل قالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ من أي وجه يستحق أن يكون ملكًا علينا؟!! وما الفضل الذي له علينا؟!!

وبماذا يمتاز علينا حتى يكون ملكًا؟؟

ونحن أحق بالملك منه!!

نحن الوجهاء!! نحن الأشراف – نحن الأغنياء!! فمن أي وجه فضل علينا حتى يكون ملكًا علينا؟!!

هكذا اعترضوا (إلا من رحم الله) على تمليك طالوت عليهم قائلين: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ أي أنه فقير ليس بغني بل نحن أغنى منه وأعلى قدرًا؟!!

فأكَّد عليهم نبيهم أن الاختيار ليس لي إنما هو لله سبحانه وتعالى فعال لما يريد، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ إن الله اختاره من بينكم، فليس لي ولا لكم حق في الاعتراض، فالمعترض سيعترض على الله ﷻ! ثم بين لهم نبيهم عليه السلام بعض أسباب هذا الاختيار!! بعض الأسباب الظاهرة كي يقنعوا بها فقال: ﴿وَزَادَهُۥ﴾ أي: وزاده الله ﷻ عنكم ﴿بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ أي أنه قويٌّ وعالمٌ؛ عالم بالحروب وقويٌ فيها فضلًا عن ديانته وأمانته فالذي اصطفاه هو الله ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ عليم بمن يستحق أن يكون ملكًا وعليم بكل شيء.

ثم أكَّد لهم نبيهم أن الاختيار ليس من عند نفسه، بل من الله ﷻ، هو وحده الذي اختار طالوت وبعثه ملكًا، وها هي الأدلة الظاهرة أيضًا على ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ أي: العلامة والدلالة على أن الله ﷻ هو الذي جعله ملكًا عليكم ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾.

أي أن العلامة على أن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعله ملكًا أن يأتيكم التابوت.

ما المراد بالتابوت؟

التابوت صندوق، لكن ما هي صفة التابوت الوارد في الآية، الله أعلم بها، فلم أقف على تفصيلها في شيء من الكتاب أو السنة[١].

منها: أن السكينة روحٌ، أو شيء له روح، وأنها تنزل مع الملائكة؛ وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[٢]، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبيﷺ فذكر ذلك له فقال: «**تلك السكينة تنزلت بالقرآن**»، وفي رواية: «**للقرآن**».

۞ وفي رواية لمسلم[٣] من حديث أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول اللهﷺ فقلت: يا رسول الله....، فذكر الحديث، وفيه: أن النبيﷺ قال له: «**تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**».

فعلى هذا رأى فريق من أهل العلم أن رواية البراء فيها: «السكينة»، ورواية أبي سعيد فيها: «الملائكة»، قالوا: فدل ذلك على أن السكينة تنزل مع الملائكة.

۞ **ومن العلماء من قال:** إن التابوت لما جاء سكنت نفوس القوم إلى ملك

---

(١) وإن كان بعض أهل العلم ذكر أن بني إسرائيل كانوا يستفتحون بهذا التابوت فغلبوا عليه وسلبهم عدوهم إياه فكانوا يتشاءمون ببعده عنهم، فالله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ج٩/ ص٥٧)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٨٢).

(٣) أخرجها مسلم (مع النووي ٦/ ٨٢)، وعند البخاري معلقًا (٩/ ٦٣)، وأحمد (٣/ ٨١).

طالوت وذهب الشك الذي كان بأنفسهم.

۞ ورجح الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ أنها (أي: السكينة) ما تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها، فالله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ فلم أقف على دليل ثابت عن رسول الله ﷺ يوضح تلك البقية، ومن العلماء من قال : إنها عصا موسى، ومنهم من قال: إنها رضاض الألواح، ومنهم من قال: هي بعض ما تركه آل موسى وآل هارون من ثياب.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد أن أورد جملة آثار في هذا الباب ـ :

وجائز أن تكون تلك البقية: العصا، وكِسَر الألواح،و التوراة ، أو بعضها ، والنعلين، والثياب، والجهاد في سبيل الله،وجائز أن يكون بعض ذلك، وذلك أمرٌ لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم. ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا. ،وإذ كان كذلك، فغير جائز فيه تصويب قولٍ وتضعيف آخر غيره، إذ كان جائزًا فيه ما قلنا من القول.

قلت (مصطفى): وهذا التابوت الذي فيه سكينةٌ من الله عَزَّوَجَلَّ وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، يأتي والملائكة تحمله، يراها الناس عيانًا، يراها الناس تمشي حاملة التابوت حاملة هذا الصندوق، كل ذلك كدليل لبني إسرائيل على أن الله عَزَّوَجَلَّ بعث لهم طالوت ملكًا فقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ﴾ لدلالة لكم على صدق نبيكم فيما أخبركم به من أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي بعث طالوت ملكًا، هذا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مصدقين ومنتفعين بهذه الآية.

فهكذا استقر الأمر، على أن طالوت عَلَيْهِ السَّلَامُ ملك عليهم، وأن الذي بعثه هو الله سبحانه وتعالى فخرج طالوت بمن وافق على القتال معه، وبمن أيقنوا أن الله



عَزَّوَجَلَّ بعثه ملكًا، خرج طالوت بكل هؤلاء للجهاد في سبيل الله، لقتال أعداء الله، لإعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ وثمَّ اختبار للمجاهدين بين يدي الجهاد!! وهل سيصبرون على الجهاد أم لا؟!!

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ خرج من البلاد متجهًا للغزو ﴿بِٱلْجُنُودِ قَالَ﴾ لهم طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ مختبركم بنهر تمرون عليه ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فلن يتبعني في الجهاد معي، فإنه إذا عجزك الشخص عن الصبر على شرب المياه برهة يسيرة من الزمن، فحريٌّ به أن لا يثبت عند قتال الأعداء.

قال طالوت: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ ومن لم يتذوق ماء النهر فإنه من جنودي الذين يخرجون معي للغزو ويقاتلون معي ضد أعداء الله!

فماذا كان؟! ماذا كان من بني إسرائيل الذين خرجوا مع طالوت للقتال واختبروا بالنهر وبالشرب منه؟!! شرب أكثرهم من النهر كما قال تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فالقليل لم يشرب، والأكثرون قد شربوا، فمن ثَمَّ رجع الأكثرون ولم يشاركوا في القتال مع طالوت!! فجاوز طالوت النهر، وأبقى على من لم يشربوا من النهر وردَّ الآخرون الذي قد شربوا!!

وهكذا يحدث التمحيص وتحصل التصفية بالابتلاء.

فأولًا: لما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلًا منهم.

وثانيًا: لما بُعث طالوت ملكًا اعترض من اعترض وقالوا: نحن أحق بالملك منه.

وثالثًا: لما مروا بالنهر -أعني الذين وافقوا على القتال اختبروا بالشرب منه، فشربوا منه إلا قليلًا منهم.

تصفيةٌ بعد تصفيةٍ بعد تصفيةٍ!!!

فكان الذين تجاوزا النهر ونجحوا في الاختبارات وهيؤوا للقتال وكانوا قلةً قليلة بالنسبة لأعدائهم وعددهم.

أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما[(١)] قال: حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم -ممن شهد بدرًا- أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر: بضعة عشر وثلاثمائة، قال البراء: لا والله، ما جاوز النهر إلا مؤمن.

وماذا كان من أمر هذه القلة القليلة التي تجاوزت النهر ولم تشرب منه؟!!

ماذا كان منهم لما واجهوا جالوت ذلكم الطاغية المتكبر ومعه جنوده الجبابرة المتكبرون الكثر؟! فلا مقارنة من ناحية العدد بين جند طالوت المؤمن وبين جند جالوت الكافر. فجندُ طالوت أكثر عددًا بكثير.

وحينئذٍ، ولما تراءت الفئتان قال أكثر أصحاب طالوت: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ لا قدرة لنا اليوم على مواجهة جالوت وجنوده، وحينئذٍ ظهر إيمان المؤمنين، وثبات من ثبتهم الله عز وجل، لقد قاموا وقالوا مقولتهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ والظن هنا بمعنى: اليقين والعلم، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠].

فليس معناه الشك في لقاء الله، ولا في الحساب بل هم أهل إيمان ويقين والظاهر أيضًا أن الذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده كانوا مؤمنين أيضًا.

ولكنهم أقل إيمانًا من القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والدليل على أنهم أهل إيمان أنهم تجاوزوا النهر مع طالوت[(٢)]، وقد قال البراء:

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٧).

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٧٣٦) أنه قال: ويكون المؤمنون بعضهم أفضل جدًّا =

وما جاوزه (أي: وما جاوز النهر) إلا مؤمن.

أعود قائلًا: لقد قال أهل الإيمان وأهل الثبات الذين ثبتهم الله عَزَّوَجَلَّ وتولاهم، قالوا مقولتهم الدالة على إيمانهم وثباتهم.

لقد قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

فحقًّا النصر من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وقد ينصر الله القليل على الكثير!!

والله مع الصابرين يؤيدهم ويحفظهم وينصرهم ويختار لهم كل خير.

وماذا كان عند بداية الحرب؟ ماذا كان عند بروزهم لجالوت وجنوده؟!

ماذا كان من أهل الإيمان عندما التقى الجمعان؟!!

لقد قال أهل الإيمان: لما واجهوا جالوت وجنوده: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أنزل علينا يا ربنا الصبر، فالصبر من عند الله، والصابر من صبَّره الله عَزَّوَجَلَّ وسألوا الله أيضًا الثبات إذ قالوا: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ فالذي يثبت الأقدام هو الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ هكذا سألوا الله عَزَّوَجَلَّ النصر فالنصر من عنده لا من عند أحدٍ سواه!!!

ويا نعم ما صنعوا!!

ويا حسن ما فعلوا!!

لقد استعانوا بالله وسألوه ودعوه وارتجوه!! ولن يخيب الله ظن من دعاه!

ولن يضيع الله من سأله وارتجاه!!

لقد مكن الله عَزَّوَجَلَّ أهل الإيمان من رقاب أعدائهم لقد نصر الله طالوت ومن معه على جالوت؛ وجماعته قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

هزموهم والذي نصر وحفظ وسلَّم هو الله ولم يكونوا –أعني طالوت ومن

= وعزمًا من بعض وهم مؤمنون كلهم.

معه- لينتصروا إلا إذا نصرهم الله!!

فالحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله.

لقد نصر الله طالوت ومن معه على الفئة الباغية الكافرة!!

وأيضًا لقد مكَّن الله عَزَّوَجَلَّ جنديًّا من جند طالوت الأقوياء المؤمنين الفضلاء الذين جاوزوا النهر وأحسنوا الاستعانة بالله مكنه الله من قتل جالوت!

وهذا الجندي آنذاك هو داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أصبح نبيًّا كريمًا بعد ذلك.

قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أصبح داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ملكًا ونبيًّا وعالمًا بصناعات الدنيا.

فالمراد بالملك هنا السلطان، والمراد بالحكمة النبوة، أماالعلم الذي علمه الله نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فمنه ما ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء:٨٠]، فعلمه الله صناعة الدروع، وكما قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ [سبأ:١١]، إلى غير ذلك من أنواع العلوم الدينية والدنيوية، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾

فمعناه -والله أعلم-: أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي، فلولا أن هناك مصلحين يدفع الله بهم فساد المفسدين لأهلك الله الناس بذنوبهم.

وأيضًا يدفع عن قوم بدفاع آخرين عنهم كما وقع لبني إسرائيل فدفع الله بمقاتلة طالوت ومن معه من أهل الإيمان شرور جالوت وجنوده.

والآية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:٤٠].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني تعالى ذكره بذلك: ولولا أن الله يدفع ببعض

الناس ـ وهم أهل الطاعة له والإيمان به - بعضًا - وهم أهل المعصية لله والشرك به ـ كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له، وقد أعطاهم ما سألوا ربَّهم ابتداءً، من بَعْثِهِ ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله ـ بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر، جالوت وجنوده ـ ﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١]، يعني: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض ـ ولكن الله ذو مَنٍّ على خلقه وتطولٍ عليهم، بدفعه بالبرِّ من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر.

وهذه الآية إعلامٌ من الله تعالى ذكره أهلَ النفاق الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، المتخلفين عن مشاهده والجهاد معه للشك الذي في نفوسهم ومرض قلوبهم، والمشركين وأهل الكفر منهم، وأنه إنما يدفع عنهم معاجلتهم العقوبة على كفرهم ونفاقهم بإيمان المؤمنين به وبرسوله، الذين هم أهل البصائر والجد في أمر الله، وذوو اليقين بإنجاز الله إياهم وعده على جهاد أعدائه وأعداء رسوله، من النصر في العاجل، والفوز بجنانه في الآجل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أنه سبحانه له الفضل على خلقه بتسليط قوم على قوم ظالمين حتى يندفع شرهم فقد يكون هناك من يريد الإفساد في الأرض، فيفسد فيتسلط عليه آخر أشد منه فيمنعه من الظلم وتسلم البلاد ويسلم العباد.

أما قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

فحاصل معناه: أن هذه القصص التي قصصناها عليك بما تحمله من معجزات ودلالات على قدرة الله عَزَّوَجَلَّ نقصها عليك بالحق كي تتلوها على قومك لعلهم يتذكرون ويتعظون بها وسواء اتعظوا بها أم لم يتعظوا فإنك رسول

من عند الله حقًّا.

هذا وقد قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: تعالى ذكره بقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٢]، هذه الآيات التي اقتص الله فيها أمر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وأمر الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الذين سألوا نبيهم أن يبعث لهم طالوت ملكًا، وما بعدها من الآيات إلى قوله: ﴿.. وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١].

ويعني بقوله: ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٢]، حججه وأعلامه وأدلته.

يقول الله تعالى ذكره: فهذه الحجج التي أخبرتك بها، يا محمد، وأعلمتك ـ من قدرتي على إماتة من هرب من الموت في ساعة واحدة وهم ألوف ، وإحيائي إياهم بعد ذلك، وتمليكي طالوت أمر بني إسرائيل بعد إذ كان سقاء أو دباغًا من غير أهل بيت المملكة ، وسلبي ذلك إياه بمعصيته أمري، وصرفي ملكه إلى داود لطاعته إياي، ونصرتي أصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعف شوكتهم على جالوت وجنوده مع كثرة عددهم وشدة بطشهم ـ حججي على من جحد نعمتي، وخالف أمري، وكفر برسولي من أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، العالمين بما اقتصصت عليك من الأنباء الخفية التي يعلمون أنها من عندي، لم تتخرصها ولم تتقولها أنت يا محمد، لأنك أميٌّ ولست ممن قرأ الكتب فيلتبس عليهم أمرك، ويدَّعوا أنك قرأت ذلك فعلمته من بعض أسفارهم ـ ولكنها حججي عليهم أتلوها عليك ، يا محمد، بالحق اليقين كما كان ، لا زيادة فيه ولا تحريف ولا تغيير شيء منه عما كان ـ ﴿وَإِنَّكَ﴾ [البقرة:٢٥٢]، يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، يقول: إنك لمرسل متبع في طاعتي وإيثار مرضاتي على هواك، فسالك في ذلك من أمرك سبيل من قبلك من رسلي الذين أقاموا على أمري، وآثروا رضاي على هواهم، ولم تغيرهم الأهواء ومطامع الدنيا، كما غيَّر طالوتَ

هواه وإيثارُه ملكه على ما عندي لأهل ولايتي، ولكنك مؤثر أمري كما آثره المرسلون الذين قبلك.

قصة أصحاب السبت[1]

(القرية التي كانت حاضرة البحر)

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٨].

---

(١) وهذا مزيد من الإيضاح يتعلق بـ(السبت):

المراد بالسبت في الآية الكريمة: يوم السبت الذي يلي يوم الجمعة، أما أصل السبت فقد ورد في (لسان العرب): السَّبت والسُّبات: الدهر، والسَّبتُ أيضًا برهة من الدهر، والسَّبتُ كذلك الراحة، وسبت استراح وسكن.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصل (السبت) الهدو والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم (مسبوت) لهدوه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) [النبأ: ٩]، أي: راحة لأجسادكم، وهو مصدر من قول القائل: (سبت فلان يسبت سبتًا).

وقد قيل: إنه سُمِّي (سبتًا)؛ لأن الله جلَّ ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم الذي قبله من خلق جميع خلقه.

بعض معاني المفردات الواردة في هذه القصة:

الكلمة	معناها
﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾	مجاورة البحر – على شاطئ البحر.
﴿يَعْدُونَ﴾	يخالفون أمر الله – يعتدون – يصطادون في الوقت المحرم الذي يتجاوزون الحدَّ فيه ويخالفون أمر الله فيه.
﴿فِي ٱلسَّبْتِ﴾	يوم السبت.
﴿حِيتَانُهُمْ﴾	جمع حوت – وكذا الأسماك.
﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾	يوم راحتهم (اليوم الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه).
﴿شُرَّعًا﴾	ظاهرة على وجه الماء رافعة رؤوسها من كل طريق وناحية.
﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾	يوم لا يُحَرَّمُ عليهم العمل – لا يدخلون في السبت – لا يدخلون في يوم الراحة.
﴿نَبْلُوهُم﴾	نختبرهم – نشدِّد عليهم في العبادة.
﴿يَفْسُقُونَ﴾	يخرجون عن الطاعة – يعصون.
﴿أُمَّةٌ﴾	جماعة.
﴿تَعِظُونَ﴾	تُذكِّرون – تأمرون وتنهون – تخوِّفون.
﴿مُهْلِكُهُمْ﴾	مُميتهم.
﴿مَعْذِرَةً﴾	اعتذارًا (نعتذر إلى الله) وقيل: (معذرةٌ) بالضم؛ أي: هذه معذرةٌ أو هذا عذر نعتذر به إلى الله.
﴿يَتَّقُونَ﴾	يبتعدون عن الحرام – يتقون المعاصي – يتركون ما هم عليه من المعصية.
﴿نَسُوا﴾	تركوا.
﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾	وُعِظُوا منه.
﴿ٱلسُّوٓءِ﴾	

الكلمة	معناها
﴿بَئِيسٍ﴾	المنكر – المعصية – المُحرَّم.
﴿عَتَوْا﴾	شديد – عظيم – أليم – موجع.
	تمردوا – استحلُّوا ما حرَّم الله – استكبروا عن قبول الحق –
﴿قِرَدَةً﴾	تمادَوا في الغيِّ.
﴿خَاسِئِينَ﴾	جمع قردٍ.
﴿تَأَذَّنَ﴾	مطرودين – مُبعدين عن الخير – مُهانين ذليلين – حقيرين.
﴿يَسُومُهُمْ﴾	أَخْبَرَ – أَعْلَمَ.
﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	يُذِيقُهُم.
	أسوأ العذاب.

وبين يدي هذه القصة

أقول وبالله التوفيق: لقد حرَّم الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل الصيد يوم السبت، وغلَّظ عليهم في ذلك وشدد، ونهى أشد النهي عن الاعتداء يوم السبت.

ولقد كان هذا النهي شديدًا!!، والميثاق عليه غليظًا.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤].

لقد أُخِذَ عليهم هذا الميثاق على لسان أنبيائهم، وبين لهم الأنبياء –عليهم السلام– خطورة نقض العهد والميثاق أكمل بيانٍ وأتم بيان!!

لقد حذَّروهم أشد التحذير من الاعتداء يوم السبت!!

ولكن ماذا كان من بني إسرائيل الذين غلب عليهم الشر والفساد؟!!

ماذا كان من هؤلاء الذين أَبَوْا إلا الشقاق والعناد؟!!

لقد نقضوا العهد والميثاق!! لقد ارتكبوا ما نهاهم الله عنه، ووقعوا في المحظور عن علمٍ وعن عمدٍ!!

فمن ثَمَّ حل بهم من البلاء والعذاب والنكد والمسخ ما حل، ونزل بهم من العقاب ما نزل..

لقد مُسخوا –عياذًا بالله– فأصبحوا قردة!

بل؛ ولعصيانهم أيضًا تحول فريق منهم إلى خنازير!!

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

[الأعراف: ١٦٦]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

ولقد كان يهود المدينة ومن حولها يتكاتمون ذلك، ولا يظهرون ما حل بأسلافهم من النكال ومن العقاب، حتى لا يعيرهم معير، ولا يوبخهم موبخ.

بل، ولقد كان بعضهم يوصي بعضًا بهذا الكتمان، وإذا أفشى بعضهم ذلك أو شيئًا مما كتموه من العقوبات التي أنزلها الله بهم لاموه وعاتبوه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦].

إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ كشف كثيرًا من أستارهم، وبيَّن كثيرًا من فضائحهم وأسرارهم، ولكن رحمة منه بعباده، وسترًا منه عليهم لم يُبين كل شيء صنعوه، بل ستر عليهم أشياء أيضًا.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾ .

[المائدة: ١٥]

وكان مما بينه الله عَزَّوَجَلَّ وأظهره أمر المعتدين يوم السبت، وما حل بهم، وأوضح أن اليهود الذين كانوا يساكنون رسول الله ﷺ المدينة أو يجاورونها يعرفون ذلك، ولكنهم يتكاتمونه عن علم وعن عمد.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥].

أي أن أمرهم لا يخفى عليكم ومسخهم لا يغيب عنكم.

فإلى هذه القصة التي أظهرها الله عَزَّوَجَلَّ لليهود وللمسلمين، وكان اليهود يخفونها:

لقد أمر الله نبيه ﷺ أن يسأل اليهود عنها سؤال توبيخ وتقرير، لعلهم يذكرون، لعلهم يتعظون، لعلهم أيضًا يصدقون نبوته، فكيف وهو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، كيف يخبرهم بهذه الأخبار، ويقص عليهم تلك القصص.

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾(١).

اسأل هؤلاء اليهود عن أهل هذه القرية، تلك القرية التي كان يسكنها أسلافهم، اسألهم عن القرية وما حلَّ بأهلها بعد صنيعهم الذي صنعوا!!

أما عن القرية وأي قرية هي؟!! فلم يصح بذلك خبر عن النبي ﷺ.

ولقد قيل: إنها أيلة، وقيل: إنها مدين، وقيل غير ذلك.

فالله أعلم، والعبرة –ولله الحمد- حاصلة على كل حال لمن أراد الله به خيرًا.

والحاصل أنها كانت قرية مجاورة للبحر، على شاطئ البحر أغلب عمل أهلها الصيد!!

ولقد تفشى فيهم الفسق، وارتكبوا كثيرًا من المحرمات، فابتلاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بسبب فسقهم هذا استدراجًا لهم بعد إمهالٍ، وكثيرًا ما يبتلى الفساق، يبتلون حتى يقعوا في المعاصي والكبائر، فيأخذهم الله بالعذاب.

ولقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

لقد ابتلاهم الله بابتلاء عجيب، قلَّ من يتفطن له من الناس!!، وقلَّ من يدرك منهم أنه ابتلاء!!

إن المريض قد يعلم أن الله ابتلاه بالمرض!!

والفقير قد يعلم أن الله ابتلاه بالفقر!!

والذي أصيب بخسارة في ماله قد يعلم أن الله ابتلاه بذلك!!

لكن كثيرًا من الأغنياء لا يشعرون أنهم في ابتلاء بالغنى!!

---

(١) كذا، (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ)، والمراد السؤال عن أهلها بدليل السياق، وهي كقوله تعالى: (وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا) أي: اسأل أهل القرية التي كنا فيها.

وكثيرًا من الأصحاء لا يشعرون أنهم في ابتلاء بالعافية!!

وكثيرًا ممن رُزقوا بالجاه والولد لا يشعرون أنهم في ابتلاء بهذا!!

وهناك ابتلاء عجيبٌ قل من يتفطن له، منه هذا الابتلاء الذي ابتلى به أهل هذه القرية.

إنه ابتلاء بتيسير أسباب المعصية!!

وذلك بتمكين الشخص منها، ليُعلم أيرتكبها ويقع فيها، أم أنه يقاوم مستعينًا بالله حتى ينجو ويسلم.

إن هذا الابتلاء بتيسير أسباب المعصية قد ذكَّرنا الله سبحانه وتعالى به في عدة آيات ومواطن من كتابه العزيز، ولكن ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فمن تلك الابتلاءات بتيسير أسباب المعصية قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ ...الآية.

[المائدة: ٩٤]

وقول طالوت لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ﴾.

[البقرة: ٢٤٩]

وسيأتي لذلك مزيد بيان في الفوائد المستنبطة من هذه القصة -إن شاء الله تعالى-.

أما عن هذا الابتلاء الذي ابتُلي به أصحاب القرية: فلقد كانوا يخرجون لعملهم كصيادين في أيام الأسبوع -سوى السبت- فيطرحون الشباك في البحر، فتهرب الحيتان، ولا يُرى لها أثر، وتخرج الشباك كما طُرحت ليس فيها سمكة واحدة، هكذا في كل أيام الأسبوع سوى السبت، أما يوم السبت الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه، فإن الأسماك كانت تأتيهم من كل صَوْبٍ وحَدَبٍ، تأتي شارعة ظاهرة على وجه الماء!!

حيتانٌ عظيمة تأتي فُرادى وجماعات!!

تأتي ويضربها ضوء الشمس فتلمع في ضوء الشمس كالفضة!!

بل ومن العلماء من قال: إنها كانت ترمي بنفسها أحيانًا على البر، كأنها تقول لهم: (خذوني، خذوني)!!

فماذا يصنع القوم أمام هذا الاختبار؟!!

إن الحيتان تأتيهم في اليوم الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه! وتختفي تمامًا في سائر الأيام!

فماذا يصنعون؟!!

لقد احتال منهم المحتال -كما قال بعض العلماء- نصب الشباك يوم الجمعة، فوقعت فيها يوم السبت، ثم أخذها يوم الأحد!! كذا قال البعض.

وآخرون لم يبالوا أصلًا بحرمة يوم السبت، فاصطادوا يوم السبت، وارتكبوا المحرمات، ووقعوا في المحظور، فماذا كان؟!!

انقسم أهل القرية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهم الأكثر والأغلب والأعم اعتدوا يوم السبت.

القسم الثاني: فريق موفَّق مبارك قام ينهى عن المنكر، ويعظ ويُذكِّر.

القسم الثالث: لم يقع في المحظور، ولم ينه عن المنكر، وهم الساكتون.

سكتوا، بل وقالوا للفئة الموفَّقة الناهية عن المنكر: لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذِّبهم عذابًا شديدًا؟!!

هكذا انقسم أهل القرية إلى هذه الأقسام[1].

---

(١) **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضًا، يا محمد﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ

=

وترى ماذا كان من أمر هذه الأقسام الثلاثة وما مصيرهم؟!!

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾. أما المراد بالنسيان[1] هنا فهو الترك والإعراض، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾: أي فلما ترك هؤلاء الأثمة الظلمة المعتدون التذكرة فلم يقبلوها وأعرضوا عن الموعظة فلم يستمعوها ولم يبالوا بنصح الناصحين، ولا بتذكير المذكِّرين، واستحلوا ما حرم

= ﴿مُهْلِكُهُمْ﴾، في الدنيا بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمره، واستحلالهم ما حرم عليهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، في الآخرة، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبين لهم عن قولهم: عظتنا إياهم معذرةٌ إلى ربكم، نؤدِّي فرضه علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، يقول: ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه، فينيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه، وتعدِّيهم على ما حرّم عليهم من اعتدائهم في السبت.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ ارْتَكَبَتِ الْمَحْذُورَ، وَاحْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَفِرْقَةٌ نَهَتْ عَنْ ذَلِكَ، وَاعْتَزَلَتْهُمْ. وَفِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ وَلَمْ تَنْهَ، وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْمُنْكِرَةِ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ أَيْ: لِمَ تَنْهَوْنَ هَؤُلَاءِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ هَلَكُوا وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ مِنَ اللَّهِ؟ فَلَا فَائِدَةَ فِي نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ. قَالَتْ لَهُمُ الْمُنْكِرَةُ: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قَرَأَ بَعْضُهُمْ بِالرَّفْعِ، كَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِهِ: هَذِهِ مَعْذِرَةٌ وَقَرَأَ آخَرُونَ بِالنَّصْبِ، أَيْ: نَفْعَلُ ذَلِكَ ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أَيْ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يَقُولُونَ: وَلَعَلَّ بِهَذَا الْإِنْكَارِ يَتَّقُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَيَتْرُكُونَهُ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ، فَإِذَا تَابُوا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ.

(١) وكثيرًا ما يرد النسيان بمعنى الترك، كما في قوله تعالى: (نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)، وكما في قوله تعالى: (فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا).

هذا؛ وقد قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: فلما تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم، ترك الناسي للشيء، وأعرضوا عنه إعراضًا كليًّا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلًا.

الله عَزَّوَجَلَّ من صيد السمك وأكله، أنجى الله عَزَّوَجَلَّ الفئة الصالحة الناهية عن المنكر، فحفظها وسلمها، وأحل بأهل الظلم والاعتداء المجاوزين لحدود الله، المنتهكين لمحارمه عذابًا شديدًا بئيسًا لفسقهم وخروجهم من الطاعة إلى المعصية.

لقد عُذِّبوا عذابًا شديدًا لتماديهم في الغي والشر والفساد، بل لقد تحولوا – عياذًا بالله – إلى قردة.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾.

أي: فلما أعرض هؤلاء القوم الذين اعتدوا في السبت عن الذكرى، ولم يقبلوها، وتمادوا في غيهم وعصيانهم، واستحلوا ما حرمه الله عليهم.

مسخهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ أي مُبعَدين عن الخير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما تمردوا، فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت، واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك، وأكله، وتمادوا فيه، ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾، أي بُعداء من الخير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: لما مرد القوم على المعصية ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾، فصاروا قردة لها أذناب تعاوى، بعدما كانوا رجالًا ونساءً.

هذا؛ وقد قيل: إن شباب القوم صاروا قردة، وأن المشيخة صاروا خنازير، فالله أعلم...

قلت: فهكذا أنجى الله الناهين عن المنكر، وعذب العصاة المعتدين.

أما الفئة الثالثة الساكتة التي لم تقع في المحظور ولم تباشره، والتي لم تنه عن المنكر، فما مصيرها؟

قال بعض أهل العلم: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يذكرها ها هنا؛ لأنها لا تستحق أن تذكر، لكونها سكتت، فسُكِتَ عن ذكرها.

وقال آخرون: إنهم عُذِّبوا مع من عذب. وذهب فريق ثالث من العلماء إلى أنهم نجوا وسلموا؛ وذلك لأن الله قال: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾. وهؤلاء الساكتون لم يقعوا في الظلم.

وأيضًا لأن الله قال: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾، وهؤلاء –أعني الساكتين– ما عَتَوْا، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾، أي: فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾، فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو الناجين.

فهكذا مصير هذه الأقسام وهؤلاء الأقوام:

الناهون عن المنكر سلمهم الله وحفظهم.

مرتكبو الجرائم المعتدون أهلكهم الله وعذبهم ومسخهم وحولهم إلى قردة.

الساكتون سُكت عنهم.

فسبحانك اللهم، فأنت الله لا إله إلا أنت!!

ثم هذه بعض الآثار الواردة عن السلف الصالح في شأن أصحاب السبت:

وابتداءً، فلم أقف على أي خبر ثابت عن رسول الله ﷺ في شأن أصحاب السبت.

أما عن الآثار عن الصحابة والتابعين فمنها ما صح، ومنها ما هو ضعيف.

أخرج الطبري[١] **بإسناد ضعيف عن عكرمة قال:** جئت ابن عباس يومًا وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدَّمت فجلستُ، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس، جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات! قال: وإذا هو في سورة الأعراف، قال: تعرف أيلة! قلت: نعم! قال: فإنه كان حيّ من يهود، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغُوصوا، بعد كدٍّ ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرعًا بيضًا سمانًا كأنها الماخض، تنبطحُ ظهورُها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه، وكلوها في غيره من الأيام! فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نُهيتم عن أكلها وأخذِها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك، حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين، وتنحَّت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت. وقال الأيمنون: ويلكم! اللهَ، اللهَ، ننهاكم أن تتعرّضوا لعقوبة الله! وقال الأيسرون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ قال الأيمنون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾! أي: ينتهون، فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم، يا أعداء الله! والله لا نُبَايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بالعذاب! فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سلّمًا، وأعلوا سور المدينة رجلًا فالتفت إليهم فقال: أي عبادَ الله، قردةٌ والله تعاوَى لها أذناب! قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردةُ أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القرود تأتي نسيبها من الإنس فتشمّ ثيابه وتبكي،

---

(١) الطبري (١٥٢٨٣).

فتقولُ لهم: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها: نعم! ثم قرأ ابن عباس: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾. قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال قلت: جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾؟ قال: فأمرَ بي فكسيتِ بُرْدَين غليظين.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح إلى أيوب قال: تلا الحسن ذات يوم: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ فقال: حوتٌ حرمه الله عليهم في يوم، وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرَّمه الله عليهم كأنه المخاض، لا يمتنع من أحد. وقلَّما رأيت أحدًا يكثر الاهتمامَ بالذنب إلا واقعه، فجعلوا يَهتمُّون ويمْسِكون، حتى أخذوه، فأكلوا أوْخَم أكلة أكلها قوم قطُّ، أبقاه خزيًا في الدنيا، وأشدُّه عقوبة في الآخرة! وايم الله، ما حوتٌ أخذه قوم فأكلوه، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن! وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت، ولكن الله جعل موعدَ قومٍ الساعة ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وأخرج الطبري[1] أيضًا بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾، ذُكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان، حتى تتبطَّح على سواحلهم وأفنيتهم، لما بلغها من أمر الله في الماء، فإذا كان في غير يوم السبت، بعدت في الماء حتى يطلبها طالبهم. فأتاهم الشيطان فقال: إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت، فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد! ..... قولـــه: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ

(١) الطبري (١٥٢٨٤) وهو من قول قتادة، كما ترى.

﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾، صار القوم ثلاثة أصناف، أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبةً لله، وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع في الخطيئة.

وأخرج الطبري[1] بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٌ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ لعلّهم يتركون ما هم عليه. قال: كانوا قد بُلوا بكفّ الحيتان عنهم، وكانوا يسبتون في يوم السبت ولا يعملون فيه شيئًا، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتانُ شُرّعًا، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوتٌ واحد. قال: وكانوا قومًا قد قَرِموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاءً، فأخذ رجل منهم حوتًا فربط في ذنبه خيطًا، ثم ربطه إلى خَشَفَةٍ، ثم تركه في الماء، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد، اجتره بالخيط ثم شواه. فوجد جارٌ له ريح حوت، فقال: يا فلان، إني أجد في بيتك ريح نونٍ! فقال: لا! قال: فتطلع في تنُّوره فإذا هو فيه، فأخبره حينئذ الخبرَ، فقال: إني أرى الله سيعذِّبك. قال: فلما لم يره عجَّل عذابًا، فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربَطَهما، ثم اطلع جارٌ له عليه، فلما رآه لم يعجِّل عذابًا، جعلوا يصيدونه، فاطلع أهل القرية عليهم، فنهاهم الذين ينهون عن المنكر، فكانوا فرقتين: فرقة تنهاهم وتكفّ، وفرقة تنهاهم ولا تكف. فقال الذين نهوا وكفوا، للذين ينهون ولا يكفون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ فقال الآخرون: ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾. فقال الله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾. إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ قال الله: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾. وقال لهم أهل تلك القرية: عملتم بعمل سَوْء، من كان يريد يعتزل ويتطهَّر فليعتزل هؤلاء! قال: فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم، وضربوا بينهم سورًا، فجعلوا في ذلك السور أبوابًا يخرج بعضُهم إلى بعض.

---

(١) الطبري (١٥٢٨٦) وهو من قول ابن زيد، كما ترى.

قال: فلما كان الليل طرقهم الله بعذابٍ، فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحدًا، فدخلوا عليهم فإذا هم قردة، الرجل وأزواجه وأولاده، فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون: يا فلان، ألم نحذرك سطوات الله؟ ألم نحذرك نقمات الله؟ ونحذرك ونحذرك؟ قال: فليس إلا بكاء! قال: وإنما عذب الله الذين ظلموا، الذين أقاموا على ذلك. قال: وأما الذين نَهَوْا، فكلهم قد نهى، ولكن بعضهم أفضل من بعض. فقرأ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾.

ولنرجع إلى سياق الآيات المتعلقة بالقصة:

لقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾.

ومعنى ذلك -والله أعلم-: واذكر يا رسول الله لقومك ومن حولك ومن يأتون بعدك أن الله عَزَّوَجَلَّ أعلم وأخبر أنه سيبعث على هؤلاء اليهود المعاندين للرسل والمخالفين لأوامر ربهم عَزَّوَجَلَّ من يذيقهم أسوأ العذاب، ذلكم العذاب المتمثل في القتل والتشريد، وفرض الجزية، وكراهية الناس لهم، وذلك إلى يوم القيامة.

فإن قيل: كيف ذلك، وقد تقدم أنهم مسخوا قردة وخنازير؟!!

فقد أجاب عن ذلك عدد من أهل العلم فقالوا: إن هؤلاء الذين قال الله في شأنهم: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هم الذين أتوا من بعدهم من اليهود الذين ساروا على طريقة سابقيهم في الغي والضلال والعناد والشقاق، والله أعلم.

ثم يُذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ في العقوبات التي أحلها الله بمن أتى من بعد هؤلاء وساروا على دربهم فقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: مزقناهم وفرقناهم بعد اجتماع.

وتلك عقوبة طالما تكررت وحلت بأقوام، كما قال تعالى في شأن سبأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

[سبأ: ١٩]

فهكذا يُذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عباده المؤمنين بما حل بالأمم المكذبة حتى يحذر العباد عقوبة الشقاق والعناد، وكيف أن النعم تتحول إلى نقم، وكيف أن الأمن يبدل خوفًا، والاجتماع يؤول إلى فرقة واختلاف بسبب التمرد والعصيان!!

ولقد ذكَّر الله سبحانه وتعالى بأمر هؤلاء المعتدين في السبت، وذلك في سورة البقرة؛ إذ الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، ففيه تحذير لبني إسرائيل، ووجهه أن الله سبحانه وتعالى ذكَّر بني إسرائيل بما صنع أسلافُهم وأجدادهم من نقض العهود والمواثيق، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى، وقد كانت العهود أُخذت عليهم ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

فلما خالفوا أمر الله –تبارك وتعالى– مسخهم الله عَزَّ وَجَلَّ قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

[الأعراف: ١٦٦]

فأنتم يا معشر يهود يا من بُعِث محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم من التوراة، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم، فعليكم حينئذ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ

وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾.

[النساء: ٤٧]

جملة من الفوائد والعبر المأخوذة من هذه القصة

ومن الفوائد ما يلي:

التذكير بأن الذي يُسيِّر الأمور والأشخاص هو الله عَزَّوَجَلَّ، فكل شيء يجري بتقديره سبحانه وتعالى، فليكن الملتجأ إليه دائمًا، فمن الذي يسُوقُ الحيتان يوم السبت حتى تأتي شرعًا؟!! ومن الذي يصرفها؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

وكذا ترى من الذي ساق الحوت إلى يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُلقي في اليم، في نفس التوقيت الذي أُلقي فيه عَلَيْهِ السَّلَامُ دون أن يُترك لحظة للغرق؟!! إنه الله سبحانه وتعالى.

وكذا من الذي جعل الحوت يضطرب في الزِّنْبيل الذي يحمله فتى موسى يُوشع بن نون، وجعله كذلك يشق طريقه ويتخذ سبيله في البحر سربًا وعجبًا؟! إنه الله عَزَّوَجَلَّ.

وكذا كل الأشياء التي يُسَيرها الله ويوقفها إن شاء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[هود: ٤١]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ [الشورى: ٣٣].

فكل من له حاجة يريد قضاءها فليلجأ إلى الله وليسأله إياها، فقضاؤها عنده عَزَّوَجَلَّ.

ومن الفوائد تقرير نبوة رسول الله ﷺ والتأكيد على ذلك، ففي القصة دليل على ذلك، وذلك من كونه –صلوات الله وسلامه عليه– يخبر اليهود بما حدث من أسلافهم، وما حل بهم من العقوبات والنكال، وهو نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلم.

وهذا الدليل من دلائل النبوة، قد أُشير إليه في عدة آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

[القصص: ٤٤]

وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [القصص: ٤٥].

ومن الفوائد تفسير القرآن بالقرآن:

فالآيات التي نحن بصددها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ ... تفسير لما أُجمل في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾.

وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول التفسير، أن القرآن الكريم يُفسِّر بعضه بعضًا.

فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٨]، فسره قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩] ولذلك أمثلة كثيرة جدًّا.

وثمَّ فائدة يُشار إليها: مأخوذة من عدم تسمية القرية، مؤداها أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يُسمِّ هذه القرية ولو كان عدم التسمية ضارًّا أو مؤثرًا لسماها ربنا -سبحانه وتعالى-، ومن ثَمَّ فلا نجشِّم أنفسنا البحث الطويل وراء اسم القرية بما يخرج بنا عن مضمون القصة وعن الاعتبار بما فيها، فالعبرة حاصلة -ولله الحمد- على كل حال. ومن ثَمَّ فلا يضر الخلاف في تحديد اسم القرية. وكذلك القرية المذكورة في سورة يس.

وكذلك لا يضر عدم ذكر أسماء أصحاب الكهف في سورة الكهف، ولا نتعب أنفسنا ونسود الصفحات بالبحث عن اسم قبيلتهم واسم كلبهم كما فعله بعض من تطرق إلى القصة. ألا فليُحفظ الجهد، وليُحفظ الوقت، ولنحرص على ما هو نافعٌ لنا.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل هذه العقوبة ومن حَلَّت بهم عبرة يعتبر بها المعتبرون ويتعظ بها المتعظون، كي يحذر العصاة عقوبة مخالفة أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

[البقرة: ٦٦]

أما قوله: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ فإلى أي شيء يرجع الضمير؟

لأهل العلم في ذلك أقوال:

فمنهم من يقول: إن الضمير يرجع إلى العقوبة التي هي المسخ.

ومنهم من قال: يرجع إلى القرية، والمراد أهلها.

ومنهم من قال: إنها الحيتان.

وثَمَّ أقوال أُخر، وأقوى هذه الأقوال القول الأول والثاني.

وقوله تعالى: ﴿نَكَٰلًا ﴾.

فالنَّكال: فمعناه الزجر بالعقاب، والنكل والنكال: قيود الحديد، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل. قاله ابن عطية.

أما قوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ لأهل العلم فيه أقوالٌ:

منها: أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم، وما خلفها الذين كانوا بقوا منهم.

ومنها: أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق، وما خلفها القرى المحيطة بهم.

ومنها: أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان، وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان، فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر.

والمُؤدَّى واحدٌ، وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا، وفي هذا عبرة لكل معتبر، والله تعالى أعلم.

أما لماذا خصت الموعظة بالمتقين في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

فذلك - والله أعلم - لأن المتقين هم المنتفعون بالموعظة.

أما المراد بالمتقين: فقيل: هم الذين يتقون عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ ويحذرونها.

وقيل: إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ.

وقيل: إن المتقين هنا هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله.

والقول الذي ينتظمها جميعًا هو أن المتقين تشمل كل من تقدموا، والله تعالى أعلم.

وفي ختام الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ تأكيد ولفت انتباه إلى وجوب الحرص على تقوى الله عَزَّوَجَلَّ وملازمة الخوف منه والوقوف عند حدوده بتحليل ما أحلَّ، وتحريم ما حرَّم.

ومن الفوائد:

بيان أمر مهم، ألا وهو أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب السلامة والنجاة، خلافًا لما قد يظنه بعض الناس ويتصوره آخرون، وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة جدًّا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ:

فمنها: ما ذُكر في هذه القصة المباركة من قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾، وقد سبق بيانه.

ومنها: قوله تعالى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ

ﭐلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ) [هود: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣].

وذلك بعد أن حلَّ بقوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم ثمود ما حل.

وهكذا أنجى الله عَزَّ وَجَلَّ أنبياءه ورسله وانتقم من أهل الظلم والشر والفساد.

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. فالعصمة والحفظ مع البلاغ.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**»(١).

ومن الفوائد:

إبطال الحِيل التي يُتوصل بها إلى المحرم.

وذلك على وجه من وجوه المفسرين لكيفية الاعتداء الذي قام به أصحاب السبت، وذلك من نصبهم الشباك يوم الجمعة، واستخراجها يوم الأحد.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢):

أن الله تعالى أخبر في الأعراف (١٦٣-١٦٧) عن أهل السبت من اليهود بمسخهم قردة لما احتالوا على إباحة ما حرمه الله تعالى عليهم من الصيد بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة، فلما وقع فيها الصيد أخذوه يوم الأحد. قال بعض الأئمة: ففى هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على المناهى الشرعية ممن

(١) البخاري (٢٤٩٣).

(٢) في كتابه: «إغاثة اللهفان» (ص ٣٧٨).

يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه إذ الفقيه من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده وتعظيم حرماته والوقوف عندها، ليس المتحيل على إباحة محارمه وإسقاط فرائضه. ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكذيبًا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكفرًا بالتوراة، وإنما هو استحلال تأويل واحتيال، ظاهره ظاهر الاتقاء، وباطنه باطن الاعتداء، ولهذا والله أعلم مسخوا قردة، لأن صورة القرد فيها شبه من صورة الإنسان وفى بعض ما يذكر من أوصافه شبه منه، وهو مخالف له فى الحد والحقيقة. فلما مسخ أولئك المعتدون دين الله تعالى بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين فى بعض ظاهره دون حقيقته، مسخهم الله تعالى قردة، يشبهونهم فى بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاء وفاقًا.

وقال في موطن آخر من نفس الكتاب:

ثم إنه ﷺ نهانا عن التشبه باليهود، وقد كانوا احتالوا فى الاصطياد يوم السبت، بأن حفروا خنادق يوم الجمعة تقع فيها الحيتان يوم السبت ثم يأخذونها يوم الأحد، وهذا عند المحتالين جائز. لأن فعل الاصطياد لم يوجد يوم السبت، وهو عند الفقهاء حرام لأن المقصود هو الكف عما ينال به الصيد بطريق التسبب أو المباشرة.

وفي باب الحيل المحرمة يرد ما بينه النبي ﷺ إذ قال في شأن اليهود: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا**»(١). وفي رواية: «**وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا**»(٢).

وفي ثالثة مطوَّلة من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ عَامَ

---

(١) البخاري (٢٢٢٣)، وقوله: «**فجملوها**» أي: أذابوها. قال الحافظ ابن حجر: قوله: «**حرمت عليهم الشحوم**» أي: أكلها، وإلا فلو حرم عليهم بيعها لم يكن لهم حيلة فيما صنعوه من إذابتها.

(٢) البخاري (٢٢٢٤).

الفَتْح، وهو بمكة: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: «لاَ، هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»(١).

ولكن ثَمَّ حيلٌ يتوصل بها إلى مباح كقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ولقد قال تعالى لنبيه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان قد أقسم أن يضرب زوجته مائة جَلْدة، فقال الله له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢):

من أنواع مكايد الشيطان:

ومن مكايده التى كاد بها الإسلام وأهله: الحيل والمكر والخداع الذى يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته فى أمره ونهيه، وهى من الرأى الباطل الذى اتفق السلف على ذمه.

فإن الرأى رأيان: رأى يوافق النصوص وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذى اعتبره السلف، وعملوا به.

ورأى يخالف النصوص وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذى ذموه وأنكروه.

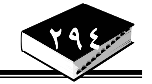
وكذلك الحيل نوعان:

نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم

---

(١) البخاري (٢٢٣٦).

(٢) إغاثة اللهفان.



الباغى، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالمًا، والظالم مظلومًا، والحق باطلاً والباطل حقًّا، فهذا النوع الذى اتفق السلف على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: لا يجوز شيء من الحيل فى إبطال حق مسلم.

وقال الميمونى: قلت لأبى عبد الله: من حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فهل تجوز تلك الحيلة؟ قال: نحن لا نرى الحيلة إلا بما يجوز. قلت: أليس حيلتنا فيها أن نتبع ما قالوا، وإذا وجدنا لهم قولًا فى شيء اتبعناه؟ قال: بلى هكذا هو. قلت: أو ليس هذا منا نحن حيلة؟ قال: نعم. فبين الإمام أحمد أن من اتبع ما شرعه الله له وجاء عن السلف فى معانى الأسماء التى علقت بها الأحكام ليس بمحتال الحيل المذمومة.. وإن سميت حيلة فليس الكلام فيها.

وغرض الإمام أحمد بهذا: الفرق بين سلوك الطريق المشروعة التى شرعت لحصول مقصود الشارع، وبين الطريق التى تسلك لإبطال مقصوده.

ومن الفوائد:

بيان حال بني إسرائيل وما هم عليه من الشقاق والعناد ونقض العهود والمواثيق مع الله عَزَّوَجَلَّ ومع أنبيائهم، ومن ثّمَّ فسينقضون العهود والمواثيق مع المخلوقين، فالذي لا يخشى الله لن يتورع عن غش العباد وخداعهم وتضليلهم(١).

ومن الفوائد:

بيان لأمرٍ مهم، وهو أن الله عَزَّوَجَلَّ سيسأل من رأوا المنكر ولم يغيروه أو يأمروا بتغييره، وذلك مفهوم من قول الفئة الصالحة.

---

(١) مع أنه كان من بني إسرائيل قوم صالحون؛ لكن الأغلب والأعم هم الأشرار والفجار.

لما أنكر عليهم المنكرون ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾.

قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

بل، وقد تتنزل العقوبات في بعض الأحيان على الساكتين.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

ومنها: تذكير الظالم بما فُعل بالظالمين، وما حلَّ بهم من العقاب والنكال حتى ينتهي عن ظلمه ويُقلع عن غيِّه وفساده.

ومنها: أنه يجوز أحيانًا التشنيع على الظالم حتى يقلع عن ظلمه وبيان ما حلَّ بقومه الظلمة، وإن كان يجوز الستر أحيانًا، وكل ذلك بحسب ما تقتضيه المصلحة ويقتضيه المقام، ولقد قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥] أي: يظهر كثيرًا كالذي حلَّ بأصحاب القرية، ويستر على أمور كثيرة فلا يفضحكم بها.

وثَمَّ حديث في الباب أخرجه أبو داود، والبخاري في (الأدب المفرد)، من حديث أبي هريرة قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ» فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ»[1].

ومن الفوائد:

---

(١) أبو داود (٥١٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٤)، وسنده صحيح لشواهده.

التذكير بما هو ثابت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من وجوه متعددة، والذي حاصله: أن العقوبات تنزل بسبب الذنوب والمعاصي، وكذلك اللعنات قد تحلُّ بسبب ذلك، فعذاب بئيس شديد حلَّ بالمعتدين يوم السبت. بل مُسخوا قردة وخنازير!!!.

بل، ولعنهم الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال في كتابه: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧].

ومن الفوائد:

كما أشرت آنفًا التنبيه على أن هناك ابتلاءً بتيسير أسباب المعصية.

وقلَّ مَنْ يفهم ذلك وقلَّ من يدرك ذلك، وقلَّ مَنْ يتفطن له، وقد دلت عليه أدلة كثيرة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ [النحل: ٩٢].

وحاصل ذلك:

أن شخصًا أو قومًا قد يُعاهدون قومًا عهدًا ويُبرمون معهم أمورًا واتفاقيات، ويكدون ذلك بالأيمان أحيانًا، فيأتي مَن هو أكثر عددًا ومالًا وأقوى عُددًا فينقض الشخص أو القوم عهدهم مع القوم الأولين، ويتعاهدون مع مَنْ هو أكثر عددًا ومالًا وأقوى عُددًا.

ووجه ذلك الابتلاء: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ساق (القوم الذين هم أقوى عددًا...) إلى الأولين اختبارًا لهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ﴾ [النحل: ٩٢]، ليُعلم هل يثبتون على العهود الأولى ويحافظون عليها أم ينقضونها ويغدرون؟ فقد تُخطب فتاةٌ وتَرْكَنُ -هي وأهلُها- إلى الخاطب ويُعلنون للخاطب الموافقة على الخطبة، ويرضى بها خاطبها، ويطمئنُّ إلى مخطوبته فتصبح فلانة مخطوبةٌ لفلان، فيأتي آخر يريد أن يخطبها ويعرض من المال أضعاف أضعاف ما عرضه الأول، فترُى من الذي ساق هذا الآخر لخطبتها، وقد

خُطبت؟!!

إنه ابتلاء من الله عَزَّوَجَلَّ لأهل الفتاة وللفتاة جميعًا.

هل يثبتون على الخِطْبة الأُولى أم ينقضونها؟

وثَمَّ رجلٌ باع بيتًا وتمَّ البيع وتفرَّق المجلس، وقد باع هذا البيت بمائة ألف، فبعد أن تم البيع جاء رجل آخر يريد أن يشتري البيت من البائع الأول الذي قد باعه، فيعرض عليه المشتري الجديد أن يشتري منه البيت الذي قد باعه بثلاثمائة ألف، فحينئذٍ يُفكر كيف ينقض البيع الأول كي يعقد الصفقة مع الشخص الجديد، فترى من الذي ساق هذا المشتري الجديد كي يُغري البائع بنقض البيع الأول، وقد قال الرسول ﷺ: «**لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أخيه، ولَا يَخْطُبْ أَحَدُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ**»(١).

ويحضرني في هذا السببُ في كون شهادة خزيمة بن ثابت عدلت شهادة رجلين.

أخرج الإمام أحمد في «مسنده»(٢) من طريق عمارة بن خزيمة الأنصاري أَنَّ عَمَّهُ، حَدَّثَهُ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ، فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَشْيَ، وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ فَيُسَاوِمُونَ بِالْفَرَسِ، لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ، حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمُ الْأَعْرَابِيَّ فِي السَّوْمِ عَلَى ثَمَنِ الْفَرَسِ الَّذِي ابْتَاعَهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ فَابْتَعْهُ، وَإِلَّا بِعْتُهُ. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟**» قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا وَاللهِ مَا بِعْتُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلَى قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟**» فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا. فقال خُزَيْمَةُ بنُ ثابت: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ

---

(١) البخاري (٢١٣٩)، (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢)، (١١٥٤).

(٢) «المسند» (٢١٥/٥)، وأبو داود (٣٦٠٧)، والنسائي (٣٠١/٧).

بَايَعْتَهُ. فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: «بِمَ تَشْهَدُ؟» فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ.

وقد يُعاهد قومٌ قومًا آخرين عهدًا وتكون بينهم هدنة فلا يعتدي أحدٌ على الآخر خمس سنوات ثم تلوح لفريق منهم غرةٌ يراها من الآخر ويمكنه فيها إذا انقضَّ عليه أن يُبيده، وأن ينتصر عليه، وتلك الغرة جعلها الله اختبارًا للقوم، هل يحافظون على العهد والميثاق ممتثلين قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، أم أنه يتجاوز هذا كله طمعًا وغدرًا وخيانةً ونقضًا؟!!

ومن الابتلاءات تيسير أسباب المعصية:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٤].

فكما هو معلوم أن الشخص المُحرِم لا يجوز له أن يصطاد؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]

فقد يتلبَّس شخصٌ بالإحرام ويُهلُّ بالحج أو بالعمرة، ثم يَظْهَرُ له صيدٌ عظيم سمين، يظهر له بقر وحشي (حلال أكله)، وبيده السهم من الممكن جدًّا أن يصطاده فيصبح بالصيد ثريًّا من الأثرياء؛ إذ الصيد سمينٌ وسهلٌ وقريبٌ، ولا يكلف الرجل كبير جهد ولا كبير تصويب.

فتُرى من الذي ساق الصيد؟ إنه ابتلاء من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٤].

وقد تُساق الأرانب والطيور والمُحرِم جائعٌ وبإمكانه صيدها وسد جوعته، ليُعلم هل يعتدي أم أنه سيحافظ على حدود الله عَزَّوَجَلَّ، وأيضًا قد يرى المُحرِمُ لقطةً كبيرة، مبلغًا ماليًّا طائلًا أو قطعة كبيرة من الذهب، يراها مُلقاة في مكة -

البلد الحرام- وقد علم أن لقطتها لا تُلتقط لا لمُنشد ليُعلم هل يقف عند حدود الله؟ أم أن الطمع يحمله على اكتنازها والاستمتاع بها. فمَنِ الذي ساق له هذه القطعة، ومَنِ الذي أوقع بصره عليها؟!! إنه ابتلاءٌ وإنها فتنةٌ!!.

وهذا ابتلاء آخر بتيسير أسباب المعصية:

لقد حدث هذا الابتلاء لطائفة أيضًا من بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى عليه السلام، ألا وهي الطائفة التي خرجت للقتال مع الملك الصالح طالوت، لقد ابتلاهم بنهر يمرون عليه ومنعهم نبي الله طالوت من الشُّرب منه، إلا من اغترف غرفة بيده، فيا سبحان الله! القوم يمرون على النهر وهم عطاش، وقد حذرهم نبيهم من الشرب منه إلا من اغترف غرفة بيده، والماء عذبٌ والقوم عطاش، وذاقوا طعم النهر بالغرفة التي اغترفوها منه، فلم يصبر أكثرهم عن الشُّرب، وهذا قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أعود فأقول: إن هذا النوع من أنواع الابتلاء لا يكاد يُدرك ولا يتفطن له إلا الورعون الأتقياء البررة الأوفياء.

إن المرأة قد تُبتلى بهذا الابتلاء فترى مال زوجها أمامها والزوج لم يُتقن العدَّ ولم يحصه فتُسول لها نفسها ما تسوله، والمحفوظة من حفظها الله.

وقد يتغيب زوجها ويتردد عليها أخوه (الذي هو الحمو) الذي هو خطره وضرره كالموت، والشبهة مندفعة وأعين الناس لا تدرك ولا تكاد تدرك، وكل هذا من الابتلاء وكل ذاك من الفتن.

وكذا الرجل قد يتسضعف امرأته ويستضعف أهلها وينال منها بالسب

والشتم والضرب والإهانة، ويخفى عليه أن الله كان عليًّا كبيرًا.

فعلى الجميع أن يراقب الله ويعلم أنه إن لم يكن يرى ربه فإن ربه يراه: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

(أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) [هود: ٥].

فليعلم الجميع أن الله سميع، وأن الله بصير، وأن الله يرى.

وهذه تساؤلات، منها:

هل مُسِخَ الذين اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة؟

❁ **وجواب ذلك هو:** نعم مُسِخُوا قردة على الحقيقة، وهذا ظاهر كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فالله جل ذكره قال: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقد قال جل ذكره أيضًا: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] وهذا رأي جمهور المفسرين، رأيهم أن المعتدين في السبت مُسِخُوا قردةً على الحقيقة.

وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتعقبه الطبري تعقبًا قويًّا في «تفسيره»، وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»، والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز، والله تعالى أعلم.

وسؤال آخر: هل الممسوخ[1] يتناسل؟

(١) أي: مسخ من إنسان إلى قرد مثلًا!

وجوابه: ذهب جمهور العلماء إلى أن الممسوخ لا يتناسل وذلك لحديث عبد الله بن مسعود ﷺ الذي أخرجه مسلم وغيره، وفيه أن ابن مسعود قال: فقال رجل يا رسول الله، القردة والخنازير هي مما مسخ؟ فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلُ لَهُمْ نَسْلًا وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٣)، وفي رواية لمسلم: «**إن الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك**».

هذا وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى بحثًا مختصرًا في ذلك قال رحمه الله (٢/ ٤٤١، ٤٤٢):

ولم يبق لهم نسل؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام، قال ابن عباس: لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل.

قال ابن عطية: وروي عن النبي ﷺ وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام.

قلت: هذا هو الصحيح من القولين: وأما ما احتج به ابن العربي وغيره على صحة القول الأول من قوله ﷺ: «**فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إسرائيل لا يُدْرَى ما فعلتْ ولا أراها إلا الفأرَ ألا ترونها إذا وضع لَها أَلْبَانُ الإبلِ لَمْ تَشْرَبْهُ وإذا وضعَ لها ألبانُ الشّاءِ شربتهُ**». رواه أبو هريرة، أخرجه مسلم.

وبحديث الضب رواه مسلم أيضًا عن أبي سعيد وجابر، وقال جابرُ بن عبد الله يقولُ: أُتِيَ رسُولُ الله ﷺ بضبٍّ فأبى أن يأكُلَ منْهُ وقال: «**لا أدري لعلَّهُ مِنَ القُرُونِ التي مُسِخَتْ**».

فمتأوَّلٌ على ما يأتي، قال ابن العربي: وفي البخاري عن عمرو بن ميمون أنه قال: رأيتُ في الجاهلية قردةً قدْ زَنَتْ فرجمُوها فرجمتها معهُمْ، ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها، وثبت في نص الحديث «قد زنت» وسقط هذا اللفظ عند بعضهم.

قال ابن العربي: فإن قيل: وكأن البهائم بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو؟

قلنا: نعم كذلك كان؛ لأن اليهود غيّروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيّروه، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحبارهم ومسوخهم، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون ويقيم عليهم =

= الحجة من حيث لا يشعرون، وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون.

قلت: هذا كلامه في الأحكام، ولا حجة في شيء منه، وأما ما ذكره من قصة عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين: حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأودي في الصحيحين حكاية من رواية حُصين عنه قال: رأيت في الجاهلية قِردة اجتمع عليها قِردة فرجموها فرجمتها معهم.

كذا حكى أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري في كتابه؛ فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها؛ فذكر في كتاب أيام الجاهلية.

وليس في رواية النعيمي عن الفربري أصلًا شيء من هذا الخبر في القردة؛ ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري.

والذي قال البخاري في «التاريخ الكبير»: قال لي نعيم بن حماد: أخبرنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم. وليس فيه «قد زنت».

فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية، ولم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية.

وذكر أبو عمر في «الاستيعاب» عمرو بن ميمون وأن كنيته أبو عبد الله معدود في كبار التابعين من الكوفيين، و هو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك؛ لأن رواته مجهولون.

وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأودي مختصرًا.

قال: رأيت في الجاهلية قِرْدة زنت فرجموها- يعني: القرَدة- فرجمتها معهم. ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرًا.

وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان، وليسا ممن يحتج بهما، وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنا إلى غير مكلف، وإقامة الحدود في البهائم.

ولو صح لكانوا من الجن؛ لأن العبادات في الإنس والجن دون غيرهما.

وأما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة «**وَلاَ أَرَاهَا إلاَّ الفَأْرَ**»، وفي الضب: «**لاَ أَدْرِي لَعَلَّه مِنَ القُرونِ التِّي مُسِخَتْ**» وما كان مثله، فإنما كان ظنًّا وخوفًا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما =

وهذه إشارة إلى أمر آخر، فكما تقدم أن الله عَزَّوَجَلَّ حرم العمل على اليهود يوم السبت، وفي الحديث[١] عن رسول الله ﷺ أضل الله عَزَّوَجَلَّ عن الجمعة مَنْ كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة. فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق، وفي رواية: (المقضي بينهم).

❁ **وهنا يطرح سؤال:**

هل لزامًا أن تكون – عندنا كمسلمين – إجازة، وتوقف عن العمل يوم الجمعة؟

فأقول، وبالله التوفيق: إنما التوقف عن العمل يوم الجمعة، يكون عند النداء للصلاة وذلك إلى أن تنتهي الصلاة ويصلي المصلُّون، وأما قبل ذلك وبعده فلا بأس بالعمل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

فدل ذلك على أن هناك بَيعًا قبل الصلاة.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ

= مما مسخ، وكان هذا حدسًا منه ﷺ قبل أن يوحي إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلًا؛ فلما أوحي إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ لمن سأله عن القردة والخنازير: هي مما مسخ فقال: «**إِنَّ اللهَ عَجَلَّ لَمْ يَمْسَخْ قَوْمًا، أَوْ يُهْلِكْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ، وَالْخَنَازِيرَ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ**».

وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود رواه مسلم في كتاب «القدر».

وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر فدل على صحة ما ذكرنا، وبالله توفيقنا.

وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط. وردَّت أفهامهم كأفهام القردة. ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم. والله أعلم.

(١) رواه مسلم (٨٥٦).

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

فدل ذلك على أن بعد الصلاة عملًا وابتغاء فضلٍ من الله، والله أعلم.

وهذه لفتةٌ أُخرى: فحواها ومؤداها أن لحوم الحيتان ليست بأعظم حرمة من لحوم المسلمين(١). فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ أخذ على قوم عهدًا وميثاقًا أن لا يعدوا في السبت ولا يصطادوا الحيتان، فقد أخذ عهودًا ومواثيق عليهم وعلى غيرهم ألا يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وتوعد أشد الوعيد مَنْ قتل مؤمنًا بغير حق، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٩٣]، فإذا كان ثَمَّ قوم عجلت لهم العقوبة في دنياهم لكونهم اصطادوا الحيتان في اليوم الذي حرم فيه عليهم الصيد ومُسِخُوا إلى قردة فأجدرُ بقوم قتلوا الأنفس المحرمة أن يحذروا غضب الله ويقلعوا عما هم فيه، وأن يتوبوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ وينيبوا إليه.

---

(١) ونقل نحوه عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

نبأ الذي آتاه الله عَزَّوَجَلَّ الآيات فانسلخ منها (والذي قيل إنه بلعم بن باعوراء)

أولاً: الآيات الواردة في ذِكر هذا الشخص:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٩].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾	وقصّ عليهم- اقرأ عليهم.
﴿ نَبَأَ ﴾	خبر- قصة.
﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ ﴾	أعطيناه- علمناه.
﴿ ءَايَٰتِنَا ﴾	حججنا ودلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا (وقيل: المراد اسم الله الأعظم).
﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾	فخرج منها – تبرأ منها وتركها- نُزع منه العلم.
﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾	فصيّره الشيطان تابعًا له- استحوذ عليه وغلبه على أمره (مهما أمره الشيطان امتثل وأطاع).

الكلمة	معناها
﴿ٱلۡغَاوِينَ﴾	الهالكين – الحائرين (لضلالهم وانحرافهم وخلافهم لأمر الله).
﴿أَخۡلَدَ﴾	سكن– رضي بالدنيا ولذاتها.
﴿تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ﴾	تطرده– تدفعه برجلك أو بحجرٍ.
﴿يَلۡهَثۡ﴾	يخرج لسانه من التعب والعطش.
﴿سَآءَ مَثَلًا﴾	قبح مثلهم– بئس مثلهم.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يأمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ أن يُذكر اليهود من أهل المدينة الذين أوتوا علمًا بنبوة النبي ﷺ وبوصفه صلوات الله وسلامه عليه وعرفوا النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك كذبوه وجحدوا نبوته، وكذا أُمر النبي ﷺ أن يتلو على غيرهم أيضًا، بل ويتلو على الخلق كلهم خبر هذا الشخص الذي آتاه الله عَزَّوَجَلَّ الآيات وعلمه العلوم، وقيل إن هذه الآيات هي اسم الله الأعظم(١).

وقيل: إن هذه الآيات كتابٌ من كُتب الله عَزَّوَجَلَّ.

وقيل: إنها النبوة، وأرى هذا الرأي بعيدًا(٢) جدًّا عن الصواب.

وقيل: إنها الحجج والدلالات.

وقد قال بعض أهل العلم: إنه كان مُجاب الدعوة، وكان لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) صح عن ابن زيد عند الطبري أنه كان لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه.

(٢) قال الحافظ ابن كثير: وقوله حقٌ في هذا المقام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وأغرب بل أبعد بل أخطأ من قال: كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها، حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمرَ نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبرَ رجل كان آتاه حُجَجه وأدلته، وهي «الآيات».

وقد دللنا على أن معنى «الآيات»: الأدلة والأعلام، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته.

قلت: فالحاصل أنه أوتي عِلمًا ومع ذلك عمل بما يناقض هذا العلم وانسلخ منه، أي خرج من الآيات التي كان الله عَزَّوَجَلَّ آتاه إياها فتبرأ منها.

فماذا كان لما انسلخ من الآيات لقد أتبعه الشيطان واستحوذ عليه فأصبح من الهالكين الحائرين كما هو الشأن فيمن انصرف عن آيات الله وعن ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾. [التوبة: ١٢٧]

فهذا شأن الذي يأتيه الأمر مِنْ أمرِ الله عَزَّوَجَلَّ فيعرض عنه وينصرف يتبعه الشيطان ويستحوذ عليه، وكذلك يصرف الله قلبه عن الإيمان، وكلما ازداد إعراضًا كلما زاده الله بعدًا، واتبعته الشياطين.

أما عن هذا الشخص وعن اسمه، فلم يرد - فيما علمت - لهذا الرجل اسمٌ في كتاب الله ولا في الثابت الصحيح من سُنَّة رسول الله ﷺ، وإن كان أكثر أهل العلم على أنه رجل من بني إسرائيل يُقال له بلعم[1].

وقال بعضهم: بلعام واختلفوا أيضًا في اسم أبيه هل هو (أَبر)[2] أم أنه (باعر)

(١، ٢) وقد صح هذا عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الطبري وعبد الرزاق وغيرهم.

أم أنه (باعوراء).

وقال آخرون من أهل العلم: إنه أمية بن أبي الصلت[١] الذي كاد أن يسلم ولكنه كفر، وهو رجل من ثقيف وكل ذلك كما أسلفت لم يأت به نص من الكتاب العزيز أو السُّنة المباركة.

هذا، وقد وردت في شأن هذا الرجل الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها جملة آثار لا يثبت منها شيءٌ عن رسول الله ﷺ: وأغلبها مقطوعات (موقوفات على التابعين) ضعيفة الأسانيد أُورد بعضها، وأُعرض عن أغلبها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، يُقَدِّمُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ، بَعَثَهُ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى عليه السلام إِلَى مَلِكِ مَدْيَن يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ، فَأَقْطَعَهُ وَأَعْطَاهُ، فَتَبِعَ دِينَهُ وَتَرَكَ دِينَ مُوسَى عليه السلام.

وأورد ابن كثير أثرًا بسندٍ ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم، وحكم عليه بالغرابة وفيه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ قال: هو رجل أُعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها واحدة.

قال: فَلَكِ وَاحِدَةٌ، فَمَا الَّذِي تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي أَجْمَلَ امْرَأَةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَدَعَا اللهَ، فَجَعَلَهَا أَجْمَلَ امْرَأَةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ مِثْلُهَا رَغِبَتْ عَنْهُ، وَأَرَادَتْ شَيْئًا آخَرَ، فَدَعَا اللهُ أَنْ يَجْعَلَهَا كَلْبَةً، فَصَارَتْ كَلْبَةً، فَذَهَبَتْ دَعْوَتَانِ. فَجَاءَ بَنُوهَا فَقَالُوا: لَيْسَ بِنَا عَلَى هَذَا قَرَارٌ، قَدْ صَارَتْ أُمُّنَا كَلْبَةً يُعَيِّرُنَا النَّاسُ بِهَا، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا، فَدَعَا اللهَ، فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ، فَذَهَبَتِ الدَّعْوَاتُ الثَّلَاثُ، وَسُمِّيَتِ

---

(١) روي ذلك عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند الطبري وغيره.

الْبَسُوسُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ؛ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَزَلَ فِي أَرْضِ بَنِي كَنْعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، أَتَى قَوْمُ بَلْعَامَ إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ جَاءَ يُخْرِجُنَا مِنْ بِلَادِنَا وَيَقْتُلُنَا وَيُحِلُّهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّا قَوْمُكَ، وَلَيْسَ لَنَا مَنْزِلٌ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، فَاخْرُجْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَيْلَكُمْ! نَبِيُّ اللهِ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، كَيْفَ أَذْهَبُ أَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا أَعْلَمُ؟! قَالُوا لَهُ: مَا لَنَا مِنْ مَنْزِلٍ! فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يُرَقِّقُونَهُ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى فَتَنُوهُ فَافْتُتِنَ، فَرَكِبَ حَمَارَةً لَهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي يُطْلِعُهُ عَلَى عَسْكَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ جَبَلُ حُسْبان، فَلَمَّا سَارَ عَلَيْهَا غَيْرَ كَثِيرٍ، رَبَضَتْ بِهِ، فنزل عنها فضربها، حتى إذا أَذْلَقَهَا قَامَتْ فَرَكِبَهَا. فَلَمْ تَسِرْ بِهِ كَثِيرًا حَتَّى رَبَضَتْ بِهِ، فَضَرَبَهَا حَتَّى إِذَا أَذْلَقَهَا أَذِنَ اللهُ لَهَا فَكَلَّمَتْهُ حُجَّةً عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: وَيْحَكَ يَا بَلْعَمُ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ أَمَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ أَمَامِي تَرُدُّنِي عَنْ وَجْهِي هَذَا؟ أَتَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ لِتَدْعُوَ عَلَيْهِمْ؟ فَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا يَضْرِبُهَا، فَخَلَّى اللهُ سَبِيلَهَا حِينَ فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَتْ بِهِ عَلَى رَأْسِ حُسْبَانَ، عَلَى عَسْكَرِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، جَعَلَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا يَدْعُو عَلَيْهِمْ بِشَرٍّ إِلَّا صَرَفَ اللهُ لِسَانَهُ إِلَى قَوْمِهِ، وَلَا يَدْعُو لِقَوْمِهِ بِخَيْرٍ إِلَّا صَرَفَ لِسَانَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ: أَتَدْرِي يَا بَلْعَمُ مَا تَصْنَعُ؟ إِنَّمَا تَدْعُو لَهُمْ، وَتَدْعُو عَلَيْنَا! قَالَ: فَهَذَا مَا لَا أَمْلِكُ، هَذَا شَيْءٌ قَدْ غَلَبَ اللهُ عَلَيْهِ! قَالَ: وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي الْآنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ، فَسَأَمْكُرُ لَكُمْ وَأَحْتَالُ، جَمِّلُوا النِّسَاءَ وَأَعْطُوهُنَّ السِّلَعَ، ثُمَّ أَرْسِلُوهُنَّ إِلَى الْعَسْكَرِ يَبِعْنَهَا فِيهِ، وَمُرُوهُنَّ فَلَا تَمْنَعُ امْرَأَةٌ نَفْسَهَا مِنْ رَجُلٍ أَرَادَهَا، فَإِنَّهُمْ إِنْ زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاحِدٌ كُفِيتمُوهم، فَفَعَلُوا. فَلَمَّا دَخَلَ النِّسَاءُ

الْعَسْكَرَ، مَرَّتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ اسْمُهَا «كَسْبَى ابْنَةُ صُورَ، رَأْسِ أُمَّتِهِ» بِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ «زَمْرَى بْنُ شَلُومَ»، رَأْسُ سِبْطِ شَمْعُون بْنِ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا حِينَ أَعْجَبَهُ جَمَالُهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا حَتَّى وَقَفَ بِهَا عَلَى مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ: إِنِّي أَظُنُّكَ سَتَقُولُ هَذَا حَرَامٌ عَلَيْكَ؟ قَالَ: أَجَلْ، هِيَ حَرَامٌ عَلَيْكَ، لَا تَقْرَبْهَا. قَالَ: فَوَاللهِ لَا نُطِيعُكَ فِي هَذَا. ثُمَّ دَخَلَ بِهَا قُبَّتَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا. وَأَرْسَلَ اللهُ عز وجل الطَّاعُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ فِنْحَاصُ بْنُ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ، صَاحِبَ أَمْرِ مُوسَى، وَكَانَ غَائِبًا حِينَ صَنَعَ زَمْرَى بْنُ شَلُومَ مَا صَنَعَ، فَجَاءَ وَالطَّاعُونُ يَجُوسُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأُخْبِرَ الْخَبَرَ، فَأَخَذَ حَرْبَتَهُ، وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ كُلُّهَا، ثُمَّ دَخَلَ الْقُبَّةَ وَهُمَا مُتَضَاجِعَانِ، فَانْتَظَمَهُمَا بِحَرْبَتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا رَافِعَهُمَا إِلَى السَّمَاءِ، وَالْحَرْبَةُ قَدْ أَخَذَهَا بِذِرَاعِهِ، وَاعْتَمَدَ بِمِرْفَقِهِ عَلَى خَاصِرَتِهِ، وَأَسْنَدَ الْحَرْبَةَ إِلَى لَحْيَيْه -وَكَانَ بِكْرَ الْعَيْزَارِ- وَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفْعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ. وَرُفِعَ الطَّاعُونُ، فَحُسِبَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الطَّاعُونِ فِيمَا بَيْنَ أَنْ أَصَابَ زَمْرَى الْمَرْأَةَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ فِنْحَاصُ، فَوَجَدُوهُ قَدْ هَلَكَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا -وَالْمُقَلِّلُ لَهُمْ يَقُولُ: عِشْرُونَ أَلْفًا- فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ. فَمِنْ هُنَالِكَ تُعْطِي بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَدَ فِنْحَاصَ مِنْ كُلِّ ذَبِيحَةٍ ذَبَحُوهَا الْقُبَّةَ وَالذِّرَاعَ واللَّحى -لِاعْتِمَادِهِ بِالْحَرْبَةِ عَلَى خَاصِرَتِهِ، وَأَخْذِهِ إِيَّاهَا بِذِرَاعِهِ، وَإِسْنَادِهِ إِيَّاهَا إِلَى لَحْيَيْهِ- وَالْبِكْرَ مِنْ كُلِّ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِكْرَ أَبِيهِ الْعَيْزَارِ. فَفِي بَلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ -إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أما عن وجهة قول القائل: بأن أمية بن أبي الصلت هو الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها، فقد أشار بعض أهل العلم إلى أن أمية هذا كان قد حمل علمًا عن الأولين وعن الكتب السابقة، ولم ينفعه علمه ذلك، فقد كاد أن يُسلِم ولكنه انتكس وارتكس وضلَّ بعد ما تبين له الهدى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد قول ابن عمرو في أن الذي آتاه الله الآيات هو أمية بن أبي الصلت:

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْهُ وَهُوَ صَحِيحٌ إِلَيْهِ وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ يُشْبِهُهُ فَإِنَّهُ كَانَ قَدِ اتَّصَلَ إِلَيْهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمِ الشَّرَائِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ فَإِنَّهُ أَدْرَكَ زَمَانَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَلَغَتْهُ أَعْلَامُهُ وَآيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ وَظَهَرَتْ لِكُلِّ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَمَعَ هَذَا اجْتَمَعَ بِهِ وَلَمْ يَتْبَعْهُ وَصَارَ إِلَى مُوَالَاةِ الْمُشْرِكِينَ وَمُنَاصَرَتِهِمْ وَامْتِدَاحِهِمْ وَرَثَى أَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَرْثَاةٍ بَلِيغَةٍ قبحه الله. وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ مِمَّنْ آمَنَ لِسَانُهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ قَلْبُهُ فَإِنَّ لَهُ أَشْعَارًا رَبَّانِيَّةً وَحِكَمًا وَفَصَاحَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْرَحِ الله صدره للإسلام.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وجائز أن يكونَ الذي كان الله آتاه ذلك «بلعم»، وجائز أن يكون أمية. وكذلك «الآيات» إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها؛ فجائز أن يكون الذي كان أوتيها «بلعم» وجائز أن يكون «أمية»، لأن «أمية» كان، فيما يقال، قد قرأ من كتب أهل الكتاب.

وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله عليه الصلاة والسلام أن يتلوَ على قومه نبأه، أو بمعنى اسم الله الأعظم، أو بمعنى النبوّة، فغير جائز أن يكون معنيًّا به «أمية»؛ لأن «أمية» لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئًا من ذلك، ولا خبرَ بأيِّ ذلك المراد، وأيّ الرجلين المعنيّ، يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أيِّ ذلك المعنيُّ به من أيٍّ.

فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونُقِرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله.

قلت (مصطفى): وأعود إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾.

فلأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ولو شئنا لرفعناه في الآخرة درجات عالية بسبب العلم الذي آتيناه إيَّاه، فلو شئنا لَوَفَّقْنَاه للعمل بهذا العلم، وبذله فيما يقربه من الله عَزَّوَجَلَّ.

فيكون قوله: ﴿لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي في منازل الجنان في الآخرة بسبب ما علمناه من علم.

الثاني: أن المراد رفعة المنزلة في الدنيا والوجاهة في الدين.

الثالث: لرفعناه من هذا الانحطاط الذي وقع فيه بالآيات التي آتيناه إياها.

الرابع: لَنَزَّهناهُ عن قاذورات الحياة الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ الخبر بقوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾، أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها. والرفع يَعمُّ معاني كثيرة، منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها. ومنها الرفع في الذكر الجميل والثّناء الرفيع.

وجائزٌ أن يكون الله عنى كلَّ ذلك: أنه لو شاء لرفعه، فأعطاه كل ذلك، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه.

وإذ كان ذلك جائزًا، فالصواب من القول فيه أن لا يخصَّ منه شيء إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ فمعناه -والله تعالى أعلم- أن هذا الرجل الذي آتاه الله عَزَّوَجَلَّ الآيات فانسلخ منها رضي بالدنيَّة، وآثر الدنيا الفانية وملذاتها الزائلة على ما هو خيرٌ وأبقى فاختار الدنيا بدلًا من الآخرة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ﴾ أَيْ: لَرَفَعْنَاهُ مِنَ التَّدَنُّسِ عَنْ قَاذُورَاتِ الدُّنْيَا بِالْآيَاتِ الَّتِي آتَيْنَاهُ إِيَّاهَا، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: مَالَ إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى لَذَّاتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَغَرَّتْهُ كَمَا غَرَّتْ غَيْرَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

القـول في تأويـل قولـه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: سكن إلى الحياة في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، ورفض طاعة الله وخالف أمره.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ﴾ يُرِيدُ بَلْعَامَ. أَيْ لَوْ شِئْنَا لَأَمَتْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يَعْصِيَ فَرَفَعْنَاهُ إِلَى الْجَنَّةِ. ﴿بِهَا﴾ أَيْ بِالْعَمَلِ بِهَا. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ رَكَنَ إِلَيْهَا، عَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيِّ. مُجَاهِدٌ: سَكَنَ إِلَيْهَا، أَيْ سَكَنَ إِلَى لَذَّاتِهَا. وَأَصْلُ الْإِخْلَادِ اللُّزُومُ. يُقَالُ: أَخْلَدَ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ وَلَزِمَهُ. قَالَ زُهَيْرٌ:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْغَرْقَدِ ... كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلَدِ

يَعْنِي الْمُقِيمَ، فَكَأَنَّ الْمَعْنَى لَزِمَ لِذَّاتِ الْأَرْضِ فَعُبِّرَ عَنْهَا بِالْأَرْضِ، لِأَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أَيْ مَا زَيَّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ. وَقِيلَ: كَانَ هَوَاهُ مَعَ الْكُفَّارِ. وَقِيلَ: اتَّبَعَ رِضَا زَوْجَتِهِ، وَكَانَتْ رَغِبَتْ فِي أَمْوَالٍ حَتَّى حَمَلَتْهُ عَلَى الدُّعَاءِ عَلَى مُوسَى.

وأقول (مصطفى): ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ ضرب مثلًا لهذا الرجل المنسلخ من آيات الله، ضُرب له مثل بالكلب كما ضرب لأمثاله المعرضين عن آيات الله مثلٌ بالحمير إذ الله قال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

[الجمعة: ٥]

وهكذا فإن اللاعنين يلعنون الكاتمين لآيات الله الكاتمين للبينات والهدى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وهكذا هنا ضرب مثل للذي انسلخ من آيات الله.

ضرب له مثلٌ بالكلب.

قال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾.

المعنى -والله تعالى أعلم- أن مَثَل هذا الذي آتاه الله عَزَّوَجَلَّ الآيات فترك العمل بها وأهملها وخالفها كمثل الكلب فالكلب إن طردته أو دفعته بعصا أو بحجارةٍ يلهث وإن لم تطرده وتركته يلهث أيضًا فهو يلهث على كل حال وهكذا الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها، فإنه سواء عليه وُعِظ أمْ لَم يُوعظ لا يهتدي ولا ينتفع بالموعظة ولا عدمها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ الكلب الذي يلهث، طردْته أو تركته.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جَعَل الله مثَلَه كمثل الكلب.

فقال بعضهم: مثَّله به في اللهث، لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التي آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئًا من ذلك. فقال جل ثناؤه فيه: إذْ كان سواءً أمرُه، وُعِظَ بآيات الله التي آتاها إياه، أو لم يوعظ، في أنه لا يتَّعظ بها، ولا يترك الكفر به، فمثله مثل الكلب الذي سواءٌ أمره في لهثه، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال.

ثم أورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ آثارًا في ذلك، ثم قال: وقال آخرون إنما مثَّله جل ثناؤه بالكلب لأنه يلهث كما يلهث الكلب.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويلُ من قال: إنما هو مثلٌ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأنّ معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربّه، كما سواءٌ حمل على الكلب وطُرِد أو ترك فلم يطرد، في أنه لا يدَع اللهث في كلتا حالتيه.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بالصواب، لدلالة قوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾، فجعل ذلك مثلَ المكذِّبين بآياته. وقد علمنا أن اللُّهَاث ليس في خِلقة كل مكذّب كُتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلومًا بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله، مثلٌ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ﴾ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ فَأَمَّا عَلَى سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَالِمِ بن أبي النضر: أن بلعامًا انْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ -فَتَشْبِيهُهُ بِالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهِ إِنْ زُجِرَ وَإِنْ تُرِكَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَصَارَ مِثْلَهُ فِي ضَلَالِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِيهِ، وَعَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِالدُّعَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ وَعَدَمِ الدُّعَاءِ، كَالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي حَالَتَيْهِ، إن

حَمَلْتَ عَلَيْهِ وَإِنَّ تَرِكْتَهُ، هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ، فَكَذَلِكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عَدَمِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ قَلْبَ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ وَالضَّالِّ، ضَعِيفٌ فَارِغٌ مِنَ الْهُدَى، فَهُوَ كَثِيرُ الْوَجِيبِ فَعَبَّرَ عَنْ هَذَا بِهَذَا، نُقِلَ نَحْوُهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ ابتداء وخبر.

﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ شرط وجوابه.

وهو في موضع الحال، أي: فمثله كمثل الكلب لاهثًا، والمعنى: أنه على شيء واحد لا يرْعوِي عن المعصية؛ كمثل الكلب الذي هذه حالته، فالمعنى: أنه لاهث على كل حال، طردته أو لم تطرده.

قال ابن جُرَيْج:

الْكَلْبُ مُنْقَطِعُ الْفُؤَادِ، لَا فُؤَادَ لَهُ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ، كَذَلِكَ الَّذِي يَتْرُكُ الْهُدَى لَا فُؤَادَ لَهُ، وَإِنَّمَا فُؤَادُهُ مُنْقَطِعٌ.

قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: كُلُّ شي يَلْهَثُ فَإِنَّمَا يَلْهَثُ مِنْ إِعْيَاءٍ أَوْ عَطَشٍ، إِلَّا الْكَلْبَ فَإِنَّهُ يَلْهَثُ فِي حَالِ الْكَلَالِ وَحَالِ الرَّاحَةِ وَحَالِ الْمَرَضِ وَحَالِ الصِّحَّةِ وَحَالِ الرِّيِّ وَحَالِ الْعَطَشِ. فَضَرَبَهُ اللهُ مَثَلًا لِمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ فَقَالَ: إِنْ وَعَظْتَهُ ضَلَّ وَإِنْ تَرَكْتَهُ ضَلَّ، فَهُوَ كَالْكَلْبِ إِنْ تَرَكْتَهُ لَهَثَ وإن طردته لهث، كقول تعالَى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: لَهَثَ الْكَلْبُ «بِالْفَتْحِ» يَلْهَثُ لَهْثًا وَلُهَاثًا «بِالضَّمِّ» إِذَا أَخْرَجَ لِسَانَهُ مِنَ التَّعَبِ أَوِ العطش، وكذلك الرجل إذا أعيا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ لِأَنَّكَ إِذَا حَمَلْتَ عَلَى الْكَلْبِ نَبَحَ

وَوَلَّى هَارِبًا، وَإِذَا تَرَكْتَهُ شَدَّ عَلَيْكَ وَنَبَحَ، فَيُتْعِبُ نَفْسَهُ مُقْبِلًا عَلَيْكَ وَمُدْبِرًا عَنْكَ فَيَعْتَرِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ مَا يَعْتَرِيهِ عِنْدَ الْعَطَشِ مِنْ إِخْرَاجِ اللِّسَانِ.

وقال القرطبي كذلك:

وَهَذَا الْمَثَلُ فِي قَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ. وَقِيلَ: هُوَ فِي كُلِّ مُنَافِقٍ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ أَيْ: إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ بِدَابَّتِكَ أَوْ بِرِجْلِكَ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ. وَكَذَلِكَ مَنْ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَلَا يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هَذَا شَرُّ تَمْثِيلٍ، لِأَنَّهُ مَثَّلَهُ فِي أَنَّهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ حَتَّى صَارَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بِكَلْبٍ لَاهِثٍ أَبَدًا، حُمِلَ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ تَرْكَ اللَّهَثَانِ. وَقِيلَ: مِنْ أَخْلَاقِ الْكَلْبِ الْوُقُوعُ بِمَنْ لَمْ يُخِفْهُ عَلَى جِهَةِ الِابْتِدَاءِ بِالْجَفَاءِ، ثُمَّ تَهْدَأُ طَائِشَتُهُ بِنَيْلِ كُلِّ عِوَضٍ خَسِيسٍ. ضَرَبَهُ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِي قَبِلَ الرِّشْوَةَ فِي الدِّينِ حَتَّى انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ.

فَدَلَّتِ الْآيَةُ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا عَلَى أَلَّا يَغْتَرَّ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ وَلَا بِعِلْمِهِ، إِذْ لَا يَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ. وَدَلَّتْ عَلَى مَنْعِ أَخْذِ الرِّشْوَةِ لِإِبْطَالِ حَقٍّ أَوْ تَغْيِيرِهِ. وَقَدْ مَضَى بَيَانُهُ فِي «الْمَائِدَةِ». وَدَلَّتْ أَيْضًا عَلَى مَنْعِ التَّقْلِيدِ لِعَالِمٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يُبَيِّنُهَا، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْطَى هَذَا آيَاتِهِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَوَجَبَ أَنْ يَخَافَ مِثْلَ هَذَا عَلَى غَيْرِهِ وَأَلَّا يَقْبَلَ مِنْهُ إِلَّا بِحُجَّةٍ.

أما قوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

فمعناه، والله تعالى أعلم، ذلك المثل الذي قصصناه عليك، مثل الذي آتيناه الآيات فانسلخ منها من كونه شُبِّه بالكلب لعدم انتفاعه بالمواعظ، ومن كونه أصبح تابعًا للشيطان يُوجهْه كيف يشاء ويقوده حيث أراد، هذا المثل عامٌ في كل

من لـم تنفعه المـواعظ ولـم تُجدِ معه الذِكرى، مثلٌ مضـروب لكل مـن كـذَّب بآيات الله عَزَّوَجَلَّ.

فأخبر بني إسرائيل ومن بعدهم بهذه الأمثال وما هم إليه صائرون لعلهم يتفكرون فيها فيتعظون ويعتبرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربتُه لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ القوم الذين كذبوا بحُججنا وأعلامنا وأدلَّتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلِخ من آياتنا الذي آتيناها إياه، في تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

وأما قوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾، فإنه يقول لنبيه محمد ﷺ: فاقصص، يا محمد، هذا القصص، الذي اقتصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، وأخبارَ الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا، على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات، ويتدبَّره اليهود من بني إسرائيل، فيعلموا حقيقةَ أمرك وصحَّة نبوّتك، إذ كان نبأ ﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ من خفيّ علومهم، ومكنون أخبارهم، لا يعلمه إلا أحبارُهم، ومن قرأ الكُتب ودرسها منهم. وفي علمك بذلك، وأنت أميٌّ لا تكتب، ولا تقرأ، ولا تدرس الكتب، ولم تجالس أهل العلم الحُجَّة البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علِمت من ذلك، وحالُك الحال التي أنت بها، إلا بوحي من السماء.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ﴾ أَيْ: لَعَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَالِمِينَ بِحَالِ بَلْعَامَ، وَمَا جَرَى لَهُ فِي إِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُ وَإِبْعَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِسَبَبِ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ نِعْمَةَ اللهِ

عَلَيْهِ -فِي تَعْلِيمِهِ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ - فِي غَيْرِ طَاعَةِ رَبِّهِ، بَلْ دَعَا بِهِ عَلَى حِزْبِ الرَّحْمَنِ، وَشِعْبِ الْإِيمَانِ، أَتْبَاعِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، كَلِيمِ اللهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أَيْ: فَيَحْذَرُوا أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاهُمْ عِلْمًا، وَمَيَّزَهُمْ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَجَعَلَ بِأَيْدِيهِمْ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْرِفُونَهَا كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، فَهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَمُنَاصَرَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ، كَمَا أَخْبَرَتْهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ بِذَلِكَ وَأَمَرَتْهُمْ بِهِ؛ وَلِهَذَا مَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ مَا فِي كِتَابِهِ وَكَتَمَهُ فَلَمْ يُعْلِمْ بِهِ الْعِبَادَ، أَحَلَّ اللهُ بِهِ ذُلًّا فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِذُلِّ الْآخِرَةِ.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتفكرون في هذه القصص والأمثال التي ذكّرتهم بها، وكيف وأنت نبيٌّ أميٌّ لا تقرأ ولا تكتب وتخبرهم بهذه الأخبار، فلعلهم بعد التفكر في هذا يصدقون بنبوتك ويسلمون ويتفكرون أيضًا في مصائرهم التي هم إليها صائرون إن استمروا على كفرهم وعنادهم وتكذيبهم وتركهم التوراة والعمل بها بعد أن أُوتوها وحُمِّلوها وأُلْزِموا بما فيها.

هذا وقوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾.

معناه والله تعالى أعلم، بئس المثل ذلكم المثل المضروب للقوم المكذبين بآيات الله عَزَّ وَجَلَّ، بئس المثل أن شبِّهوا بالكلاب التي إن حَملتَ عليها لهثت وإن تركتها لهثت، لقد كانوا - بتكذيبهم لآيات الله عَزَّ وَجَلَّ - ظالمين لأنفسهم، وذلك ببخسها حقها وحرموها ما تنتفع به من الإيمان والتصديق والأمان وفسيح الجنان.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ساءَ مثلًا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها، وأنفسَهم كانوا ينقصُون حظوظَها، ويبخسونها منافعها، بتكذيبهم بها لا غيرَها.

وقيل: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ من «السوء»، بمعنى: بئس مثلا مَثَل القوم وأقيم

«القوم» مقام «المثل»، وحذف «المثل»، إذ كان الكلام مفهومًا معناه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، [البقرة: ١٧٧] فإن معناه: ولكن البرَّ، برُّ من آمن بالله، وقد بينا نظائر ذلك في مواضع غير هذا، بما أغنى عن إعادته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

سَاءَ مَثَلًا مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، أَيْ: سَاءَ مَثَلُهُمْ أَنْ شُبِّهُوا بِالْكِلَابِ الَّتِي لَا هِمَّةَ لَهَا إِلَّا فِي تَحْصِيلِ أَكْلَةٍ أَوْ شَهْوَةٍ، فَمَنْ خَرَجَ عَنْ حَيِّزِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى وَأَقْبَلَ عَلَى شَهْوَةِ نَفْسِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، صَارَ شَبِيهًا بِالْكَلْبِ، وَبِئْسَ الْمَثَلُ مَثَلُهُ؛ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**»(١).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ أَيْ: مَا ظَلَمَهُمُ اللهُ، وَلَكِنْ هُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، بِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْهُدَى، وَطَاعَةِ الْمَوْلَى، إِلَى الرُّكُونِ إِلَى دَارِ الْبِلَى، وَالْإِقْبَالِ عَلَى تَحْصِيلِ اللَّذَّاتِ وَمُوَافَقَةِ الْهَوَى.

---

(١) البخاري (٢٦٢٢).



الفصل الثالث عشر

بعض الفوائد من قصص نبي الله موسى عليه السلام[1]

() ذكرتُ ها هنا بعض الفوائد، وفي ثنايا ما تقدم جملةٌ هائلة من الفوائد.


MOSTAFAALADWY.COM

الفوائد الإيمانية والاعتقادية

ومنها ما يلي:

الإخبار بأن الله عَزَّوَجَلَّ واحدٌ لا شريك له وهذا أصل الأصول، وذلك من قوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

[طه: ١٤]

بيان أهمية الصلاة وأن الغرض منها إقامة ذكر الله، وهذا من قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ أي لتذكرني فيها –(على قول بعض المفسرين).

التذكير باليوم الآخر والتحذير من الغفلة عنه وذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: ١٥، ١٦].

ومن الفوائد أنه: لن يرى أحدٌ ربه عَزَّوَجَلَّ في الدنيا ولا يجوز لأحدٍ سؤال ذلك في الدنيا وذلك من قوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومن قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٥١].

أما في الآخرة فأهل الإيمان يرون ربهم، والأدلة على ذلك متوافرة اصطفاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتكليم، وذلك من قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[الأعراف: ١٤٤].

ومن الفوائد الاستدلال على نبوة رسولنا محمد ﷺ بإخباره عن أمور ووقائع لم يشهدها وسردها أحسن سردٍ وقصَّها أحسن اقتصاص.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ [القصص: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤].

وقـال تعـالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [القصص: ٤٥].

ومن الفوائد جواز طلب الدعاء من الآخرين قالت بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أي البقرة، وقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ وقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾.

وقال قوم فرعون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾.

ومن الفوائد بيان قدر الله عَزَّوَجَلَّ فقد ضرب موسى الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا وألقى العصا فتحولت إلى حية تسعى وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء وضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم).

وضرب الميت ببعض أجزاء البقرة فأحياه الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن الفوائد أن الأمور مقدرة قال تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾.

[طه: ٤٠]

ومن الفوائد بيان أن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ونحن لا نعلم إلا ما علمنا الله إياه وهذا واضح وجلي في قصة موسى مع الخضر وهنالك جملة من الفوائد فيها.

ومن الفوائد أن الثبات من الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[القصص: ١٠]

ومن الفوائد أن الحفظ من الله عَزَّوَجَلَّ، وأن المحفوظ من حفظه الله، فهو سبحانه الذي حفظ موسى في المهد وحفظه بإرسال رجل إليه يسعى يحذره قائلًا: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠] وحفظه عند مقابلته لفرعون بعد رجوعه من بلاد مدين وحفظه بشق البحر له إلى غير ذلك من صور الحفظ.

ومن الفوائد أن الهداية تكون باتباع الكتب التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ على رسله

قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

[الأنعام: ٩١]

وقال تعالى للأبوين الكريمين آدم وحواء عليهما السلام: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾.

[الأنعام: ١٠٤]

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

[المائدة: ١٥، ١٦]

ومن الفوائد جواز الدعاء للكفار بكشف الضر عنهم إذا رُجي من وراء ذلك هدايتهم قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٤، ١٣٥].

ومن الفوائد حسن التوكل على الله وامتثال أوامر رسل الله ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

ومن الفوائد أن المحسن يكرمه الله قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[القصص: ١٤]

ومن الفوائد المبادرة بفعل ما يرضى الله عَزَّوَجَلَّ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤].

ومن الفوائد النهي عن التطير وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١].

والتطير له معاني:

فمن معانيه التشاؤم وترك الإنسان فعل شيءٍ معين تشاؤمًا ومن صور التطير أن شخصًا ما على سبيل المثال يريد سفرًا فيأتي بطائر يطيرِّه إن طار يمينًا سافر وإن طار شمالًا لم يسافر، بل وتشاءم بالسفر.

❁ ومن صورة أن يترك حاجته تشاؤمًا بسماع بعض الكلمات القبيحة أو التي تحمل شرًّا، فقد يخرج لعمل من الأعمال فيسمع كلمة: يا هالك أو يا خائب، يا خاسر فيترك الذهاب للعمل.

❁ ومنه التشاؤم بأصوات بعض الطيور كالبومة مثلًا.

❁ ومنه التشاؤم بملاقاة شخصٍ أعمى أول النهار مثلًا أو امرأة عجوز شمطاء أو شيخ هرم.

❁ ومنه التشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو الأعوام أو الساعات.

❁ ويدخل فيه الاستقسام بالأزلام كما بيناه في سورة المائدة.

أما الأحاديث الواردة في هذا الصدد فمنها قوله ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» قالوا: وما الفألُ؟ قال: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»[1].

أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ مرفوعًا.

❁ ومنه قوله ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَة، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ**»[2].

---

(١) البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) البخاري (٥٧٠٧).

وحديث: «لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ»(١).

ومنه قوله ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»(٢).

ومن الفوائد أنه لا تسلط لأحدٍ على القلوب إلا الله: فليس لأحدٍ من البشر تسلطٌ على القلوب دلل على ذلك من قصة فرعون مع السحرة.

ودليل ذلك أن فرعون مع قوته وجبروته وتهديده الشديد لم يستطع أن يغير سحرته الذين آمنوا فمع توعده لهم وقوله: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ لم يتغيروا ولم يتأثروا بل ازدادوا ثباتًا بقولهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾.

هذا ومن الفوائد المستنبطة من هذه القصة: أن الخوف الجبلي قد يتسرب إلى أهل الفضل والصلاح ولكنهم يجأرون إلى الله ويستعينون به فينجيهم الله عَزَّوَجَلَّ. أما تسربه إليهم؛ فقد قال تعالى في شأن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] وقال موسى أيضًا: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال:٢٦].

ومن الفوائد أيضًا أن أهل الإيمان ينبغي أن يؤازروا أهل الفضل والصلاح ويعاونونهم وينصحون لهم، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

❁ مجيء الرجل من أقصى المدينة يسعى لنصح موسى وتحذيره كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

❁ ونحو هذا الصنيع صنيع صاحب سورة يس: قال تعالى في شأنه: ﴿ وَجَاءَ

---

(١) البخاري (٥٧٥٤)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤) وغيرهما.

مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠، ٢١].

۞ وقول الحواريين إذ قال لهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

هذه فضلاً على العمومات الآمرة بالتعاون على البرِّ والتقْوى والنصح لكل مسلمٍ.

ومن الفوائد جواز الدعاء على الكفار إذا تمادوا في كفرهم وأصروا عليه وظلموا العباد.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وقول النبي ﷺ: «اللهم عليك الملأ من قريش...» والله أعلم.

فائدة من قوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف: ١٦٠] فيها مشروعية الأخذ بالأسباب، وإلا فالله عَزَّوَجَلَّ قادر على أن يخرج الماء دون أن يضرب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعصاه الحجر.

ونحوه قوله تعالى لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

وقوله تعالى لأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

فائدة في الرد على الجاهل المنكر لمعجزة تفجير الحجر (اثنتا عشرة عينا)

يرد عليه ابتداء بأن الله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

هذا وقد قال الراغب[(١)]: وأنكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده، وهذا المنكر مع أنه لم يتصور قدرة الله تعالى في تغيير الطبائع والاستحالات الخارجة عن العادات، فقد ترك النظر على طريقته إذ قد تقرر عندهم أن حجر المغناطيس يجر الحديد، وأن الحجر المنفر للنحل ينفره، والحجر الحلاق يحلق الشعر، وذلك كله عندهم من أسرار الطبيعة وإذا لم يكن مثل ذلك منكرًا عندهم فغير ممتنع أن يخلق الله حجرًا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض اهـ.

وقصة موسى عليه السلام فيها كمٌّ هائل من الأدلة في الرد على منكري الآيات (المعجزات).

ومن الفوائد أن من زاغ عن الحق عن عمد وقصدٍ يزيده الله عز وجل ضلالًا إلى ضلاله دل على ذلك قوله تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥] وغير هذا الدليل ثمَّ أدلة أُخر منها:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾. [الأنعام: ١١٠]

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ [الأعراف: ١٠١].

ومن الفوائد عذر المؤمنين إذا جهلوا أمرًا (العذر بالجهل) وذلك لما سألت

---

(١) نقلاً من «محاسن التأويل» للقاسمي (ص١٣٦).

بنو إسرائيل موسى -بعد أن جاوزوا البحر وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم- سألوا موسى قائلين: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ولم يحكم عليهم موسى عليه السلام بالكفر وكذا الصحابة لما قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط (لشجرة كان أهل الكفر يعبدونها) لم يحكم النبي ﷺ بكفرهم؛ لكونهم قالوا ذلك عن جهل، ولو كانوا خرجوا من الملّة بهذا القول الذي قالوه عن جهل- لأمرهم النبي ﷺ بدخول الإسلام من جديد، والله أعلم.

ومن الفوائد الإكثار من ذكر الله عند لقاء العدو ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قول أصحاب طالوت:

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠] فقد قال ذلك أصحاب طالوت فهزموا جالوت ومن معه.

❁ **ومنها:** قول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] ، كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

❁ **ومنها:** ما دعا به رسول الله ﷺ على الأحزاب حيث قال: «**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم**»[(١)].

❁ **ومنها:** «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» كما ورد في حديث الملك والساحر والغلام[(٢)].

وقول تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ [طه: ٤٢].

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩٣)، ومسلم (مع النووي ٨/ ٢)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٨/ ١٣٠)، من حديث صهيب عن رسول الله ﷺ.. فذكر القصة وفيها أن الغلام قال ذلك.

ومن الفوائد أن أهل الكفر والعياذ بالله يمكرون بأنفسهم وما يشعرون. وضح ذلك من قصة فرعون مع موسى عليه السلام.

تلك واضحة في مواطن منها: أن فرعون اجتهد في جمع السحرة من كل مكان واجتهد في جمع الناس كذلك، فهو يجتهد كي يظهر خطأ موسى عليه السلام بزعمه، ولكن كل السحرة الذين جمعهم كانوا جنده واكتشفوا بطلان ما هم عليه فكأنه جمعهم ليريهم أن موسى عليه السلام رسولٌ من عند الله وأن ما جاء به هو الحق.

فهو يريد أمرًا والله يريد أمرًا آخر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وكذا ينضم إلى ذلك جمعه للناس وللجنود لملاحقة موسى عليه السلام ولقتله هو ومن آمن معه فجمعهم فأغرقه الله ومن معه جميعًا، فكأنه جمعهم للغرق بل جمعهم لذلك وهم لا يشعرون، فحقًّا إن الله عز وجل من وراء الكافرين محيط، وكما قال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، والله أعلم.

الفوائد الفقهية:

ومنها ما يلي:

جواز تقسيم المياه إذا دعت الضرورة لذلك، نعم قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار**» وذلك عند أبي داود وأحمد[1] وغيرهم.

---

(١) أبو داود (٣٤٧٧) وأحمد (٥/ ٣٦٤) وغيرهما.

من طريق حريز بن عثمان عن أبي خداش (وهو حبان بن زيد الشرعي) عن رجل من المهاجرين.. به مرفوعًا.

وحبان بن زيد الشرعي لم أقف على من وثقه إلا ابن حبان ولكن ذكر أبو داود أن شيوخ حريز كلهم ثقات (وعلى هذا القول تحفظ عندي).

وأخرج ابن ماجه (٢٤٧٣) بإسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا «**ثلاث لا يُمنعن الماء والكلأ والنار**».

لكن إذا دعت الحاجة إلى تقسيم الماء قُسم وقد قال النبي ﷺ للزبير لما حدث نزاع بينه وبين الأنصاري في شراج الحرَّة: «**اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى الأنصاري**»(١).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

[الشعراء: ١٥٥]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨]، والله تعالى أعلم.

وفيها من الفوائد جواز نقل الرجل زوجته من بلدة أهلها إلى حيث يشاء الرجل ما لم يكن هناك ضرر على المرأة فقد انتقل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأهله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص: ٢٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ فيه دليل على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء، لما له عليها من فضل القوامة وزيادة الدرجة إلا أن يلتزم لها أمرًا، فالمؤمنون عند شروطهم وأحق الشروط أن يوفى به ما استُحلت به الفروج.

ومن الفوائد جواز مخاطبة الرجل للمرأة الأجنبية عند أمن الفتنة، وذلك من قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للمرأتين: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ وإجابتهما بقولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

---

(١) أخرج البخاري (٢٧٠٨) من حديث عروة بن الزبير أن الزبير كان يُحدِّث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرًا إلى رسول الله ﷺ في شراجٍ من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله ﷺ: «**اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك**» فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر**» فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، قال عروة: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]. والحديث أخرجه مسلم من طريق عبدالله بن الزبير أيضًا.

وفي الباب أدلة أُخر منها:

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.

[الأحزاب: ٥٣]

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

[البقرة: ٢٣٥]

❁ وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وأخرج البخاري[1] حديث أبي موسى رضي الله عنه في قصة الهجرة إلى الحبشة، وفيه: ودخلت أسماء بنت عُمَيْس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وايم الله، لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، قال: «**فَمَا قُلْتِ لَهُ؟**» قالت: قلت له كذا وكذا، قال: «**ليسَ بأحَقَّ بي مِنْكُمْ، ولَهُ ولأصحابه هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، ولَكُمْ أنْتُمْ أهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**»، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً ليسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء

(١) البخاري (٤٢٣٠).

هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ.

❁ وأخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: «**لَيْسَ علَى أبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**» فلما مات، قالت:

يا أبتاه، أجاب ربّا دعاه يا أبتاه، مَنْ جنةُ الفردوس مأواه؟

يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه

فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت نفوسُكم أن تحثُوا على رسول الله ﷺ الترابَ؟!.

من الفوائد المأخوذة من إجابة موسى عليه السلام للمرأة إذ دعته قائلة: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أن موسى عليه السلام لم يتردد لما طُلب منه أن يذهب لتقاضى أجرة على السقيا مع كونه لم يشترط ذلك، وكان قد عمل عمله لله عز وجل فمن الأنبياء نتعلم، فموسى محتاج، ولم يسأل ولم يتسول عليه السلام، فمن ثمَّ أجاب.

ومن الفوائد عرض الرجل ابنته على الرجل الصالح للزواج بها كما قال الشيخ الكبير لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ.... ﴾ الآية.

وفي الباب أدلة أُخر منها أخرج البخاري[1] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يُحدِّث أن عمر بن الخطاب حين تأيَّمتْ حفصةُ بنت عمر من خُنيس بن حذافة السهمي ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة ـ فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصةَ فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالَي ثم لَقِيَني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقِيتُ أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوَّجتُك حفصةَ بنتَ عمر فصَمَتَ أبو بكر فلم

(١) البخاري (٥١٢٢).

يُرجع إليَّ شيئًا، وكنت أَوْجَدَ عليه منِّي على عثمان، فَلَبِثْتُ ليالَي ثم خطبها رسولُ الله ﷺ فأنكحتُها إيَّاه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدتَ عليّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ ولو تركها رسولُ الله ﷺ قبلتُها[١].

۞ وأخرج البخاري من حديث أم حبيبة[٢] قالت: قلت: يا رسول الله، أنكِحْ أختي بنتَ أبي سفيان. قال: «**وَتُحِبِّينَ؟**» قلت: نعم، لستُ لك بمخلية، وأحبُّ من شاركني في خيرٍ أختي، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ ذلكَ لا يَحِلُّ لي**»، قلت: يا رسول الله، فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة، قال: «**بنتُ أمِّ سَلَمَةَ؟**» فقلت: نعم، قال: «**فَوَاللهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ في حِجْرِي مَا حَلَّتْ لي، إنَّها لابْنَةُ أَخِي مِن الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وأبا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَ عليَّ بناتِكُنَّ ولا أَخَوَاتِكُنَّ**».

۞ وأخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث عليٍّ رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ما لك تنوِّق[٤] في قريش وتدعنا؟ فقال: «**وَعِنْدَكُمْ شيْءٌ؟**» قلت: نعم، بنت حمزة فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّها لا تَحِلُّ لي، إنَّها ابْنَةُ أخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**».

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ (فتح الباري ٩/ ١٧٨): وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه؛ لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجًا؛ لأن أبا بكر كان حينئذٍ متزوجًا.

(٢) البخاري (٥١٠٧).

(٣) مسلم (حديث ١٤٤٦).

(٤) تختار وتنتقي وتبالغ في الانتقاء.

ومن الفوائد جواز مؤخر الصداق لأن العمل في المستقبل والسنوات الثمان قادمة.

وفيه جواز استفادة الرجل من مهر ابنته، لأن الشيخ الكبير استفاد من عمل موسى عنده، وهذا، والله أعلم محمول على أن البنت وافقت على ذلك لأن الصداق من حقها لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النساء: ٤].

وفيه من الفوائد مبادرة الشباب إلى الزواج إذا وجدوا مؤنه وتوفرت عندهم أسباب الباءة (وهي القدرة على المعاشرة والقيام بأعباء الزواج وتكاليفه أيضًا).

فقد قبل موسى عليه السلام العمل كأجير لمدة ثمان سنين من أجل إعفاف نفسه عليه السلام.

وفيه من الفوائد جواز النظر إلى امرأتين كي يخطب واحدة منهما ما لم يُبد ركونًا لواحدة منهما وذلك من قوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾.

ولقول سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف لما آخى بينهما رسول الله ﷺ بالمدينة: (وانظر إلى إحدى زوجتي هاتين).

❁ أخرج البخاري[1] من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: لما قدموا المدينة آخى رسولُ الله ﷺ بين عبدِ الرحمن وسعد بن الرَّبيع.

قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسِمْ مالي نصفَين، ولي امرأتان، فانظرْ أعجبَهما إليك فسَمِّها لي أطلِّقها، فإذا انقضتْ عدَّتُها فتزوجْها.

قال: بَارَكَ اللهُ لك في أهلِكِ ومالِكِ ، أين سُوقُكم، فدَلُّوهَ على سوقِ بني قينُقاعَ، فما انقلب إلا ومَعَهُ فضلٌ من أقِطٍ وسمنٍ.

ثم تابع الغدُوَّ. ثم جاء يومًا وبه أثر صفرةَ، فقال النبيُّ ﷺ: «مَهْيَم؟» قال:

---

(١) البخاري (٣٨٧٠).

تزوجتُ. قال: «**كَمْ سُقت إليها؟**» قال: نواةً من ذهب ـ أو وزن نواةٍ مِن ذهب.

❁ وعنده [١] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قدِمَ علينا عبدُ الرحمن ابن عوف وآخى النبيُّ ﷺ بينَه وبين سعد بن الربيع ـ وكان كثيرَ المالِ ـ فقال سعد: قد علِمَتِ الأنصارُ أنِّي من أكثرِهَا مالاً، سأقسِمُ مالي بيني وبينك شطرَيْنِ، وليَ امرأتانُ انظرْ أعجبهما إليك فأطلِّقُها حتى إذا حَلَّتْ تزوجتَها، فقال عبدُ الرحمن: بارك الله لك في أهلِك. فلم يرجعْ يومئذٍ حتى أفضل شيئًا من سمنٍ وأقِطٍ، فلم يَلْبَثْ إلا يسيرًا حتى جاء رسولَ الله ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفْرة. فقال له رسولُ الله ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**» قال: تزوجتُ امرأةً من الأنصارِ، قال: «**ما سُقْتَ فيهَا؟**» قال: وزنَ نواة من ذهب ـ أو نواةً من ذهب ـ فقال: «**أوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**».

وإذا تقدم لامرأة شخصٌ يخطبها فرآها، ولم تُبدِ له موافقةً ولا رفضًا، هل لشخص آخر أن يتقدم إليها ويراها لخطبتها قبل أن تبدي الموافقة أو الرفض للأول؟

وذلك جائز لحديث فاطمة بنت قيس [٢]؛ ففيه:

أن فاطمة بنت قيس ذكرت للنبي ﷺ أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباها فقال رسولُ الله ﷺ: «**أمَّا أبُو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عَصَاهُ عنْ عَاتِقِهِ، وأمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ، أنْكِحِي أُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ**»، فكرهته، ثم قال: «**أنْكِحِي أُسَامَةَ**» فنكحته فجعل الله فيه خيرًا واغتبطت به.

وقد قال عدد كبير من أهل العلم في تفسير حديث رسول الله ﷺ: «**لا يَخْطُبْ أحَدُكُم على خِطْبَةِ أخِيهِ**» ما حاصِلُهُ:

إذا تقدم رجلٌ لخطبة امرأةٍ فرآها ورأتْه، ولم تركن إليه ولم تُبدِ له موافقةً،

(١) البخاري (حديث ٣٧٨١).
(٢) مسلم (٣/ ٦٩٣).

فيجوز لغيره أن يتقدَّم لخطبتها، فالعبرة برضا المخطوبة وركُونِها إلى الخاطب، فإذا رَضِيَتِ المخطوبة بالخاطب وركنت إليه فلا يحلُّ لأحدٍ أن يتقدَّم إليها حتى يترك الخاطبُ الأولُ.

وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

قال الإمام مالك رحمه الله «الموطأ»[(١)]:

وتفسيرُ قول رسول الله ﷺ - فيما نرى والله أعلم -: «**لا يَخْطُبْ أحَدُكُم عَلى خِطْبَةِ أخِيهِ**» أن يخطب الرجل المرأة فتركن إليه، ويتفقان على صداق واحد معلوم، وقد تراضيا، فهي تشترط عليه لنفسها، فتلك التي نَهى أن يخطبها الرجل على خطبة أخيه، ولم يعْنِ بذلك إذا خطب الرجل المرأة فلم يوافقها أمرُه، ولم تركن إليه أن لا يخطبها أحد فهذا بابُ فسادٍ يدخل على الناس.

قال الترمذي رحمه الله[(٢)]:

قال مالك بن أنس: إنما معنى كراهية أن يخطب الرجل على خِطبة أخيه إذا خطب الرجل المرأة فرَضَيَتْ به، فليس لأحدٍ أن يخطب على خطبته.

وقال الشافعي:

معنى هذا الحديث: «**لا يخطب الرجلُ على خِطْبَةِ أخيه**» هذا عندنا إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به وركنت إليه، فليس لأحد أن يخطب على خطبته، فأما قبل أن يعلم رضاها أو ركونها إليه فلا بأس أن يخطبها.

والحجة في ذلك حديث فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها فقال: «**أما أبو جهم فرجلٌ لا يرفع عصاه عن النساء، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، ولكن أنكحِي أسامة**».

---

(١) الموطأ (ص ٥٢٣).

(٢) عقب حديث (١١٣٤).

فمعنى هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ أن فاطمة لم تخبره برضاها بواحد منهما، ولو أخبرته لم يُشِر عليها بغير الذي ذكرت.

وقال أبو جعفر الطحاوي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ «شرح معاني الآثار»(١):

فلما خطب رسول الله ﷺ فاطمة على أسامة بعد علمه بخطبة معاوية وأبي جهم إياها، كان في ذلك دليلٌ على أن تلك الحال يجوز للناس أن يخطبوا فيها، وثبت أن المنهي عنه بالأثر الأُوَل خلاف ذلك فيكون ما تقدم ذكرنا له في هذا الباب ما فيه الركون إلى الخاطب، وما ذكرنا بعد ذلك، ما ليس فيه ركون إلى الخاطب حتى تصح هذه الآثار وتتفق معانيها ولا تتضاد.

وقال الخرقي رَحِمَهُ اللهُ في مختصره(٢):

من خطب امرأة فلم تسكن إليه فلغيره خطبتها.

والحجة في ذلك حديثُ فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها فقال: «**أما أبـو جَهْـمٍ فَرَجُـلٌ لا يَرْفَعُ عَصَاهُ عنِ النِّساءِ، وأمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكَ لا مَالَ لَهُ، ولكن أنكحِي أُسَامَةَ**».

فمعني هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ أن فاطمة لم تخبره رضاها بواحدٍ منهما ولو أخبرته لم يُشِرْ عليها بغير الذي ذكرت.

وفصَّل ابن قدامة حال المخطوبة إلى ثلاثة أقسام:

(الأول): أن تسكن إلى الخاطب فتُجيبه، أو تأذن لوليها في تزويجه؛ فهذه يحرم على غير خاطبها خطبتها.

(الثاني): أن ترده ولا تركن إليه؛ فهذه يجوز خطبتها.

(الثالث): أن يوجد من المرأة ما يدل على الرضى والسكون تعريضًا لا

---

(١) (٣/ ٦).

(٢) (٦/ ٦٠٤).

تصريحًا. واختار ابن قدامة في هذه الحال أنها تمنع من الخُطَّاب الآخرين.

من الفوائد أن طلاق الغضبان لا يقع، إذا كان الغضب غضبًا شديدًا لا يستطاع معه منع النفس من التصرفات وهذا قول بعض أهل العلم ووجه الاستشهاد لذلك أن موسى عليه السلام ألقى الألواح التي فيها هدى ونور، وفيها موعظة وتفصيلٌ لكل شيء، وكذا فإنه أخذ برأس أخيه يجرُّه إليه، ولكنه فعل هذا وذاك وقت غضبه الشديد لما وجد قومه يعبدون العجل، فعفى له عن ذلك، قالوا: فمن ثم لا يقع طلاق الغضبان غضبًا شديدًا أفقده التحكم في تصرفه.

ومن الفوائد التحذير من الغضب فإنه آل بموسى عليه السلام إلى أن يُلقي الألواح.

ومن الفوائد استحباب اللون الأصفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩﴾.

ومن الفوائد بيان أن اللحية كانت فيمن كانوا قبلنا وذلك من قول هارون عليه السلام: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾.

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان):

تنبيه:

هذه الآية الكريمة بضميمة آية «الأنعام» إليها تدل على لزوم إعفاء اللحية، فهي دليل قرآني على إعفاء اللحية وعدم حلقها. وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤]. ثم إنه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم، وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك أمر لنا. لأن أمر القدوة أمر لأتباعه كما بينا إيضاحه بالأدلة القرآنية في هذا الكتاب المبارك في سورة «المائدة» وقد قدمنا هناك: أنه ثبت في صحيح البخاري: أن مجاهدًا سأل ابن

عباس: من أين أخذت السجدة في «ص» قال: أو ما تقرأ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ ﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾، فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ فإذا علمت بذلك أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا ﷺ بالاقتداء بهم في سورة «الأنعام» ، وعلمت أن أمره أمر لنا. لأن لنا فيه الأسوة الحسنة، وعلمت أن هارون كان موفرًا شعر لحيته بدليل قوله لأخيه: لا تأخذ بلحيتي لأنه لو كان حالقًا لما أراد أخوه الأخذ بلحيته تبين لك من ذلك بإيضاح: أن إعفاء اللحية من السمت الذي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم. والعجب من الذين مسخت ضمائرهم، واضمحل ذوقهم، حتى صاروا يفرون من صفات الذكورية، وشرف الرجولة، إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم بحلق أذقانهم، ويتشبهون بالنساء حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر، والأنثى وهو اللحية. وقد كان ﷺ كث اللحية، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة. والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها: ليس فيهم حالق. نرجو الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقًّا، ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

أما الأحاديث النبوية الدالة على إعفاء اللحية، فلسنا بحاجة إلى ذكرها لشهرتها بين الناس، وكثرة الرسائل المؤلفة في ذلك. وقصدنا هنا أن نبين دليل ذلك من القرآن.

ومن الفوائد استخلاف صالح على الناس ووصيته بالإصلاح كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام وقال له: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

ومن الفوائد أن الشخص لا يتصدى ولا يجابه من لا طاقة له به قال تعالى في شأن موسى عليه السلام فخرج منها خائفًا يترقب.

وقال موسى عليه السلام للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [القصص: ١٨] قيل في معناه لأنك تقاتل من لا طاقة لك بقتاله.

فوائد أخلاقية ومنها: التحلي بالصبر، وذلك من قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ومن الفوائد من هذه القصة وكما سلفت الإشارة إليه أن أهل الفضل والصلاح قد تصدر منهم زلات وهفوات وذنوب، بل وقد تتكرر، ولكنهم لا ييأسوا من روح الله ولا يقنطوا من رحمته.

وقد قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾. [الحجر: ٥٦]

وقال حفيده النبي الكريم يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وثمَّ أدلة لترسيخ هذا المعنى، يجدر أن أذكِّر بها حتى لا ييأس أحدٌ ولا يقنط فأقول وبالله التوفيق.

❁ قد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أن العبد يُذنب ثم يظن أن ذنبه لا يغفر فيترك الاستغفار ويترك الرجوع إلى الله، فمن ثَمَّ يقع في الهلكة[1]، والعياذ بالله.

---

(١) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسنادٍ صحيح عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال: هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة يقول: لا توبة لي.

وفي رواية (٣١٦٩): «هو الرجل يذنب فيقول: لا يغفر الله له». وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضًا، فأخرج بإسنادٍ صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: هو الرجل يُذنب الذنب فيستسلم ويُلقي بيده إلى التهلكة، ويقول: لا توبة له - يعني قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

=

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ[1] فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقَالَ اللهُ تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ربًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ ربِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى ـ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ: رَبِّ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى ـ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**».

وها هو رجل يُكثر من شرب الخمر فيؤْتى به إلى رسول الله ﷺ، فأخرج البخاري[2] من حديث عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب «حِمَارًا»، وكان يُضْحِكُ رسولَ الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمرَ به فجلد فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تَلْعَنُوه فَوَاللّهِ مَا[3] عَلِمْتُ أَنَّه يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ**»[4].

= وقال الطبري – بعد أن أورد جملة أقوال في تفسير الآية الكريمة: وكذلك الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه مُلق بيديه إلى التهلكة؛ لأن الله قد نهى عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَأْيْـَسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٣) نقل الحافظ ابن حجر في «ما» هنا أقوالًا: أقربها: ما نقله عن أبي البقاء في «إعراب الجمع» أنه قال: ما زائدة أي فوالله علمت أنه. والهمزة على هذا مفتوحة قال: ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا؛ أي: علمت عليه أو فيه سوءًا ثم استأنف فقال: «**إنه يحب الله ورسوله**».

(٤) عند أبي يعلى (١/ ١٦١) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، أن رجلًا كان يلقب «حمارًا» وكان يهدي لرسول الله ﷺ العكة من السمن والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاها جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله، أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يبتسم ويأمر به فيعطى... فذكر الحديث وفي آخره: «**لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله**». وإسناده حسن.

❁ وفي رواية أن رجلاً قال: ما له أخزاه الله! فقال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطانِ على أخيكُمْ**»[(١)] .

فجديرٌ بالعبد أن لا يقنط أبدًا من رحمة الله عز وجل بل كلما سقط ووقع في ذنب قام واستغفر وأناب، فليس ثمَّ أحدٌ بمعصوم من الذنب، وقد قال تعالى في شأن المتقين الذين أعدت لهم الجنان: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فذكر من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

فحتى التَّقيُّ قد تصدر منه كبيرة، قد تزل قدمُه ويقع في فاحشة، ولكنه يُقلع عنها وينيب إلى ربه ويستغفر:

❁ وها هم المرسلون، قال تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النمل: ١٠، ١١] وموسى الكليم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وعلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قتل نفسًا فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

❁ وهؤلاء الذين جاؤوا بالصدق وصدَّقُوا به، قال اللهُ عنهم: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ [الزمر: ٣٥] ففيه دليل على أنهم عمِلُوا شيئًا من السوء.

ومن الفوائد مشروعية تذكير المعتدين وذلك من قول موسى عليه السلام للسحرة:

﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١﴾.

[طه: ٦١]

ولذلك أدلة أُخر من الكتاب العزيز ومن السنة المباركة فمن ذلك قول مريم

---

(١) هي عند البخاري (٦٧٨١).

عليها السلام لجبريل عليه السلام لما تمثل لها بشرًا سويًّا وما كانت تعرفه: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: ١٨] وقول ابن آدم الأول المقتول لأخيه القاتل وذلك قبل قتله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المائدة: ٢٨].

من الفوائد ذكر بعض من مخازي الكفار من بني إسرائيل، وعنادهم وجهلهم، وخلافهم لأمر رسولهم، وذلك حتى نحذرهم ونكون على حيطة في التعامل مع من هم على شاكلتهم.

من ذلك ما يلي:

❁ جبنهم وتقاعسهم عن دخول الأرض المقدسة، وسوء أدبهم مع نبيهم عليه السلام، وقولهم: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤].

❁ وقولهم لمَّا أنجاهم الله من فرعون وملئه، وأغرق عدوهم أمام أعينهم، وقد مروا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

❁ ومن ذلك قولهم: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة:٥٥].

❁ ومن جهلهم استبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، إذ قالوا: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ [البقرة:٦١]. طلبوا ذلك بدلاً من المنِّ والسلوى.

❁ ومن ذلك عبادتهم العجل وقولهم ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه:٨٨].

❁ ومن ذلك قتلهم الأنبياء بغير حقٍّ، وتركهم التناهي عن المنكر، وسعيهم في الأرض بالفساد.

❁ ومن ذلك تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتقوُّلهم على الله بغير علم، وكفرهم بآيات الله.

❁ ومن ذلك عداؤهم لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطعنهم في الأنبياء، وتكذيبهم لهم، واعتداؤهم في السبت بعد أن أُخذ عليهم الميثاق الغليظ.

❁ ومن ذلك ظلمهم وصدهم عن سبيل الله كثيرًا، وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل.

❁ ومن ذلك وصفهم ربهم بأوصاف كاذبة، مفتراةً ليست من صفاته، كقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١] تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

❁ ومن ذلك نسبتهم الولد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بقوله: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فائدة دعوية من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ متعلقة بأدب الخطاب:

هذه الفائدة فحواها أننا نستجيش الناس بما نعلم فيهم من صلاح وخير وإحسان، فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يا أولاد يعقوب، ومن المعلوم أن يعقوب نبي كريم فكأنه قيل لهم: يا أولاد النبي الكريم يعقوب كونوا صالحين كرماء أتقياء كأبيكم، ونحوه قول الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾ [الإسراء: ٣] أي: يا ذرية الصالحين المحمولين مع نوح،(فما حمل مع نوح إلا مؤمن) كونوا صالحين كآبائكم، ونحوه قول قوم مريم لمريم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨].

فوجه الاستفادة في الدعوة إلى الله أننا نخاطب الناس فنقول: يا ابن الشجاع بارز الأبطال، يا ابن الحسن تصدق، يا ابن العالم تعلَّم، ونحو ذلك من وجوه الاستجاشة، والله تعالى أعلم.

ومن الفوائد تذكير الأشخاص بنعم الله عليهم، قال تعالى لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم: ٥] أي: بنعم الله.

ومن الفوائد تذكر نعم الله وشكرها والتحديث بها عند من يُحبنا ونحبه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ...﴾ [إبراهيم: ٦].

فائدة: حاصلها أن المؤمن لا يحب أن يفتن ولا أن يُفتن به غيره:

وذلك واضح من أقوال العلماء في الآية الكريمة في إيضاح قول أهل الإيمان إذ قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥﴾ فلها معنيان:

أحدهما: لا تجعلنا سببًا في فتنة القوم الظالمين، فإنهم إذا انتصروا علينا ظنوا

أنهم على الحق فبقوا على كفرهم وتمادوا فيه وانصرفوا عن الإيمان.

الثاني: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا ويصرفوننا عنه ويحملوننا على الكفر.

والله أعلم.

ومن الفوائد أن أهل الشر والفساد يزعمون أنهم أهل خيرٍ وصلاح ويصفون مُخالفهم بالجنون والإفساد.

ومن الأدلة على ذلك قول قوم فرعون لفرعون لعنه الله: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ﴾.

وقول فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾).

فيستفاد من ذلك الحذر من أهل الكفر في هذا الباب.

ومن الفوائد فتح باب التوبة أمام الجناة والعصاة والمذنبين وذلك حتى يرجع من عصى إلى طاعة ربِّه عَزَّوَجَلَّ ولا ييأس شخص من روح الله ولا يقنط من رحمته.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى – بعد أن ذكر ما أعدَّه لعبدة العجل من العقوبة-: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]

وقوله تعالى في شأن الذين خدُّوا الأخاديد لأهل الإيمان وقذفوهم فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ [البروج: ١٠] أي: أنهم لو تابوا تاب الله عليهم.

وقوله تعالى في شأن تاركي الصلاة الذين جاؤوا بعد القوم الصالحين، واتبعوا الشهوات: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وكذا بعد ذكر أهل الشرك والقتلة والزناة: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١].

وكذا قوله تعالى في الأعراب الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

ومن الأدلة أيضًا ما يلي:

قول الإسرائيليين: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. [الأعراف: ١٤٩]

وقول موسى عليه السلام لما قتل القبطي: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦].

وقول آدم وحواء عليهما السلام لما أكلا من الشجرة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقول يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]

وقول نوح عليه السلام لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] وعاتبه ربه عز وجل بقوله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦].

قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧] إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الفوائد أن الأماني والأقوال شيءٌ والأفعال شيء آخر:

إيضاح ذلك: أن الملأ من بني إسرائيل طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكًا

يقاتلون معه في سبيل الله فراجعهم نبيهم في طلبهم بقوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة:٢٤٦]،فأكدوا طلبهم بقولهم ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦]، فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم.

۞ ثم لما بعث الله لهم طالوت ملكًا بدؤوا في اعتراض آخر بقولهم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة:٢٤٧].

۞ ثم لما ابتلاهم الله بالنهر شربوا منه إلا قليلاً منهم.

۞ ثم لما جاوزوا النهر قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾.

[البقرة:٢٤٩]

۞ ولم يثبت إلا أهل اليقين الذين قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾ [البقرة:٢٤٩] ، والله تعالى أعلم.

وقد قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

[آل عمران: ١٧٩]

ومن الفوائد أن أهل الكفر لا عهد لهم ولا ميثاق:

ومن أدلة ذلك: ما ذُكر في الآيات المباركات: إذ قال قوم فرعون لموسى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾. وطلب قوم صالحٍ من صالح عليه السلام أن يدعو ربه أن يأتيهم بآية فدعا ربه فأخرج لهم الناقة فكذبوه فعقروها.

وعيسى عليه السلام كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله فقال الذين كفروا: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ

عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣١-٣٣].

قال فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾. والأدلة على هذا كثيرة جدًّا.

مزيدٌ من ذِكر بعض السبل التي يسلكها أهل الكفر لصرف المؤمنين عن دينهم:

ويجدر بنا أن نُذَكِّر ببعض السبل التي يسلُكها أهل الكفر لصرف أهل الإيمان عن دينهم وإيمانهم إذ قد سلك فرعون كثيرًا من هذه السبل، هذا، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] فمن هذه السبل ما يلي:

❁ القتل والقتال: قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

❁ وكما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن فرعون قوله: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

❁ وكما قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [النمل: ٤٨، ٤٩].

الحروب الاقتصادية والتضييق على المسلمين في البيع والشراء والتعاملات: كما حدث للرسول ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب، وكما أوصى أهل النفاق بعضهم بذلك فقالوا: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧].

ومن ذلك حصار المسلمين - كما حدث لرسول الله ﷺ وأصحابه - في شِعب أبي طالب!

ومن ذلك التشويش على القرآن وعلى السنة واللغو فيهما ومحاولة الخلط والتحريف: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦].

وقد قال تعالى ذكره في كتابه الكريم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

[لقمان: ٦، ٧]

ومما ذُكر في تفسيرها أن رجلًا من أهل الكفر كان يشتري الجواري المُغنيات والراقصات المتمايلات ويجمع حولهن رجال قريش وشبابها حتى لا يستمعوا إلى القرآن، ولا يُقبلوا على رسول الله ﷺ والله أعلم.

هذا، ومن السبل التي يسلكها أهل الباطل لصرف الناس عن هذا الدين القويم

اتباع المتشابه وترك المحكم وإثارة الشُّبه في أوساط المسلمين:

❁ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾ [آل عمران: ٧].

❁ وقد قال النبي ﷺ لعائشة وقد تلا قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

❁ قال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَيتَ الرجُلَ يَتْبَعُ المُتَشَابِه، ويتركُ المُحكَمَ فأُولئِكَ الذِينَ سَمَّى اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَاحْذَرُوهُم»[1].

❁ ومن ذلك إثارة النعرات الجاهلية والعصبيات الجاهلية: كما قالوا: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴾ [المنافقون: ٨].

(١) البخاري (٤٥٤٧).

❁ **ومن ذلك نشر الشائعات والأراجيف في أوساط المسلمين:** كما صنعوا في حديث الإفك، وكما ذكَّرنا الله بقوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠].

❁ **ومن ذلك التلويح والتهديد بالطرد والإبعاد والإخراج من البلاد:** كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] وكما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] وكما قال قوم شعيب: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

❁ **ومن ذلك التهديد بالسجن:** كما قال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

❁ **ومن ذلك قتل الدعوات في مهدها:** وهو الذي يسميه البعض «تجفيف المنابع» كما كان فرعون يفعل من ذبح الأبناء.

❁ **ومن ذلك مبدأ تفريق المسلمين:** وهو الشعار الذي يرفعه أهل الكفر، (فرِّقْ تَسُدْ) وهو ما كان يصنعه فرعون: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

❁ **ومن ذلك اعتناق الأديان لتخريبها:** كما أخبر الله تعالى عن صنيع اليهود السيئ في هذا الباب، فقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

❁ **ومن ذلك اللهو واللعب والكذب الصُّراح:** لصرف الناس عن دينهم.

❁ **ومن ذلك وصف أئمة الهُدى ومنارات الخير للناس بأوصاف لا تليق بهم:** كما وصفوا المرسلين بأنهم سحرة وكهنة وكذبة ومفسدون ومتخلفون

ورجعيون.

❁ ومن ذلك نشر الشر والفساد والحض على اتباع الشهوات وتزيينها: قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٢٧].

❁ ومن ذلك قتل المعاني الجميلة والخصال الطيبة: كالعفاف والستر والنقاء والطهارة والكرم والجود والشجاعة والنجدة والشهامة.

❁ ومن ذلك ليُّ الكلام وتحريفه عن مواضعه: وإلباس الباطل ثوب الحق.

❁ ومن ذلك الطعن في أركان الإيمان عمومًا وكذلك أركان الإسلام.

❁ ومن ذلك التفريق في الإيمان بين بعض الرسل وبعض، وبعض الكتب وبعضها.

ومن الفوائد أن أهل الصلاح أيضًا لهم أعداء ولهم حُسَّاد يحسدونهم.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قول هارون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ فدلَّ على أن هناك أعداءً لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وكذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾.

وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «لم يأت أحدٌ قطّ بمثل ما جئت به إلا عُودِي».

وقد ورد أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من شماتة الأعداء[(١)].

ومن الفوائد إقرار المخالف إذا قال قولًا حقًّا وذلك من قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٤٨)، ومسلم (١٧/ ٣٠) من طريق سفيان حدثني سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ، يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. قال سفيان الحديث ثلاث، زدت أنا واحدة لا أدري أيتهن هي.

لما قال له فرعون: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[الشعراء: ١٩]

يعني كافرين النعم التي أنعمنا بها عليك، قال: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

[الشعراء: ٢٠]

فوائد في الأصول والتفسير:

ومن هذه الفوائد ما يلي: أن الأمر يفيد الوجوب أخذ ذلك بعض أهل العلم من قول موسى عليه السلام: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨] وذلك في قصة ذبح البقرة وهنالك أدلة أُخر كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ومن السُّنة قول النبي ﷺ: «**لو قلت نعم لوجبت**»، والله تعالى أعلم.

ومن الفوائد بيان مثال لتفسير القرآن بالقرآن وإيضاحه أن الله قال: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]، وقال في آية أخرى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، فالقوم الآخرون هم بنو إسرائيل.

ومن الفوائد في التفسير تقدم اللفظ وتأخر المعنى أحيانًا وذلك من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فهذا متقدم في السياق، ولكن معناه متأخر عن قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ فهذا متأخر في السياق لكن متقدم في المعنى، والله أعلم.

ولهذا نظائر في الكتاب العزيز لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

متقدم في السياق عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فالأخير متقدم في المعنى فالمرأة كانت أولًا تمكث في بيت الزوجية سنة كاملة وبعد خففت إلى أربعة

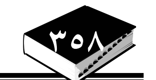
أشهر وعشرًا، والله أعلم.

ومن الفوائد أن الحكم يُبنى على الظاهر وذلك مأخوذ من قصة البقرة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم، من قولهم: إنَّ بني إسرائيل لو كانوا أخذُوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدَّد الله عليهم ـ من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أنَّ حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رَسُوله ﷺ، على العموم الظاهر، دون الخصوص الباطن، إلا أن يخص بعض ما عمَّه ظاهر التنزيل، كتابٌ من الله أو رسولُ الله؛ وأن التنزيل أو الرسول، إن خصَّ بعض ما عمَّه ظاهرُ التنزيل بحكم خلاف ما دلَّ عليه الظاهر، فالمخصوص من ذلك خارجٌ من حكم الآية التي عمَّت ذلك الجنس خاصة، وسائرُ حُكم الآية على العموم؛ على نحو ما قد بيناه في كتابنا «كتاب الرسالة» من لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام ـ في قولنا في العموم والخصوص، وموافقةِ قولهم في ذلك قولَنا ومذهبهم مذهبَنا، وتَخطئتهم قولَ القائلين بالخصوص في الأحكام، وشهادَتهم على فساد قول من قالَ: حُكْم الآية الجائية مجيء العموم على العموم، ما لم يُختصَّ منها بعض ما عمَّته الآية. فإن خُصّ منها بعضٌ، فحكم الآية حينئذٍ على الخصوص فيما خُصَّ منها، وسائر ذلك على العموم.

وذلك أن جميع مَنْ ذكرنا قوله آنفًا ـ ممن عابَ على بني إسرائيل مسألتَهم نبيَّهم ﷺ عن صِفة البقرة التي أمروا بذبحها وسِنِّها وحِليتها ـ رأوا أنهم كانوا في مسألتهم رسول الله ﷺ مُوسى ذلك مخطئين، وأنهم لو كانوا استعرضوا أدْنى بقرة من البقر ـ إذْ أُمِروا بذبحها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧]، فذَبحوها –كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤدّين، وللحق مُطيعين، إذ لم يكن القوم حُصروا على نوع من البقر دون نوع، وسنٍّ دون سنٍّ.



ورأوا مع ذلك أنَّهم ـ إذْ سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها، وحَصرهم منها على سنٍّ دون سن ونوع دون نوع، وخصَّ من جميع أنواع البقر نوعًا منها ـ كانوا في مسألتهم إيَّاهُ في المسألة الثانية، بعد الذي خصَّ لهم من أنواع البقر، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إيَّاه المسألةَ الأولى.

وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية، وأن اللازمَ كان لهم في الحالة الأولى، استعمالُ ظاهر الأمر، وَذبح أيِّ بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة.

وكذلك رأوا أنَّ اللازم كان لهم في الحال الثانية، استعمالُ ظاهر الأمر وذبح أي بَهيمة شَاءوا مما وقع عليها اسم بقرة عَوَان لا فارض ولا بكر، ولم يَروا أنَّ حكمهم ـ إذ خُصَّ لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية ـ انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص.

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك ـ مع الرواية التي رويناها عن رسول الله ﷺ بالموافقة لقولهم - دليلٌ واضح على صحَّة قولنا في العموم والخصوص، وأنَّ أحكام الله جل ثناؤه في آي كتابه - فيما أمر ونهى - على العموم، ما لم يَخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له. وأنه إذا خُصَّ منه شيء، فالمخصوص منه خارجٌ حكمه من حكم الآية العامَّة الظاهرِ، وسائر حُكم الآية على ظاهرها العام، ومؤيدٌ حقيقةَ ما قلنا في ذلك، وشاهدٌ عدلٌ على فساد قول من خالف قولنا فيه.

وقد زعم بعض من عظمت جهالته، واشتدت حيرتُه، أنَّ القوم إنما سألوا مُوسى ما سَألوا بَعد أمر الله إياهم بذبح بَقرة من البقر، لأنَّهم ظَنوا أنهم أُمِروا بذبح بقرة بعينها خُصَّت بذلك، كما خُصَّت عصا موسى في معناها، فسألوه أن يجلِّيها لهم ليعرفوها.

ولو كان الجاهل تدبَّر قوله هذا، لسهل عليه ما استصعب من القول. وذلك أنه استعظمَ من القوم مسألتهم نبيَّهم ما سألوه تشددًا منهم في دينهم، ثم أضافَ إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكرهُ أن يكون كان منهم. فزعم أنهم كانوا يَرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضًا، ويتعبدهم بعبادة، ثم لا يبيِّن لهم ما يفرض عليهم ويتعبدهم به، حتى يسألوا بيانَ ذلك لهم! فأضاف إلى الله تعالى ذكره ما لا يجوز إضافته إليه، ونَسب القومَ من الجهل إلى ما لا يُنسَب المجانين إليه! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض، فنعوذ بالله من الحَيْرة، ونسأله التوفيق والهداية.

ومن الفوائد الخروج من القصص القرآني بالعبر والخروج من التخصيص إلى التعميم.

وذلك حتى لا تقف العقوبات والجزاءات والإثابات على من ذُكروا بل تتعداهم إلى غيرهم، فإذا كان ثمَّ طالحون ذكرهم الله وذكر ما حلَّ بهم يُذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك بأن العقوبة التي حلَّت بهم لا تقف عليهم بل تتعداهم إلى غيرهم ممن صنع صنعهم، وقد يكون وجه الشبه متعلقًا بالعقوبة نفسها، وقد يكون متعلقًا بأصلها، أي أنهم سيعاقبون كما عوقب غيرهم، بغض النظر على تشابه العقوبة، والله أعلم.

وكذا الصالحون الشاكرون، وما تفضل الله به عليهم من إجابة دعائهم ومن إنجائهم ورفعة درجاتهم لا يقف الأمر- أمر الإثابة والجزاء عليهم- بل من صنع صنيعهم يثاب هو الآخر.

۞ وكل ذلك من فوائده أن يُجدَّ المجدون في الطاعات، وأن يحذر الحذِرون من المعاصي وارتكاب المحرمات.

أما الأدلة على ما ذكر عمومًا فمنها ما يلي:

قوله تعالى في شأن قوم لوط وما أصابهم من جرَّاء عصيانهم من الحجارة التي نزلت عليهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ إشارة إلى أن العقوبة ليست ببعيدة عن كل ظالم سلك مثل هذا المسلك.

وقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ).

وكذا في باب الحسنات والإثابات:

قوله تعالى في شأن نبيه نوح عليه السلام وما منَّ به عليه من الإنجاء وإهلاك من عانده: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ وكذا قوله تعالى بعد ذكر نبيه موسى عليه السلام وكذا نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وكذا بعد ذكر نبيه أيوب عليه السلام وما منَّ عليه به من الشفاء: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

ومن الفوائد في التفسير تقدير المحذوف:

فكثيرًا ما يكون هناك مقدر محذوف مفهوم من السياق لابد من تقديره حتى يستقيم المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ وكذا في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ مقدرٌ مفهوم من السياق.

هذا المُقدر، والله أعلم، هو (إلهًا) فالمعنى واتخذ قوم موسى من بعده من حُلِّيهم عجلًا جسدًا إلهًا يعبدوه، وكذا قوله: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي: اتخذوه إلهًا، والله أعلم وهذا التقدير لابد منه؛ لأن من اقتنى عجلًا لتربيته لا يُلام ولكن من اتخذه إلهًا يعبده فهو الذي ضلَّ ضلالًا مبينًا وعليه كلُّ اللوم. والله أعلم.

ومن الفوائد جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل، قالت المرأتان لموسى عليه السلام لما سألهما ما خطبكما؟ ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾، وذكرتا حال أبيهما بقولهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

وإجابة السائل بأكثر مما سأل له شواهد كثيرة وعليه أدلة كثيرة من الكتاب والسنة فمن ذلك قول الصديق يوسف عليه السلام في تفسير الرؤيا ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦ ..﴾ فهم لم يسألوه عن العمل الذي يُعمل، وإنما سألاه عن تفسير الرؤيا فحسب.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] وهو لم يُسأل عن ذلك.

ولما سئل النبي ﷺ عن الوضوء بماء البحر قال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وهو لم يُسأل عن الميتة، والله أعلم.

ولما سئل موسى عليه السلام ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ كان بإمكانه أن يقول: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ ويتوقف ولكنه بين الغرض منها ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨].

وكذلك قال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ وهو لم يُسأل عن كونها عصاه، إنما سئل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ فجوابه: هي عصا ولكنه زاد في الجواب زيادات عليه السلام.

وهذه بعض الفوائد العامة من سورة القصص ذكرها العلامة السعدي في تفسيره (تيسير الكريم المنان):

قال رحمه الله: «في ذكر بعض الفوائد والعِبر في هذه القصة العجيبة:

فمنها: أن آيات الله وعِبَرَهُ وأيامَه في الأُمم السابقة إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص لأجلهم، وأما غيرهم فلا يعبأ الله بهم وليس لهم منها نور وهدى.

ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أمرًا هيأ أسبابَه، وأتى بها شيئًا فشيئًا بالتدريج، لا دفعة واحدة.

ومنها: أن الأُمّة المستضعفة، ـ ولو بلغت في الضعف ما بلغت ـ لا ينبغي لها

أن يستولي عليها الكسل، عن طلبها حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلى أعلى الأمور، خصوصًا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل ـ الأمة الضعيفة ـ من أسر فرعون وملإه ومكنهم من الأرض وملكهم بلادهم.

ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة، لا تأخذ حقها، ولا تتكلم به ، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها ، ولا يكون لها إمامة فيه.

ومنها: لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.

ومنها: أن الله يقدِّر على عبده بعض المشاقِّ، لينيله سرورًا أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شرًّا أكثر منه. كما قدَّر على أم موسى، ذلك الحزن الشديد، والهمِّ البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورًا.

ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى، ولموسى من تلك المخاوف.

ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان ويتم به اليقين: الصبرُ عند المزعجات، والتثبيت من الله عند المقلقات كما قال تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] أي: ليزداد إيمانها بذلك، ويطمئن قلبها.

ومنها: أن من أعظم نعم الله على عبده، وأعظم معونة للعبد على أموره: تثبيت الله إيّاه وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب والفعل الصواب. بخلاف من استمر قلقه وروعته وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

ومنها: أن العبد ـ ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذٌ لابد منه ـ فإنه لا

يهمل فعل الأسباب، التي أمر بها ، ولا يكون ذلك منافيًا لإيمانه بخبر الله؛ فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك اجتهدت في رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال من غير محذور ، كما جرى لأخت موسي، وابنتي صاحب مدين.

ومنها: جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على من يفعل ذلك.

ومنها: أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريَه من آياته ويشهده من بيِّناته ما يزيد به إيمانه، كما ردَّ الله موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق.

ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عُرف لا يجوز؛ فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عدَّ قتله القبطي الكافر ذنبًا، واستغفر اللهَ منه.

ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يُعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

ومنها: أن من قتل النفوس بغير حق وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض وتهييب أهل المعاصي فإنه كاذبٌ في ذلك وهو مفسد ، كما حكى الله قول القبطي: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩] على وجه التقرير له لا الإنكار.

ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه على وجه التحذير له من شر، يقع فيه لا يكون ذلك نميمة ـ بل قد يكون واجبًا ـ كما أخبر ذلك الرجل موسي، ناصحًا له ومحذرًا.

ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقى بيده إلى التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه كما فعل موسى.

ومنها: أنه عند تزاحم المفسدتين، إذا كان لابد من ارتكاب إحداهما فإنه يرتكب الأخف منهما والأسلم؛ كما أن موسى لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يُقتل أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها وليس معه دليل يدله غير ربه ولكن هذه الحال أرجى للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.

ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق، ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حالُهُ.

كما خرج موسى تلقاء مَدْيَنَ فقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

[القصص:٢٢]

ومنها: أن الرحمة بالخلق والإحسان على مَن يعرف ومن لا يعرف من أخلاق الأنبياء، وأن من الإحسان سَقْيَ الماشية الماءَ، وإعانةَ العاجز.

ومنها: استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالمًا لها؛ لأنه تعالى يحب تضرع عبده وإظهاره ذله ومسكنته، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ **[القصص: ٢٤]**.

ومنها: أن الحياء ـ خصوصًا من الكرام ـ من الأخلاق الممدوحة.

ومنها: أن المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأُمم السابقين.

ومنها: أن العبد إذا عمل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، فإنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض.

ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها مما لا يقدر به العمل وإنما مرده العرف.

ومنها: أنه تجوز الإجارة بالمنفعة ولو كانت المنفعة بضعًا.

ومنها: أن خطبة الرجل لابنته الذي يتخيره لا يلام عليه.

ومنها: أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان أن يكون قويًّا أمينًا.

ومنها: أن من مكارم الأخلاق أن يُحَسِّن خلقه لأجيره وخادمه ولا يشق عليه بالعمل لقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[القصص:٢٧]

ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود، من دون إشهاد لقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [القصص: ٢٨] .

ومنها: ما أجرى الله على يد موسى من الآيات البينات والمعجزات الظاهرة؛ من الحيّة، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون من فرعون ومن الغرق.

ومنها: أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إمامًا في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيِّناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إمامًا في الخير هاديًا مهديًّا.

ومنها: ما فيها من الدلالة على رسالة محمد ﷺ، حيث أخبر بذلك تفصيلاً، وتأصيلاً موافقًا، قَصَّهُ قصًّا، صدق به المرسلين وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، لا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع ولا تلاوة دَرَسَ فيها شيئًا من هذه الأمور؛ ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحيٌ أنزله عليه الكريم المنان؛ لينذر به قومًا جاهلين؛ وعن النذر والرسل غافلين. فصلوات الله وسلامه على من مجرد خبره ينبئ أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيِّرة أنه من عند الله. كيف وقد تطابق على صحة ما جاء به وصدقه خبر الأولين والآخرين والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وجبل عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تناسب ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة والنصر المبين لدينه وأُمَّته. حتى بلغ دينه مبلغ

الليل والنهار وفتحت أُمَّتُه معظم بلدان الأمصار؛ بالسيف والسِنان وقلوبهم بالعلم والإيمان. ولم تزل الأُمم المعاندة والملوك الكفرة ترميه بقوس واحدة وتكيد له المكايد، وتمكن لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموًا، ولا آياته وبراهينه إلا ظهورًا. وكل وقت من الأوقات يظهر من آياته ما هو عِبرة لِلْعَالمِين، وهداية لِلْعالمين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده». اهـ.

تم بحمد الله وتوفيقه نسأل الله القبول

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين


MOSTAFAALADWY.COM

فهرس الموضوعات

أبواب في قصة بقرة بني إسرائيل

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

فصل آيات متفرقات ذُكر فيها نبي الله موسى عليه السلام

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر